

صدايق القرآن

مجلة قرآنية .. ثقافية .. فصلية

العدد السابع - السنة الرابعة ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

- الإقتباس و الإستشهاد بألفاظ ومضردات القرآن الكريم
- تفسير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للنص القرآني
- التوحيد العبادي من المنظور القرآني
- الحروف المقطعة في القرآن الكريم
- وقفات قرآنية مقارنة عند أمير المؤمنين (عليه السلام)
- التوجيه الدلالي لآيات الطلاق
- موقف الذكر الحكيم من رؤية الله تعالى ج ٢
- (وصف القلة والكثرة في القرآن الكريم)
- الطرائق والأساليب الإعلامية في القرآن لإيصال المعلومة
- قراءة في رسالة جامعية

تصدر عن

دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع - السنة الرابعة

أسرة التحرير

الهيئة الاستشارية

سماحة السيد فاضل الجابري
الأستاذ طلال الكمالي
الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي
الدكتور زين العابدين موسى جعفر

هيئة التحرير

أ.م.د. محمد جعفر العارضي
جامعة القادسية
أ.م.د. حيدر عبد الزهرة
جامعة بغداد
أ.م.د. فالح حسن الأسدي
جامعة بابل
أ.م.د. انتصار راضي عليوي
جامعة الكوفة

المدقق اللغوي

أ.م.د. عبد الحسن العبودي
جامعة القادسية

ترجمة

سعد شريف طاهر

الإخراج الفني

سابق جعفر

الإشراف العام

سماحة الشيخ
عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

الإشراف الإداري

الشيخ حسن المنصوري

رئيس التحرير

أ.د. عادل نذير بيبري
جامعة كربلاء

مدير التحرير

أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي
جامعة كربلاء

سكرتير التحرير

علي طالب موسى

التنسيق والعلاقات

عمار رزاق الخزاعي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣

www.dar-alquran.org

sadaalquran1@gmail.com



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع - السنة الرابعة

محتويات العدد

الافتتاحية

٧

أبحاث ومقالات

٩

د. محمد كريم إبراهيم الشمري

الإقتباس و الإستشهاد بألفاظ ومفردات القرآن الكريم

٤١

د. سيروان عبد الزهراء الجنابي

تفسير الرسول للنص القرآني

٥٧

نعمة التجار

التوحيد العبادي من المنظور القرآني

٧٥

الشيخ لبيت عبد الحسين العتابي

الحروف المقطعة في القرآن الكريم

٩٣

د. حسام عدنان رحيم الياسري

وقفات قرآنية مقارنة عند أمير المؤمنين
التوحيد والمعائد ائموذجا

١١١

د. عادل عباس التصراوي

التوجيه الدلالي لآيات الطلاق



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع - السنة الرابعة

- | | | | |
|-----|-------------------------|----|--|
| ١٣١ | الشيخ ضياء بلاسم المصري | ٧ | الطرائق والأساليب الإعلامية في القرآن
لإيصال المعلومة إلى الآخرين |
| ١٦٣ | الشيخ احمد الحمداوي | ٨ | موقف الذكر الحكيم
من رؤية الله تعالى ج ٢ |
| ١٧٧ | م. ماهر خضير عاشم | ٩ | وصف القلة والكثرة في
القرآن الكريم |
| ١٨٩ | د. م. احمد صبيح الكعبي | ١٠ | قراءة في رسالة جامعة |

الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة
إنما تمثل رأي الكاتب



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع - السنة الرابعة

- ١- تنشر المجلة الأبحاث العلمية التي تعنى بالشأن القرآني، والملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها علمياً.
- ٢- يقدم البحث على ورق A4 بنسخة واحدة مع قرص مدمج CD.
- ٣- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة، ولا يقل عن (١٥) صفحة.
- ٤- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، وفي صفحة مستقلة، على أن يحتوي كل ملخص على عنوان البحث واسم الباحث.
- ٥- أن تحتوي الصفحة الأولى للبحث على (عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الباحث أو الباحثين، جهة العمل، رقم الهاتف، البريد الإلكتروني).
- ٦- تكون هوامش البحث في نهايته وليس في أسفل كل صفحة.
- ٧- يزود البحث بقائمة المصادر منقولة عن الهوامش، وفي حال وجود مصادر أجنبية تكتب في ورقة خاصة.
- ٨- الأفكار التي ترد في الأبحاث تعبر عن رأي كاتبها.
- ٩- لا تعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ١٠- ترسل الأبحاث على البريد الإلكتروني للمجلة، أو تسلم إلى سكرتير التحرير في مقر المجلة الكائن في شارع السدرية، فندق دار السلام.

شروط النشر



قُلْ هُوَ
سَاءَ مَا يَدْعُونَ
بِاللَّهِ
ظَمَكُمُ
يَدِي لَكُمْ
وَيُؤْتِكُمْ
وَلَمْ يَكُنْ
لَكُمْ
أَحَدٌ

الإفتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ،
وصحبه الغر الميامين

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين
الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ثم السلام على قراء (القرآن)
ورحمة الله وبركاته

قال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (١٤) ، واحسب أن القرآن من أوضح مصاديق البصيرة والبصائر
التي وضعها الله سبحانه وتعالى بين أيدينا ليحثنا على قراءتها وانعام النظر فيها بحثا
ودراسة لنقتد في ضوءها- ليس على الحلال والحرام ، أو المعروف والمنكر ، أو
الحق والباطل أو... وحسب ، بل على حقيقة ما يجب أن تكون عليه أمام الله سبحانه
وتعالى في الدنيا والآخرة ، لذا إن البحث القرآني هو إعادة دائمة لقراءة النص القرآني
، وإعمال الذهن فيه عملية حضر وتنقيب مستمرة في بواطنه التي لا تنقضي أسرارها ،
وتسبق كل بحث نية صادقة تكشف في مسيرة تحققها عن أفكار ورؤى هي بمنزلة
هجرة وسياحة فكرية في أسرار القرآن التي لا تحتاج في عالمنا إلى وصفها ، وإنما
تحتاج إلى وضعها في سياق حضاري يقود الأمة الإسلامية إلى حيث أراد الله أن يكون

وعلى أساس ما تقدم تدعو هيئة التحرير في مجلة (القرآن) الباحثين الكرام
ولاسيما الذين يتدبرون القرآن بحثا وعناية لأن يعملوا أقلامهم في القرآن الكريم
بحثا وتنظيما عما يمكن أن يكون قراءة جديدة يكشف بها عن وعي جديد ولاسيما وهم

الإفتتاحية

يتعرضون إلى ما يعتور مجتمعاتنا الإسلامية من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية هي من افرازات ما تعيشه الأمة في هذه المرحلة الحضارية من تحديات في مختلف مستويات الحياة

وفي هذا العدد نضع بين ايديهم مجموعة قراءات علمية لموضوعات كان القرآن راندها ، وهذه البحوث انما تصف ريادة القرآن تلك على وفق منهج يسلكه الباحث وهو يرسم لنا ملامح التصور القرآني ، أملين أن نكون على العهد في تقديم المفيد والنافع للقارئ الكريم لنستثير فضوله قراءة وتأملا وبحثا

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير



الإقتباس والإستشهاد بألفاظ ومفردات

القرآن الكريم

في الكلام المنثور لابن المجاور

أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري



الخلاصة :

المؤلف والكتاب :

يُنسب تأليف كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، خطأ الى جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي المتوفى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، والمرجح ان مؤلفه الصحيح هو: أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري ، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

يزخر كتاب تاريخ المستبصر بثروة علمية متنوعة ، لغوية وأدبية واقتصادية واجتماعية ، تدل على ثقافته الواسعة وبعده نظره وطول باعه ، من خلال تنوع معلوماته وغزارتها وتوزيعها على معلومات تاريخية وجغرافية وأثنوغرافية واقتصادية ، فضلاً عن رصده كثيراً من ظواهر الحياة المتنوعة في بلاد اليمن خصوصاً ، وبلاد الحجاز والهند والديبول وجاوة وغيرها من البلدان التي زارها وسجل لنا ملاحظاته عنها ، فكان شاهد عيان معاصر مدققاً لكثير من شؤون الحياة ، ونستدل من ذلك انه كان تاجراً يمتلك مركباً بحرياً

يهدف هذا البحث الى توضيح أسلوب متميز وفريد من أساليب الكتابة والتأليف في تراثنا العربي - الاسلامي ، التي انفرد بها كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، وهو إدخال الفاظ ومفردات من القرآن الكريم في الكلام النثري ، عند عرض الحكايات والروايات والقصص والأخبار التي سجلها في كتابه ، سواء تلك المنقولة من المصادر وأفواه الرواة والمحدثين ، او ربما كان ابن المجاور هو الذي أدخل تلك الألفاظ والمفردات القرآنية في صياغته لتلك الحكايات والروايات والقصص عند توثيقها وتدوينها ، وهي عموماً تمثل لوناً من ألوان الكتابة النثرية التي تأثرت بالفاظ القرآن الكريم ومفرداته ، فضلاً عن الإقتباس منه ؛ بهدف العبرة والدرس والموعظة ، انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَاتِبْنَا فِي الْقُرْآنِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَرَكَ الْجِبَالُ وَآخِرُ السُّجُودِ وَمَنْ فِيهَا مِن نَّاسٍ وَإِن تَرَكَ الْوَادِيَّ وَالْجَبَلَ وَمَنْ فِيهَا مِن نَّاسٍ وَإِن تَرَكَ الْوَادِيَّ وَالْجَبَلَ وَمَنْ فِيهَا مِن نَّاسٍ وَإِن تَرَكَ الْوَادِيَّ وَالْجَبَلَ وَمَنْ فِيهَا مِن نَّاسٍ ﴾ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّيَ الْأَكْبَرُ ﴿١﴾

وبمناسبة نشر هذا البحث العلمي عن كتاب تاريخ المستبصر ، لايسعنا إلا ان نجدد الدعوة المخلصة الصادقة حول إعادة تحقيق ونشر هذا الكتاب التراثي المهم ، لإعادة الاعتبار الى مؤلفه الحقيقي ابن المجاور البغدادي النيسابوري من خلال دراسة حياته دراسة علمية وموضوعية ، وتجدر الإشارة الى أننا ركزنا اهتمامنا العلمي الشديد المتواصل والمتكرر والمستمر على تحديد شخصية مؤلفه الحقيقي ، من خلال عدة أنشطة علمية انجزناها منذ أيام تلمذنا لإنجاز أطروحة الدكتوراه عن عدن والى الآن ، وذلك من خلال الآتي :

- ١- أطروحة الدكتوراه التي قدمناها الى المجلس العلمي لكلية الآداب / جامعة بغداد ، وقد أنجزت وقدمت الى قسم التاريخ عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بعنوان : عدن / دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٧هـ / ١٠٨٣-١٢٢٩م ، على الصفحات : ٥١-١٥٤ المقدمة - تحليل المصادر والمراجع ،
- ٢- تم إعادة نشر هذا الموضوع بعد طبع الأطروحة في كتاب ، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة ، الطبعة

، طاف كثيراً من البلدان وزودنا بمعلومات وافية عنها ، وسجل لنا رواته ومحدثيه وأماكن لقاءاته بهم في متن كتابه .

يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً عن تاريخ اليمن والحجاز ، فيه معلومات تاريخية متناثرة ذات قيمة كبيرة عن تاريخ تلك البلاد وملوكها وأمرائها وقادتها ، خصوصاً الأيوبيين المتأخرين في اليمن وأوائل حكم الرسوليين وشرفاء مكة من بني قتادة ، وتعود أهميته الى ملاحظاته المباشرة عن الحياة العامة ، فقد تناول بغزارة التفاصيل المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، من عادات الزواج وشؤون الرقيق والمقاييس والنقود والملابس والضرائب الكمركية .

اهتم المؤلف بمدينة عدن اهتماماً خاصاً ومتميزاً ، فقد خصص لها أكثر من خمس كتابه ، وأفرد لها خارطة خاصة عن طبوغرافيتها وأبرز معالمها ، وتحدث بتفاصيل نادرة وبوضوح عن نشاطها التجاري ومعاملاتها الاقتصادية ، وسجل لنا روايات وأساطير محلية خاصة بالمناطق التي زارها ، وتحدث عن أخلاق سكانها وعاداتهم وتقاليدهم .

الأولى ، (البصرة ، ١٩٨٥م) ، ص ٣٥-

٣٧ (المقدمة - تحليل المصادر) .

❖ أعيد طبع الكتاب في جامعة عدن

، منشورات دار جامعة عدن للطباعة

والنشر ، الطبعة الثانية ، (عدن ، ٢٠٠٤م)

، ص ٤٢-٤٣ .

٣- بحث بعنوان : ((أضواء على مؤلف

كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض

الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر))

، مجلة الخليج العربي ، المجلد (٢٣)

، العدد (١-٢) ، إصدار مركز دراسات

الخليج العربي بجامعة البصرة ، (

البصرة ، ١٩٩١م) ، ص ١١٥-١٣٨ .

٤- محاضرة علمية قدمتها إلى أساتذة

قسم التاريخ والأثار في كلية الآداب

/ جامعة عدن ، وهي المحاضرة

الأولى في افتتاح الموسم الثقافي

للقسم ، وذلك صباح يوم الاثنين

٧/١/٢٠٠٢م ، بعنوان : ((مصادر عن

تاريخ اليمن الإسلامي منسوبة خطأ

الى مؤرخين آخرين / ثلاثة نماذج

لإشكالية منهجية علمية)) ، وكان

تاريخ المستبصر المصدر الأول ضمن

تلك المحاضرة فضلاً عن بحوث علمية

أخرى منشورة.

سيكون منهجنا في هذا البحث

ذكر النصوص التي وردت فيها الألفاظ

ومفردات القرآن الكريم في الكلام

المنثور لابن المجاور البغدادي

النيسابوري ، من خلال حديثه أو

روايته حكاية أو قصة أو حادثة ما ،

ووضع خطوط تحت الألفاظ ومفردات

القرآن الكريم ثم نقوم بتخريج الآية

القرآنية كاملة التي تضمنت المفردة

واللفظ القرآني الوارد في كلام ابن

المجاور النثري وتوثيقها في المتن

ثم في الهامش ، وعرض تلك الحكايات

والقصص و الروايات وفق تسلسل

ذكرها في كتاب : صفة بلاد اليمن

... (تاريخ المستبصر) ، على شكل

فقرات مرقمة بالتسلسل، وكالاتي :

١

قال ابن المجاور (١) في افتتاح كتابه - بعد البسملة- : ((الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين ، وبسط الأرض وجعل فيها آيات للموقنين ، وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) .

بدأ ابن المجاور مقدمة كتابه البليلة هذه بحمد الله والثناء عليه ، وضمّنها آيات مباركات من القرآن الكريم ، توحى باختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، ففي النص قال : ((رفع السماء عبرة للناظرين)) ، في كتابه العزيز ، بسم الله الرحمن الرحيم : **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ** ﴿٢١﴾ ، وفي قول ابن المجاور - عن الأرض- : ((وجعل فيها آيات للموقنين)) ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** ﴾ ﴿٥٠﴾ .

أما قول ابن المجاور : ((وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) ، فلعل سبب اختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، كان بقوله :

تعالى في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، حول لفظ ومصطلح ومعنى المستبصر ومفرداتها ، مثل : الأبصار ، والبصائر ، من ذلك قوله عزّ وجل : ((وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم)) ﴿٦﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَرَزَقْنَا لَهُمُ السَّيِّئِينَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ ﴿٧﴾ . كما وردت كلمة (بصائر) في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (٨) ، مما يوضح ان المؤلف استوحى فكرة اختيار عنوان كتابه مما ورد في القرآن الكريم حول مفردة المستبصر ، وجمعها : المستبصرين ، أي أصحاب العقول والإدراك والفهم ، فضلاً عن مشتقات ومرادفات هذه المفردة - كما ذكرنا ، مثل : الأبصار ، البصائر... لذلك ضمّن ابن المجاور مقدمته ثلاثة الألفاظ ومفردات من القرآن الكريم ، كما يتضح جلياً من تخريجنا لها في الآيات القرآنية الكريمة .

٢

في حديث ابن المجاور (٩) عن اشتقاق اسم مكة ، ذكران مكة سميت بهذا الاسم لأربعة أقوال ، أحدها أنها

٣

تحدث ابن المجاور (١١) عن قصة حياة قسي بن منبه ، الذي اشتهر فيما بعد باسم : ثقيف ، واقترب اسمه ببناء مدينة الطائف ، مشيراً الى افتراقه عن النخع ، وهما النخع وثقيف) رجُلان من قبيلة ايد بن نزار ، فاتجه ثقيف الى موضع قريب من الطائف ونزل فيه ، فاذا هو بجارية حبشية ترعى مائة شاة لمولاها ، فأسرَ طمعاً فيها ، اي أضمر (أخفى) أمراً تجاهها في داخله ، وقال : ((اقتلها وأخذ الغنم!)) ، ويبدو أن الجارية أدركت نواياه تجاهها ، فقالت له : ((يا هذا كأنك طمعت نفسك أن تقتلني وتأخذ غنمي)) ، فأجابها : نعم؛ لذا حذرته الجارية من مغبة عمله هذا

مسافة يأتيها الناس من كل فج عميق ، فكانها هي التي تجذبهم إليها .

وفي قول ابن المجاور حول اشتقاق اسم مكة إقتباس لما ورد عنها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١٠) ، وما زال الناس - الى يومنا هذا- يأتون الى مكة لأداء فريضة الحج ، فضلاً عن العمرة الى بيت الله الحرام فيها ، من كل أصقاع الأرض القريبة منها والبعيدة عنها ، فكانها (مكة) أصبحت عامل جذب واستقطاب لهم الى هذه الأرض المقدسة ، وهي ظاهرة خير مستمرة طوال أيام العام .



ونصحته بالذهاب الى مولاها عامر بن
الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن
عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان
بن مضر ، وهو سيد أهل ذلك الوادي
، وطلب المساعدة منه ، وفعلاً ذهب
ذلك الرجل اليه فأكرمه وزوجه من
ابنته ، فولدت له : عوف ودارس وسلامة
واقام بالطائف وعرس الكرم (العنب)
، وبنى المكان الذي سمي : الطائف ؛
لأنه طاف البلاد وسكن فيها .

ان عبارة ابن المجاور التي وردت في
هذه القصة : ((فأسرّ طمعاً فيها)) ،
مستوحاة من الفاظ القرآن الكريم ،
منها قوله تعالى : ﴿ قَالَ أِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا
يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا ﴾ (١٢) ، وقال
عز وجل : ((كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ ﴿١٣﴾ ، فضلاً
عن ورود هذه اللفظة في آيات قرآنية
عديدة(١٤) ، ومعناها : أخفى وستر
وأضمر في نفسه سراً .

٤

تحدث ابن المجاور (١٥) عن سيوف
الصواعق ، فذكر انها ثلاثة وقيل
سبعة ، وقال آخرون بل هي أربعة
عشر سيفاً ، ضربت أيام يافث بن نوح

(ع) ، وأسهب في وصف تلك السيوف
، ثم تحدث عن أشهر أنواعها وهي
أربعة أصناف : الصنعاني ويضرب
في صنعاء ، وهو متقدم قصير لأنه
سيف الرجالة ، والكرماني قديم
ضرب أيام دولة ملوك العجم في
كرمان ، والإفرنجي سيف طويل ؛
يطولونه لأجل الفُرسان ، والهندي
منه عدة أصناف ، قال ابن المجاور
(١٦) : ((وأما السيوف في العالم فكثيرة
الأصناف وتضرب في كل بلد وإقليم
إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا
دون غيرهم وعرفوا من بين جنسهم
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)) .
عد ابن المجاور هذه السيوف الأربعة
: (الصنعاني والكرماني والافرنجي
والهندي) من أرقى سيوف العالم
وأعلاها درجة أي مرتبة متقدمة ،
نظراً لما اشتهرت به من جودة الأداء
وحسن الصناعة ، فكانت مستوياتها
متقدمة على

(الحنطة) ، ولعلها إشارة الى استخدام طريقة المقايضة في التبادل بين بضائع معروفة ، وفي النص الاول إقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا ﴾ (٢٠) ، اما عبارة ، فهي إقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (٢١) .

٦

تحدث ابن المجاور (٢٢) عن شجر الكاذي ، وهو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل ، وهو ورد على هيئة الصبيرة التي تزرع في العراق والهند ، لكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذو شوك خشن ، لم ينعقد ورقه إلا من برق البرق ، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة ، وان لم يكن البرق لم يكن منه شيء . وهذا شيء عجيب ، ويخلق ما لاتعلمون .

ان وصف ابن المجاور لشجر الكاذي الذي ينبت ورقه ويكثر بسبب البرق ، يدل على قدرة الله عزوجل ومشينته ؛ لذا عد ذلك امرأ عجيباً ، فاستشهد بمضردة من آيات الله سبحانه وتعالى ، هي أنه يخلق ما لايعرفه الانسان ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ وَالنَّجْمُ وَالْأَحْوَابُ يَتَرَكَّبُونَهَا وَزِينَةً وَمَخْلُقٌ مَا لَا

مثيلاتها الاخرى من السيوف ، وعُرفت اصناف تلك السيوف بقيمتها العليا وكثرة الطلب عليها ، مضمناً هذا الموضوع اقتباساً مماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَن قَسْمَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ مَسَاحِقًا لِّلْآخَرِينَ وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٧) .

والدرجة هنا تعني مرتبة تفضيل شيء على شيء آخر ، كما هو الحال بالنسبة الى الرسل ، فضلاً عن أمور اخرى في الحياة ، كما ذكر ابن المجاور هنا أنواع السيوف ومراتبها واصنافها ودرجاتها ، التي تميزت بارتفاع اي علو وتفضيل بعضها على بعض ، وقد وردت اشارات واضحة عن هذه الامور في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (١٨) .

٥

ذكر ابن المجاور (١٩) انه وُجد في مدينة زبيد باليمن سطر مكتوب : بدلنا حمل دُرٍّ بحمل بُرٍّ (قمح) وما مسنا ضرٌّ والله المستعان ، ووجد مكتوب ايضاً في مدينة ابي سيار من أعمال حران : طلبنا البر بالدر (احجر كريم) فما وجدناه . اشار ابن المجاور الى الاطلاع على كتابات فيها تبادل مادة الدر بمادة القمح

البضائع التجارية تتم فيها المحاسبة على الوزن والعدد ، وهي محاسبة عسيرة فكيف حال الانسان يوم القيامة بعد موته ومثوله أمام الله سبحانه وتعالى يوم المحشر؟ ، عندما يحشر أي يجمع الناس ويحاسبون ويساقون الى مصيرهم الأخير ، إما الى الجنة والخلود في دار النعيم وإما الى جهنم خالدين فيها ابداً ، جزاءً على أعمالهم ، وهذا

تَعَلَّمُونَ ﴿٢٣﴾ ، فضلاً عن آيات قرآنية عديدة تبين قدرة الله على الخلق ، فقد خلق الانسان والحيوان والنبات ، فضلاً عن ظواهر وشواهد كثيرة جداً في الحياة ، مثل : خلق السموات والأرض والبحار والأمطار والعواصف والرياح والحرارة والبرودة والبرق والرعد ... وغيرها من المعجزات والدلائل التي تبين آلاءه وقدرته سبحانه وتعالى .

٧

قال ابن المجاور (٢٤) : ((وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد ، فإن كان رابحاً طاب (٢٥) قلبه وإن كان خاسراً اغتم ، فإن سافر في البر فهو من أهل ذات اليمين وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال . فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هَوْلِ العَرْضِ الأكبر اللهم لاتناقشنا يا كريم (١) .

في هذا النص وصف وتصوير دقيق لحال الانسان عندما يخرج من البحر هو أشبه بخروجه من القبر ، نظراً للخطورة والصعوبة التي يواجهها في البحر ، والفرضة أي دائرة استيفاء الرسوم والمكوس (الجمرك) على



عدن واتساعها وانتشار العمارة والبناء فيها. في عصر سلاطين بني أيوب ونوابهم عليها ، فقال : ((وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق)).

في النص اشارة وإقتباس من القرآن الكريم حول تطور مدينة مكة وكيف ان الناس كانت تقصدها من كل أرجاء المعمورة؛ لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام وممارسة التجارة فيها، وفي نص ابن المجاور هذا إقتباس من القرآن الكريم وتشبيهه عدن بمكة. في توافد الناس عليها للعمل في التجارة وفي البناء. وما صاحب ذلك من توسع المدينة وانتشار العمارة والبناء فيها ، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣٠) ، أي ان الناس أتوا الى مكة لأداء فريضة الحج من أماكن متباينة بعيدة وقريبة عن مكة ، فضلاً عن قدوم التجار العاملين في موسم الحج اليها وخلال أيام السنة باستمرار ، نظراً لموقعها التجاري ونشاطها في هذا المجال .

٩

انفرد ابن المجاور (٣١) بذكر العمل بجواز السفر بالنسبة الى المسافرين المغادرين ميناء عدن ، فضلاً عن الكفيل الضامن للمسافر ، إذ يقول : ((ولو أراد

النص مستوحى و مُقتبس من القرآن الكريم فيما يخص الحشر يوم القيامة والمحاسبة ، فضلاً عن ذكر الفاظ ذات اليمين وذات الشمال ، فقد خصص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (القرآن الكريم) سورة خاصة ، هي سورة الحشر ، منها هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (٢٦) ، كما وردت مفردات الحشر ، يحشرهم ، تحشرون ، فضلاً عن ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في القرآن الكريم (٢٨) ، وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة فوائد عظيمة لاتحصى من العبر والدروس والمواعظ ، فضلاً عن تقويم مسيرة الإنسان في الحياة الدنيا ، من خلال تمييز الصالحين من الطالحين ، وبين أصحاب القيم والمثل والمبادئ الملتزمين بقواعد وأسس دينهم الحنيف ، وبين أولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا فابتعدوا عن الطريق القويم وسلكوا طريق الإثم والضلالة وأغواهم الشيطان ، فخسروا دورهم الإنساني في الدنيا. ولم يوظفوا عقلهم في طريق الخير والعمل الصالح ؛ للنجاة من الكبائر .

٨

أشار ابن المجاور (٢٩) الى تطور مدينة

المفلس في أمان الله)) .
النص واضح جداً وصريح بخصوص استخدام جواز السفر والعمل به في مدينة عدن ومينائها ، بالنسبة للمسافر الخارج من باب البر أو باب البحر فضلاً عن الكفيل الضامن ، وبخصوص استخدام الكفيل الضامن للمسافر اذا ظهر عليه شيء بعد سفره من ديون أو رسوم ٠٠٠فالكفيل هو الذي يتكفل تسديد ماعلى المسافر ، أما بالنسبة الى الغرباء المسافرين ممن ليس لديهم كفيل

بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قدر ان لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال او عشور ويكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك . وان لم يكن له ضامن ولا أخذ منادي [مناد] ينادي عليه في الأسواق : ان فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيء يطالبه ! فان ظهر عليه شيء كفى الله المؤمنين القتال
وان لم يظهر عليه شيء خرج الى أي موضع شاء ، كما قيل في المثل :



احتكار بعض المواد التجارية وبيعها بأسعار عالية ، اذ يقول : (1) وكانت الايام شبه ايام المحشر كل منهم ينادي اين المضر (19) .

في نص ابن المجاور تشبيه بيوم المحشر ومايصاحبه من خوف ورعب وهول ، في ذلك المشهد الذي يقف فيه الانسان بين يدي الخالق العظيم . ويجري تقويمه من خلال اعماله فتوزن حسناته مقابل سيئاته ، وماورد في هذا النص هو اقتباس من آيات القرآن الكريم ، في قوله عزوجل : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَرءَ ﴾ (10) كَلَّا وَرَدَّ ﴿ ١١ ﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَقِرُ ﴿ ١٢ ﴾ . (34)

11

تحدث ابن المجاور (35) عن مسجد الجند وفضائله ، ومنها زيارة الناس له سنوياً في اول جمعة من شهر رجب ، وروى ان صفي الدين حاتم بن علي بن محمد بن المعلم ، اخذ ابرة مسمومة وغررز فيها خيطاً مسموماً ، وصار يفرز الابرة في جوانب البطيخة ويجرها والخيط معاً ، وجاء بها الى السلطان سيف الاسلام طغتكين بن ايوب وهو قائم على بناية المنصورة فجلا سكيناً فوق البطيخة لياكل منها ، فتناول منه سيف الاسلام البطيخة فقطع واكل وشعر بالشر ، فقال لعلي بن حاتم : الله

يعرفهم ، فالطريقة هي المناداة بسفر فلان بن فلان في الاسواق فكل من له عليه شىء يطالبه به قبل سفره ، وقد يؤدي ذلك الى منعه من السفر الا بعد اداء مايدتمته من حقوق ، لذا استشهد ابن المجاور بقوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا حَريراً وَكفى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ آفِتَالاً ﴾ ، اي عدم الوقوع في مشكلات جراء سفره دون محاسبة وتدقيق ، أما من لم يظهر عليه شىء فبإمكانه السفر الى أي مكان يشاء ، كما قيل في المثل : المفلس في امان الله ، وقد وردت صيغة الإقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا حَريراً وَكفى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ آفِتَالاً وَكَانَ اللَّهُ قَوِيماً عَزِيْزاً ﴾ (32) .

10

وصف ابن المجاور (33) أوضاع عدن اواخر العصر الأيوبي في اليمن وبداية عصر بني رسول بالفوضى والاضطراب ، وروى ان عدن تخرب سنة 627هـ / 1229م ، مستدلاً على ذلك بدخول أول امراء بني رسول اليها وحكمها ، وهو نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي اشاع الرعب والخوف بين سكانها ، فضلاً عن سيطرته على مقدراتهم الاقتصادية وتحكمه بحياتهم ومعيشتهم ؛ بسبب

بشتى الطرق والوسائل غير الشرعية ، بل سوف يخلدهم في النار ، فيندمون على ما جمعوا من تلك الأموال التي حرموا الناس منها وظلموهم شر الظلم ، بمصادرة حقوقهم وحرمانهم من أبسط مستلزمات العيش والحياة .

١٢

تحدث ابن المجاور (٤٠) عن صفة صنعاء وشهرتها بالفواكه والثمار المتنوعة ، وأضاف أن أهلها أي سكانها فيهم خليط من نسل العجم خرجوا من الحبوس والقيود في دولة يزيد جرد بن شهريار بن بهرام ، ويقال كسرى بن قباد مع سيف بن ذي يزن لتحرير اليمن من الأحباش ، ثم قال: ((وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور)) .

وهذا النص فيه إقتباس من القرآن الكريم في قوله عز وجل : ﴿ وَالطُّورِ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ (٤١) . أي أن تاريخهم مشهور مدون في كتاب مسطور ، أي في روايات منتظمة موثقة في صدور الناس وذكريتهم ، ثم في المؤلفات المدونة على لسان الرواة وأهل الأخبار ؛ لتوضيح الصراع بين الفرس والأحباش من أجل السيطرة على بلاد اليمن ؛ للإفادة من موقعها التجاري على طرق المواصلات العالمية والتحكم بمقدراتها .

١٣

المستعان على ماتصفون (٣٦) ، فقال له : كل يامولاي ماهو إلا خير ، وغاب الشيخ حاتم بن علي بن محمد بن المعلم من ساعته ، فأوجعه فؤاده ومات .

روى ابن المجاور عن عبد الله بن محمد ، قال انه كان يقرأ في النزع (اللحظات الأخيرة قبل موته) : ما أغنى عني ماليه ❖ هلك عني سلطانيه ❖ خذوه فغلوه ❖ ثم الجحيم صلوه ❖ ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فاسلكوه (٣٧) . الى تمام الآية .

وروى ابن المجاور (٣٨) عن رجل من آل الصليحي قال : انه قرأ : الذي جمع مالا وعدده ❖ يحسب أن ماله أخلده ❖ كلا لينبذن في الحطمة ❖ وما أدراك ما الحطمة ❖ نار الله الموقدة ❖ التي تطلع على الأفئدة ❖ إنها عليها مؤصدة ❖ في عمدة ممددة (٣٩) ، وصار يكررها الى ان مات ، وبقيت البناية على حالها الى وفاة الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب . فأعاد الأراضي إلى أصحابها .

في رواية وفاة السلطان طغتكين بن أيوب ، إقتبس ابن المجاور بعض آيات القرآن الكريم في ثلاث سور ؛ بهدف العبرة والموعظة ، وكيف أن هؤلاء السلاطين أصحاب القوة والثروة يلاقون مصيرهم المحتوم وهو الموت ، وبذلك لا ينفعهم مالهم الذي جمعوه ،

وبناؤهم بالحجر القديم .
 في النص إقتباس من القرآن الكريم
 في وصف النبي داود(ع) في قوله تعالى
 : ﴿ وَتَدَدُّنَا مَلَكُهُ ، وَءَايَاتُهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ
 الْخِطَابِ ﴾ (٤٣) ، وهذا يعني ان هؤلاء
 القوم كان لهم اهتمام كبير بالعلم
 والعمل من خلال اشتغالهم بالعلوم
 المتنوعة المذكورة أعلاه ، فوصفهم
 ابن المجاور بأنهم قوم يدعون الحكمة
 وفصل الخطاب ، أي لهم عقول تعمل
 بهدف الاطلاع على أسرار العلوم والافادة
 منها وتسخيرها لخدمة البشرية .
 ووصف ابن المجاور (٤٤) سكان مدينة

روى ابن المجاور (٤٢) حديثاً عن
 منصور بن محمد الواسطي حول ظهور
 قضبان تسمى : شوحط في أعمال تعز
 وصنعاء ، اذا أشعل رأس القضيب اشتعل
 شبه الشمع وهي تستخدم عوضاً عن
 السراج والفتل ، وأضاف ان هؤلاء القوم
 مأكولهم الحنطة والحلبة واللحم صيفاً
 وشتاءً ، وسفرهم الى عدن وشراؤهم
 العُطب والعطر والهندوان ، وغاية
 اشتغال القوم في معرفة الجواهر وعلم
 الكيمياء وعلم النجوم والنحو والمنطق
 والفلسفة والهيئة والهندسة وحساب
 الضرب والجُمَل ، وأضاف قائلاً : ((
 وقوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب)) .



وصف حال هؤلاء الكافرين الظالمين ، وكيف ان الله سبحانه وتعالى يعذبهم عذاباً اليماً كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ لَبِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ وإن (٤٧) ، وفي هذه الآية الكريمة وصف واضح جداً لمصير الكافرين الظالمين وقد شبه ابن المجاور قوم شداد وعاد والتبابعة بهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في حالهم المأساوي بعد موتهم ، جزاءً وفاقاً على كفرهم وظلمهم وكيف انتقم الله منهم من خلال هذا الوصف الواضح في القرآن الكريم وفي نص ابن المجاور أيضاً .

١٥

روى ابن المجاور (٤٨) عن محدثه هشام بن مسعود النجراني ، ان هنالك طريقاً قديماً يسمى : طريق الرضراض يصل الى الكوفة مما يلي ظهر اليمن ، ويقال انه يصل الى البصرة ، وكان أهل اليمن يسافرون فيه على الحمير وعليهم الأديم الى إحدى هاتين المدينتين (البصرة والكوفة) ، مرتين في العام ، ولما سأل ابن المجاور محدثه : على أي الأماكن كان مسلكهم؟ ، قال : (على اليمامة والحساء [الإحساء] والبصرة ،

صعدة ، بأنهم قوم أختيار يدعون الحكمة ومعرفة الجواهر والعلوم العلوية ، وهم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ، وهم اصل القوم وهم المقدسون في المذهب الزيدي ، ونستنتج من النص ان هؤلاء القوم سخرُوا عقولهم في العلم والمعرفة ، بسبب مؤهلاتهم العقلية التي وظفوها في دراسة علوم الطبيعة لخدمة الانسانية

١٤

تحدث ابن المجاور (٤٥) عن مساكن شداد وعاد والتبابعة الجبابرة ، ووصف بناؤهم بالحجر والرخام والرصاص ، وبعضها حضرت في الجبال أي نقرت (نحتت) ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ (٤٦) . فلما كفروا بنعمة الله عزوجل خسف بهم وتفرق شملهم وتشتتوا في الأفاصي ، فأصبحت الدور قبوراً ، والمساكن مساكن فارتدمت بعضها على بعض ، وتقلعت النخيل والأشجار ، وطلع بدلاً منها العشر والأراك (الشوك) ، وسكنت البدو في بيوت الشعر ، وصارت الإبل ترعى بين عامر الخراب وتشرب ظباؤها من النداء والسراب لبئس الشراب وساءت مُرتفقاً . تضمن النص الأخير لابن المجاور إقتباساً من القرآن الكريم في

النجراني ، او أنه - كعادته - يستشهد بالشعر دون مقدمات أو تسمية الشاعر في أغلب الأحيان ، ويسبق ذلك فجأة بكلمة : قال ، ثم يذكر بحر الشعر ، كما ذكره هنا وهو: البسيط ، وهكذا يتضح لنا أن ابن المجاور كان حريصاً كل الحرص على إيراد العبارات والمفردات

قلت : ومتى كان عهدكم بعمرانه؟
قال : سنة عشرين وخمسمائة [٥٢٠هـ / ١١٢٦م] . وقال : [بسيط] لما رايت
سُلوي غير متجه وأنَّ غَرْبَ شَفاري عاد
مفلولا دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم
ليقضي الله امرأ كان مفعولاً .
في عجز البيت الثاني اقتباس من
القرآن الكريم ، في قوله تعالى :



من القرآن الكريم ، لكي يضمنها قصصه وحكاياته ورواياته ، وهذه المرة الوحيدة التي يستشهد ببيت شعر فيه اقتباس من

﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (٤٩)
ويبدو أن ابن المجاور استشهد بهذين البيتين من الشعر إما نقلاً عن محدثه

تخليد ذكراهم ، فالكريم قريب من الله تعالى قريب من الجنة قريب من الناس .

١٧

روى ابن المجاور (٥٢) حكاية عن ذمام العرب مفادها ان دعبل بن علي الخزاعي هجا المطلب بن عبد الله الخزاعي بشعر ، فلقبه المطلب في طريق فقال له : سرّ معي الى منزلي ! فذهب معه ، فلما دخل دعبل قال المطلب : والله لأقتلنك شر قتلة ، فقال له دعبل : لا تقتلني وانا جائع أشبعني وافعل ماشئت ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فقال له المطلب : ما احسن ما طلبت النجاة ! ان اطعمتك وحببت الحرمة ، وإن لم اطعمك بخلت اي بخل ، فقال دعبل : والله لا ذكركت بعدها بسوء ابداً ، فأطلقه واحسن جائزته .

يتضح لنا من هذه الحكاية الطريفة كيف ان الشاعر دعبل الخزاعي احسن التصرف بكسب عدوه وتهدياته من روعه وغضبه ، بأسلوب جميل ، وورد في القصة إقتباس من القرآن الكريم في قصة النبي ابراهيم (ع) مع ابنه اسماعيل (ع) ، وكيف انه رأى في المنام انه يذبحه ، فاستجاب اسماعيل لطلب والده ابراهيم طاعة له ، لكن الله فداه بكبش عظيم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي

القرآن العظيم .

١٦

أشار ابن المجاور (٥٠) الى أن الكرم من خصائص العرب ، ويقال أن اول من اطعم الكسرة (كسرة الخبزة) هو ابراهيم الخليل (ع) فهي سنته ، وروى أن أصحاب الأعراف هم ثلاثة : ابو طالب لتربيته رسول الله (ص) ، وانو شروان لعدله ، وحاتم الطائي لكرمه .

تضمنت رواية ابن المجاور هذه إقتباساً من القرآن الكريم حول أصحاب الأعراف الذين وصفهم الله عزوجل بقوله

﴿ وَيَذَرْنَهَا جَاءً وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا يَسْمَعُهُمْ وَيَادُّوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَنْ يَدْخُلُوْا وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصُرُهُمْ ظِلْفَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوْا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ وَيَادُّوْا أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُوْنَهُمْ يَسْمَعُهُمْ قَالُوْا مَا أَعْنَى عَنْكُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٥١﴾ .

تتضح لنا مما ذكره ابن المجاور مكانة أهل الكرم ومنزلتهم الفائقة ، وأول روادهم سيدنا ابراهيم الخليل (ع) ، فهو اول من اطعم كسرة الخبز ، واصبحت سنته أي طريفته وشهرته في زمانه ، فضلاً عن بيان مكانة أهل الأعراف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ، ولعل لماثر هؤلاء وحسن صنيعهم بسبب شهرتهم بالكرم ، فضلاً عن تربية ابي طالب للرسول الكريم محمد (ص) اثره في

الى ان وصل خبت قضر ليس به مما خلق
الله عزوجل من المخلوقات سوى بيت
شعر فيه رجل وزوجته فأكرموه .

في رواية ابن المجاور هذه إقتباس من
القرآن الكريم في عبارة: فأدلى دلوه ، أي
أنزل الدلو في البئر ، كما تأتي بمعنى
أبدى او عرض وجهة نظره ، كما ورد
في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَأَرْدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبَتْرَى هَذَا غَلْمٌ وَسُرُوهُ
بِضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥٥) .

وهذا النص منقول عن سورة النبي
يوسف (ع) وقصته المشهورة مع اخوته
، وماتحملة من العبر والدروس البليغة
التي تبين قدرة الله عزوجل وإرادته في
حماية أنبيائه ورسله من بني آدم .

١٩

وصف ابن المجاور (٥٦) الجراد النجدي
بأنه لا يأكل الحشائش ويشم أطيب
الأهوية ويشرب أطيب المياه ويتربى في
أطيب الأمكنة ، ويرجع دواء لكل داء ،
وروى أنه يظهر في نجد من أعمال تسمى
: الدهناء ، والموضع هو مشرق البحر
، وقيل بل هو يخرج من البحر بإذن
الله تعالى عزوجل ، قال ابن المجاور :
(١) وهو قريب من المن والسلوى ينزل
على شجر الزيتون بجبال الروم وغيرها
. والسلوى هو طيريجيء الى دمياط
على وجه الأرض (١) . وشبهه ابن المجاور

الْمَاءِ أَيْ أَذْبَحَكَ فَانظُرْ مَاذَا رَزَى قَالَ يَبَاتِي
أَفْعَلُ مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ
(٥٣) ، ولعل ماورد من قول دعبل
الخزاعي مع غريمه المطلب الخزاعي
كان سبباً في العفو عنه ، إذ طلب
دعبل من المطلب أن يشبعه لأنه جانع
ثم يقتله ، وهذا غير ممكن أن يطعم
العربي ضيفه ثم يقتله ، لأن ذلك ليس
من شيم العرب وذمامهم ، فمن يطعم
ضيفه يحرم عليه قتله ، وإن لم يطعمه
يوصف بالبخل والعرب تآبى أن توصف
بهذه الصفة الذميمة ؛ لذلك أطلق دعبل
وأكرمه ، وفي هذه القصة كثير من
العبر والدروس والمواعظ التي تؤكد
ذمام العرب وعدم غدرهم وعدم إقدامهم
على قتل عدوهم إذا كان في بيتهم وفي
ضيافتهم ؛ لأن الكرم يوجب الحرمة ،
ومنها حرمة القتل .

١٨

روى ابن المجاور (٥٤) أن سقاء نزل
بنراً في طريق مكة يُبرح منه الماء في
الدلاء لقلته ، فرحل الحاج على غفلة
وبقي السقاء في مكانه ثلاثة أيام بلياليها
، وبعد انتهائه هذه الأيام قدم رجل من
وجوه العرب فأدلى دلوه ، فنظر الأعرابي
السقاء في قرار البئر فاستقى وسقى
حصانه وشربه واستخرج السقاء من
البئر وأردفه وراءه وسار به غير بعيد ،

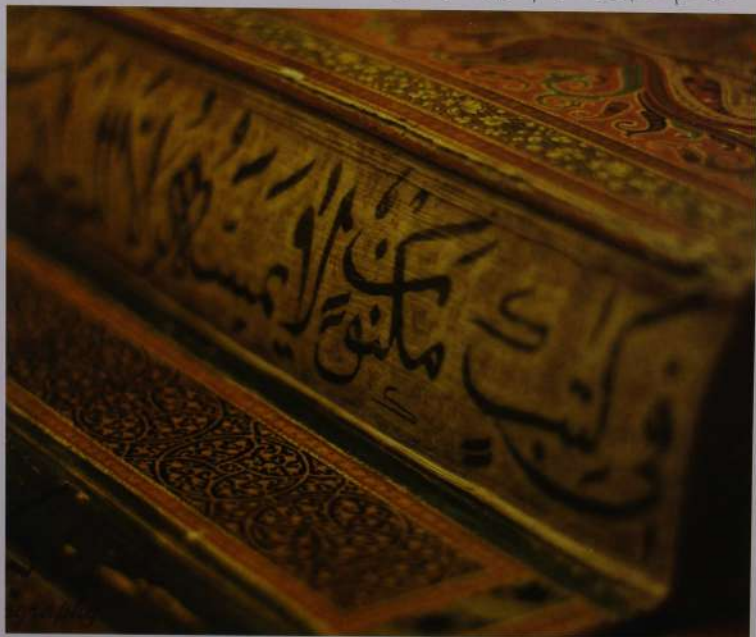
مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾.

٢٠

وفي حديث ابن المجاور (٥٨) عن جزيرة
فَرَسَانَ ، حدد موقعها بين جزيرة
وهلك وحلى ابن يعقوب في البحر

طير السلوى بالجراد النجدي من حيث
أوصافه التي ذكرها أولاً فهو طيب في
الأكل والرائحة .

تضمن نص ابن المجاور إقتباساً من
القرآن الكريم في قصة النبي موسى (ع)
مع بني اسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا
عَلَيْكُمْ الظُّلُمَاتِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُؤُا



من الحاكة رُزق ولداً ، فقيل له اختر له كنية ، فقال : كونه عبد رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٦١) فقال له الرجل : ابن من ؟ قال : ابن عبد الكريم [الله] الذي يمسك السماء ان تقع على الأرض إلا بإذنه (٦٢) ، فقال: مرحباً يانصف القرآن .

وأعجب من ذلك أن رجلاً من العجم مسكنه أذربيجان سمي ابنه عبد من الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (٦٣) . وهكذا يتضح لنا أن هذه الأسماء الطويلة أطلقت على خلق الله من عباده ، فهم عبيده لأنه خالقهم ، ومع ذلك فهي أسماء طويلة فيها مبالغة واضحة جداً ، بقصد التقرب الى الله سبحانه وتعالى ، فقد ذكر ابن المجاور حديثاً عن منصور بن المقرب بن علي الدمشقي ، حول أذربيجان أن أصل أهلها عبيد وموال ؛ لذلك فيهم حماقة وكبر خارج ، ونفوسهم شحيحة وهمتهم قليلة ، وما ذكره ابن المجاور في روايته عن كنية المولود واسم الولد في أذربيجان، المقترنين بكنى وأسماء الله عز وجل، هما مقتبس من القرآن الكريم في الآيتين اللتين تم تخريجهما.

٢٢

روى ابن المجاور (٦٤) في حديثه عن بناء مدينة قلهاة أن أول من سكن

الأحمر ، وأشار الى نعم الله سبحانه وتعالى التي خص بها أهل الجزيرة ، فبعد طلوع الشمس يدوي الجو بطيور كثيرة تصطف على شاطئ البحر ، وتنزل على السكان بعد ساعة طيور تشبه الخرق ، ويقال تشبه السمان ، يبلغ عددها زهاء مائة ألف طير ! وعند نزولها على شاطئ البحر لاتستطيع الطيران فتأخذ الناس كفايتها منها في الذبح والطبخ ، ويتصف هذا الطير بغزارة لحمه وشحمه ولا يمل الناس منه ؛ بسبب لحمه الخفيف الطيب المريء ، وقد سأل ابن المجاور عنه بقوله : وما يسمي ؟ - والحديث الى بدر مولى بشر الصوفي - ، قال : السلوى ، وهو الذي قال الله عز وجل فيه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ (٥٩) ، فقلت للراوي: كم يكون دور الجزيرة ؟ قال: مسيرة يوم كامل لرجل طراد ، أي رجل فارس يمتطي جواداً ، وفي حديث ابن المجاور اقتباس من القرآن الكريم تم تخريجه وتوثيقه ، يتعلق بقصة النبي موسى (ع) مع بني إسرائيل - كما ذكرنا.

٢١

تحدث ابن المجاور (٦٥) عن الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءهم ، مقترنة بصفات الله سبحانه وتعالى والآلة ، لكن بصيغة المبالغة ، ففي رواية أن رجلاً

، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): جاء الحق وزهق الباطل أسلم تسلم ، فقال : كيف أسلمم والبغلة تعلم علم الغيب اني تحت القنطرة ؟ فحينئذ جرد علي بن أبي طالب (ع) السيف وضرب عنقه وهرب من سلم من القوم .

في هذه القصة إقتباس من القرآن الكريم في قول الإمام علي بن أبي طالب (ع): جاء الحق وزهق الباطل ، ويقصد

الساحل في قلعات الصيادون ، وهم قوم ضعفاء يترزقون الله ، ثم تكاثر القوم واستأنسوا ، وسكن من جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب اسمه : مالك بن فهم ، كان له دور كبير في تطور مدينة قلعات ونشاطها التجاري ، فقد ادار عليها سوراً من الحجر والجص ودخلتها المراكب من كل فج وخور وسائر الجهات ، وبمرور الزمن أصبحت المدينة ذات مكانة وهيبة عظيمة .

في رواية ابن المجاور استشهد و إقتباس من القرآن الكريم في كلمة : فج التي وردت في الكتاب العزيز وكلمة فجاج تعني : المسالك والطرق التي توصل بين الأماكن (٦٥) . وجاءت في وصف مكة التي قصدها الناس من كل فج عميق- كما ذكرنا.

٢٣

وصف ابن المجاور (٦٦) الطريق من المنصورة الى عدن راجعاً بدءاً من المنصورة الى ريسوت ، وذكر خروج الإمام علي بن أبي طالب (ع) لمواجهة الخوارج بالنهروان، فكسرهم وركب عليهم السيف ، وما زال يقتل فيهم الى أن أفنى الجميع، ورد البغلة الى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة .

قال علي بن أبي طالب (ع): انظروا من تحت القنطرة! فإذا هم ب: أبي الثديين



قيس (كيش) في البحر العربي وما فعل معه صاحب مكران ، الذي أرسل الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن وابن الحسين كهرو ، بمال جزيل فاشترى له من مسقط حصاناً قيمته ألف مثقال ، وركب (نقل) الحصان في مركب اجتاز به من بر العرب الى بر العجم ، فلما علم بخبر الحصان ملك قيس أرسل عدة مراكب (دوانيج وبومات) قطعوا عليه

بالحق هنا الإيمان والإسلام والتوحيد ، والباطل هو الكفر والشرك والضلال ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٦٧) .

ومعنى ذلك أن الإسلام والإيمان هما المنتصران على الكفر والشرك ، وهو انتصار الحق على الباطل .

٢٤

ذكر ابن المجاور (٦٨) ما فعل ملك جزيرة



طريق البحر وصادروا الحصان .

ولما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أخذ مراكب السُرَّاق وميلها على منادخ القيسي ، وقال لهم : ((كل مركب ترونه لصاحب قيس خذوه أخذ عزيز مقتدر)) ، فأخذوا من ذلك الموسم اثني عشر مركباً موسوقاً من مختلف الأمتعة والطرف والتحف والأموال ، وهذا يعني أن صاحب مكران الحق الضرر بصاحب جزيرة قيس وطالب بمصادرة أي مركب له وأخذه أخذ عزيز مقتدر . إقتباساً من القرآن الكريم في قوله عزوجل : ((ولقد جاء آل فرعون النذر ❖ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)) . (٦٩)

كان من نتائج مصادرة ملك جزيرة قيس للحصان الذي اشتراه صاحب مكران ، أن الأخير استطاع مصادرة اثني عشر مركباً لصاحب جزيرة قيس بما تحمل من البضائع الغالية ، مما اضطر الأخير أن يرسل الى الملك تاج الدين أبي المكارم صاحب مكران رسولا يقول له : ((قل الحمد لله على نعمه والله المستعان على أهل هذا الزمان ، كيف رجع الملوك سُرَّاقاً يقطعون طرق البحر على سلاكمه)) ، فقال تاج الدين للرسول : ((والله ما علمني قطع الطريق الا ملككم

((. ونجد في كلام رسول ملك جزيرة قيس إقتباساً من القرآن الكريم في عبارة : والله المستعان ، إذ وردت في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ((وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ❖ (٧٠) ، وقوله تعالى : ❖ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ❖ (٧١) .

لقد تضمنت هذه القصة نصين من القرآن الكريم إقتبسهما ابن المجاور في أسلوبه النثري الخاص ، وربما نقلهما من حكاية الرواة نقلاً عن تاج الدين أبي المكارم صاحب مكران ، ثم نقلاً عن رسول صاحب جزيرة قيس الذي بعث برسالة الى صاحب مكران حملها اليه . هوامش وتعليقات البحث

١- أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، القسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ، (لندن ، ١٩٥١ ، ١٩٥٤م) ، ص ١ .

وصدرت طبعة ثانية هي صورة طبق الأصل للطبعة الأولى ، ليس فيها تغيير باستثناء غلاف الكتاب فقط ! منشورات المدينة ، توزيع شركة دار التنوير

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْقًا مِّنَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ . الأنعام : ١٦٥ ،

وقال : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ

ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ . يوسف : ٧٦ ، وقال :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . المجادلة :

١١ .

١٩- تاريخ المستبصر ص ٥٥ ، راجع :

إبراهيم . مآثور الكلام العربي في كتاب

صفة بلاد اليمن ص ٢٤٤ .

٢٠- يوسف : ٨٨ . راجع أيضاً عن

(الضَّر) : النحل : ٥٣ ، الأسراء : ٦٧ ،

الأنبياء : ٨٣ .

٢١- يوسف : ١٨ . راجع : إبراهيم .

مآثور الكلام العربي ص ٢٤٤ .

٢٢- تاريخ المستبصر ص ٨١ .

٢٣- النحل : ٨ .

٢٤- تاريخ المستبصر ص ١٢٨-١٣٠ .

وعلى ص ١٢٩ خارطة قديمة لطبوغرافية

مدينة عدن ، راجع أيضاً : إبراهيم .

مآثور الكلام العربي ص ٢٣٩ .

٢٥- إلى هنا نهاية ص ١٢٨ وبعدها بداية

ص ١٣٠ بكلمة : (قلبه) .

٢٦- الحشر : ٢ ، راجع أيضاً : سورة

القيامة ١-١٦ .

٢٧- عبد الباقي . المعجم المشهرس

ص ٢٦٠-٢٦١ .

للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ /

١٩٨٦م) . ٢٠- الرحمن : ٧ ، وقوله تعالى

: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى

الْأَنْعَامِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ . العاشية : ١٧-١٨ .

٣- الحجر : ١٦ .

٤- ق : ٦ .

٥- الذاريات : ٢٠ ، راجع أيضاً :

الشعراء : ٢٤ ، الدخان : ٧ .

٦- الأنعام : ١٠٣-١٠٤ .

٧- العنكبوت : ٣٨ .

٨- الأعراف : ٢٠٣ ، الأسراء : ١٠٢ ،

القصص : ٤٣ ، الجاثية : ٢٠ .

٩- تاريخ المستبصر ص ٢-٣ .

١٠- الحج : ٢٧ ، راجع الإحالات : ٣٠-٣١

٦٤-٦٥ وهوامشها من بحثنا هذا .

١١- تاريخ المستبصر ص ١٨-٢٠ .

١٢- يوسف : ٧٧ .

١٣- الرعد : ١٠ .

١٤- المائدة : ٥٢ ، يونس : ٥٤ ، يوسف

: ١٩ ، طه : ٦٢ ، الأنبياء : ٣ ، سبأ : ٣٣ ،

التحريم : ٣ ، نوح : ٩ .

١٥- تاريخ المستبصر ص ٢٨-٣١ .

١٦- المصدر نفسه ص ٣١ .

١٧- الزخرف : ٣٢ .

١٨- قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْأَرْسُلُ قَضَلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ

بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ . البقرة : ٢٥٣ ، وقوله :

- ٢٨- الواقعة : ٨، ٢٧، ٣٨، ٤١، ٩٠، ٩١.
- ٢٩- تاريخ المستبصر ص ١٣٠ . راجع :
- المصدر نفسه ص ٢٠٤ حول مدينة صعدة ، إذ يقول ((فلما تمّ على أهل صعدة ماتم تراجعت الخلق من كل فجّ فعمر كل منزله ومسكنه وسكن فيه)).
- ٣٠- الحج : ٢٧ . راجع الإحالة رقم (١٠) وهامشها من بحثنا هذا.
- ٣١- تاريخ المستبصر ص ١٤٦ .
- ٣٢- الأحزاب : ٢٥ . راجع عن القتال ومفرداتها : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٨٠ .
- ٣٣- تاريخ المستبصر ص ١٤٧ .
- ٣٤- القيامة : ١٠-١٢ ، راجع : سورة الحشر : ٢ .
- ٣٥- تاريخ المستبصر ص ١٦٦ .
- ٣٦- يوسف : ١٨ ، والآية الصحيحة : ((والله المُستعان على ما تصفون)) . راجع إحالة رقم (٢١) وهامشها من بحثنا هذا.
- ٣٧- الحاقة : ٢٨-٣٢ .
- ٣٨- تاريخ المستبصر ص ١٦٦-١٦٧ .
- ٣٩- الهُمزة : ٢ - ٩ .
- ٤٠- تاريخ المستبصر ص ١٨٥-١٨٦ .
- ٤١- الطور : ٢-٣ .
- ٤٢- تاريخ المستبصر ص ١٩٢ .
- ٤٣- ص : ٢٠ ، راجع عن الحكمة في القرآن الكريم : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٧١ .
- ٤٤- تاريخ المستبصر ص ٢٠٦ .
- ٤٥- المصدر نفسه ص ٢٠٠-٢٠١ .
- ٤٦- ونص الآية الصحيحة : ((وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمين)) . وقال تعالى : ((وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين)) . الشعراء : ١٤٩ .
- ٤٧- الكهف : ٢٩ ، راجع عن مفردات : ساء وساءت : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٤٦٧ ، وعن : الشراب ص ٤٧٩ .
- ٤٨- تاريخ المستبصر ص ٢١٧ ، راجع أيضاً : ابراهيم . رحلة مع أشعار الغربية والحنين الى الأوطان ص ٤٣ .
- ٤٩- الأنفال : ٤٤، ٤٤ . راجع أيضاً : النساء : ٤٧ ، الإسراء : ٥ ، ١٠٨ ، المزمّل : ١٨ ، عبد الباقي : المعجم المفهرس ص ٦٦٦ .
- ٥٠- تاريخ المستبصر ص ٢٢١ .
- ٥١- الأعراف : ٤٦-٤٨ ، راجع : ابراهيم

- ٢٢٨ ، راجع : إبراهيم. أشعار الحكم
والمواعظ ص٨٠ .
- ٥٧ - البقرة : ٥٧ ، راجع أيضاً عن (
المن والسلوى) : الأعراف : ١٦٠ ، طه
: ٨٠ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس
ص ٤٥٤ .
- ٥٨ - تاريخ المستبصر ص ٢٤٤ .
- ٥٩ - الأعراف : ١٦٠ ، وتخرىج الآية
- ٢٤١ . مأثور الكلام العربي ص .
- ٥٢ - تاريخ المستبصر ص ٢٢٤-٢٢٥ ،
راجع بحثنا : مأثور الكلام العربي ص
٢٤٢ .
- ٥٣ - الصافات : ١٠١ - ١٠٢ .
- ٥٤ - تاريخ المستبصر ص ٢٢٥ .
- ٥٥ - يوسف : ١٩ .
- ٥٦ - تاريخ المستبصر ص ٢٢٧ -



قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣١) ، وقال :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سَبَاطًا لَيْسَلِكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ . نوح : ١٩-٢٠ ، راجع : عبد

الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٥١ .

٦٦- تاريخ المستبصر ص ٢٧٥-٢٧٦ .

٦٧- الإسراء : ٨١ ، راجع : عبد الباقي

. المعجم المفهرس ص ١٥٧ .

٦٨- تاريخ المستبصر ص ٢٩٨-٢٩٩

، راجع أيضاً : ابراهيم . أشعار الحكم

والمواعظ ص ٨٤-٨٥ .

٦٩- القمر : ٤١-٤٢ .

٧٠- يوسف : ١٨ .

٧١- الأنبياء : ١١٢ ، راجع عن (

تَصْفُونَ) : عبد الباقي . المعجم

المفهرس ص ٩١٩ .

مصادر البحث ومراجعته

كاملة : () وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ

اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ

الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ

وَضَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ

الْمَنَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

٦٠- تاريخ المستبصر ص ٢٥٥ .

٦١- (قل من رب السموات السبع

ورب العرش العظيم) . المؤمنون :

٨٦ .

٦٢- (ويمسك السماء أن تقع على

الأرض إلا بإذنه ان الله بالناس لرؤوف

رحيم) . الحج : ٦٥ .

٦٣- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿ . الزمر : ٦٧ .

٦٤- تاريخ المستبصر ص ٢٧٢ -

٢٧٤ (بين الصفحتين ص ٢٧٣ مخطط

مدينة قلهاة) .

٦٥- راجع عن كلمة : فج ، سورة

الحج : ٢٧ ، و بخصوص كلمة فجاج

- ١- القرآن الكريم .
❖ ابراهيم أ.د. محمد كريم (الشمري) .
- ٢- أشعار الحكّم والمواعظ والعبر والدروس في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لأبن المجاور البغدادي النيسابوري ، مجلة التواصل ، العدد : ١٠ ، إصدار : نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٣ م) .
- ٣- رحلة مع أشعار : الغربية والحنين الى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان (في كتاب : تاريخ المستبصر) لأبن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة التواصل ، العدد : ٨ ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٢ م) .
- ٤- مآثور الكلام العربي في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لأبن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة اليمن ، العدد : ٢٠ ، إصدار : مركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، شوال ١٤٢٥هـ /
- نوفمبر ٢٠٠٤م) .
❖ ابن المجاور البغدادي النيسابوري ، ابو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن احمد ، (ت: ٥٠٦: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
- ٥- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، قسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أوسكر لوفغرين ، مطبعة برييل ، (ليدن : ١٩٥١ ، ١٩٥٤م) .
❖ عبد الباقي ، محمد فؤاد .
- ٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، منشورات ذوي القربى ، الطبعة الثالثة ، مطبعة ظهور ،





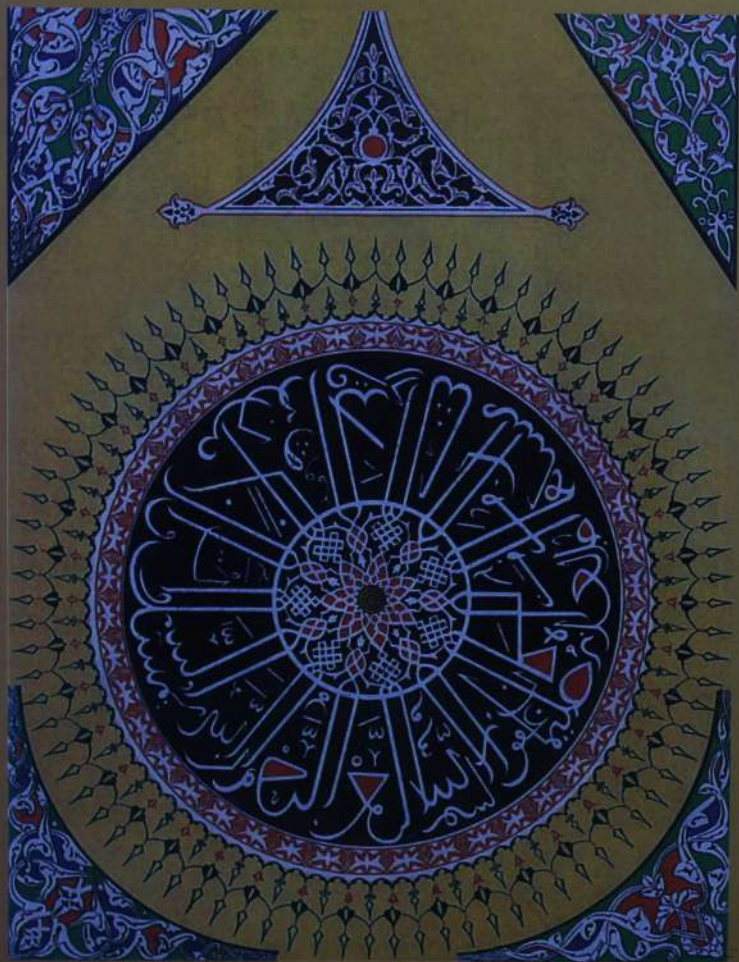
استشر الله عليه وآله وسلم

تفسير الرسول للنص القرآني

بين مقتضى الوجوب وضرورة الواقع

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

جامعة الكوفة



الخلاصة

نصوصه مفهومة من قبل من عاصروا نزوله وقتذاك؛ ذلك بأن أبناء اللغة الواحدة وإن كانوا يتعاملون باللغة نفسها؛ فإن تملكهم للقدره على التخاطب فيما بينهم لا تعني بالضرورة أن كل فرد منهم قادر على الأمام بكل مفردات تلك اللغة، ومطلع على جميع معانيها ومتطلع من أساليبها كافة؛ إذ إن معرفته بلغته وقدرته على التكم بها لا تدل باللزوم على أنه قد استوعبها جميعاً أو أنه قادر على استيعابها بأسرها.

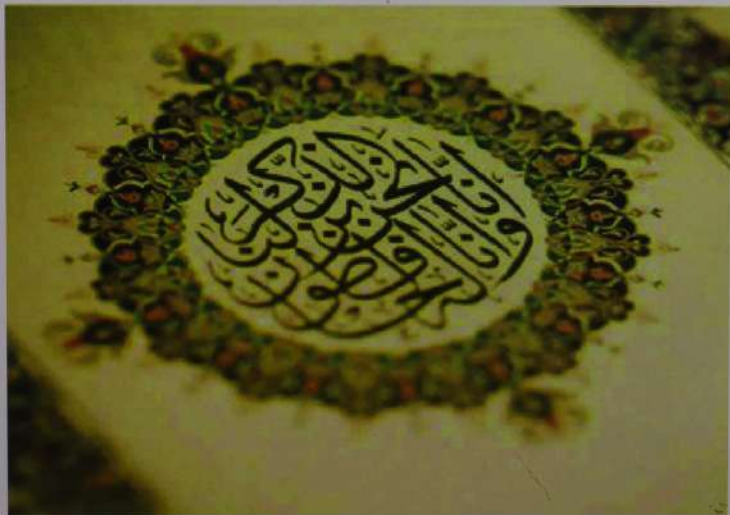
من هنا نقول إن الصحابة الذين عاصروا نزول القرآن الكريم في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تستوقفهم بعض معاني المفردات فيركنون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لإيضاحها واستجلاء دلالاتها؛ لأنهم كانوا يفهمون التعبير القرآني وقتذاك فهماً إجمالياً كلياً لا فهماً تفصيلاً احتوائياً فلا يسع أحداً منهم أن يستوعب كل معاني ذلك التعبير المقدس؛ وذلك لفقدانه المقدرة على استيعاب كل تفاصيل الخطاب اللغوي الذي نزل به النص القرآني من جهة؛ ولعدم انسجام بعضهم الآخر مع أفكار ومضامين ذلك

تمثل هذه المقالة مقاربة علمية للإجابة عن داعي بيان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) للنص القرآني، أ فبعد هذا البيان لمحتوى نصوص السماء المعجزة تكليفاً إليها محضاً أم انه يرتبط بمنطق ضرورة الواقع الذي يعيشه المتلقون لحظة نزول النص، فالبيان الرسولي للنص القرآني يعد مجرد تلبية لمطلب الهي وجوبي أم انه تلبية لمتطلبات الحاجة وداعي مستوى فهم المتلقي للنص أو ان كلا الأمرين مراد في وقت معاً بناءً على حكمته سبحانه وتعالى؛ كل هذه التساؤلات ستسعى هذه المقالة للإيفاء بها ما وسع الأمر إلى ذلك سبيلاً.

يعد النص القرآني النص الأخصب - دلالياً ومضمونياً- على وجه الإطلاق؛ إذ لا حد لتوارد غرائبه ولا نطاق لتوقف عجائبه فلا وجود لنص مماثل له يعاصر جميع الأزمنة سواه؛ من هنا يمكن أن نؤسس القول بأن التعبير القرآني وإن نزل على وفق اللسان العربي بيد أن هذا لا يعني أن جميع

تدعو الصحابيِّ - وقتذاك - الحاجةُ الى الركون لمورد يستقي منه ايضاح دلالات النص القرآني؛ فظهرت من هنا بدايات التفسير القرآني على يد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه الوحيد القادر على تفسير النص وايضاحه في زمن النزول، ثم أن مهمته الرسالية كانت تفرض عليه ذلك؛ إذ أوكل سبحانه للرسول مهمة بيان النص إلزاماً في غير موضع من كتابه العزيز من ذلك قوله تعالى

النص المعجز من جهة أخرى (١)؛ ذلك بأن القرآن الكريم قد استعمل بعض المفردات العربية على غير معانيها التي كانت تستعمل لدى العرب في ذلك الوقت؛ من هنا فهي حينما ترد في سياق النص لا يفهمها العربي ولا ينسجم مع مضمونها روحياً؛ إما لأنها بعيدة عن نطاق استعماله الدلالي، وإما لأنه ما زال بعيداً عن روح النص فتصوره - والحال هذه - ما زال محدداً مُقيداً بالمعتقدات الجاهلية؛ لهذا



معنى الأب من القرآن وقال: أي سماء تظلني، أم أي أرض تقلني، أم كيف اصنع إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم؛ أما الفاكهة فنعرّفها وأما الأب فالله أعلم)) (٥)، وفي موضع آخر روى ((أنس بن مالك قال: إن عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (٦) قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التّكفّف، فما عليك أن لا تدري ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه)) (٧) فعمر وأبو بكر لم يستطعا أن يفهما معنى لفظة (الأب) في الآية؛ لهذا احتيج إلى تفسير هذه اللفظة، ففسّرها الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله إن الأب تعني الحشاش؛ إذ ((بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) مقالته في ذلك فقال: سبحان الله أما علم أن الأب هو الكلاء والمرعى وأن قوله سبحانه ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ اعتداد من الله بانعامه على خلقه فيما اغذاهم به وخلقهم لهم ولانعامهم مما تحبى به

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٢) وقوله أيضاً ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) فقولته في الآية الأولى ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ تدل على أن الرسول مكلف من الله تعالى في تعليم النص القرآني وإيضاح معانيه تفسيراً؛ ثم أن قوله (وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) فيه دلالة واضحة على أنهم لا يعلمون كل ما في النص القرآني وإن فهمهم له اجمالي وإن من هذا التعبير ما يحتاج إلى بيان منه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذا الحال فيما يخص الآية الثانية إذ نجد فيها قوله ﴿الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فكان واجباً على الرسول أن يبين عموم ما في النص القرآني.

وما يعضد كون الصحابة يحتاجون إلى بيان بعض نصوص القرآن - بناءً على مقتضى الواقع - هو ما ورد عنهم من تردد في فهم بعض معاني القرآن الكريم من ذلك ما (روى من أن أبا بكر سئل عن قول الله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (٤) فلم يعرف

أنفسهم وتقوم به أجسادهم)) (٨) فكان الإمام مفسراً لهذه المفردة في الآية. ومن ذلك أيضاً ما نقل عن ابن عباس من أنه لم يكن يعرف معنى لفظة (فاطر) حيث يقول: ((كنت لا أدري ما فاطر السماوات؛ حتى أتاني إعرابيان قد تخاصما في بئر، فقال احدهما: أنا فطرناها؛ أي أنا أبدعناها)) (٩)

إن هذه الروايات وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الصحابة لم يكونوا يعلمون كل ما في القرآن، وإن منهم من يحتاج إلى معرفة ما استغلق عليه وغمض؛ لذا كان من الواجب على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفسر لهم ما اختلف في فهمه أو ما لم يستطيعوا الوصول إلى معرفته.

من هنا ((تصدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتفصيل ما أجمل في القرآن إجمالاً، و بيان ما أبهم منه إما بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في حل تشريعاته من فرائض و سنن و أحكام و آداب، كانت سنته (صلى الله عليه وآله وسلم) قولاً وعملاً وتقريباً، كان كلها بياناً و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز وحل مبهمات

في التشريع والتسنين)) (١٠). ومما ورد من تفسير عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبعض ما أشكل على الصحابة معرفة هو تفسيره (صلى الله عليه وآله وسلم) للفظة (الصلاة)؛ إذ كانت تعني لدى العرب (الدعاء) غير أنه سبحانه وجهه هذا اللفظ إلى خصوصيات معينة؛ لذا أشكل معنى هذه اللفظة على الصحابة في قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (١١)؛ إذ إن لفظتي (الصلاة) و (الزكاة) مجملتان في هذه الآية؛ لأن لفظة الصلاة في اللغة تعني الدعاء، أما لفظة الزكاة فمعناها الأصل هو (النماء) (١٢)، غير أن الله تعالى جاء بهاتين اللفظتين على غير ما عُرف لهما من معنى أصل لدى العرب؛ ((فقد أمرهم تعالى بالصلاة والزكاة على سبيل الإجمال)) (١٣) المبهم في هذه الآية، ولكن لرب سائل يسأل ((كيف أمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة؟ قيل: إنما أمروا بذلك لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ قال ((ما أتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) (١٤) ولذلك جاز أن يأمرهم

(الحج) بالسنة العملية أمام الصحابة حينما أدى مناسك الحج وقال لهم: ((خذوا عني مناسككم)) (٢٠) فكان هذا الفعل بياناً وتفسيراً للفظ (الحج) في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٢١)؛ ((وهكذا كان الصحابة يستفهمونه كلما تلا عليهم القرآن أو اقراهم آية أو آيات، كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و مقاصد و احكام؛ ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها)) (٢٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْزِقْنَ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢٣) ، فلفظة (المطلقات) في النص عامة تدل على كل من طلقت سواء أكان الزوج داخلاً بها أم لا ، فجاءت السنة مخصصة لهذا لعموم المطلقات فخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الحكم بالمدخول بهن، اما غير المدخول بهن فلا اعتداد لهن. من هنا نصل الى قناعة تنص على أن تفسير الرسول الكريم للنص القرآني كان محكوماً بأمرين ملحقين هما:

١- تلبية للتكليف السماوي الذي دعاه الى كشف ما أبهم واستغلق من طيات النص القرآني على الناس؛ حتى

بالصلاة والزكاة على طريق الجملة ويحيلهم في التفصيل على بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((١٥) في السنة، فالزكاة لا يراد منها معناها اللغوي وإنما يراد شرانطها ومقاديرها وما تجب عليه التي بينها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ف (الزكاة في الشريعة ما يجب إخراجه من المال نماء ما يبقى ويثمر)) (١٦) ، وكذا الحال للصلاة فهي ((في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان وإذكار مخصوصة)) (١٧) وقد فسرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً بقوله للناس حينما أدى الصلاة أمامهم: ((أصلوا كما رأيتموني أصلي)) (١٨) فكان المعنى الشرعي للصلاة مجملاً عليهم وقتذاك لاحتواء المعنى على خصوصيات ((القيام والركوع والسجود والتسبيح ومراعاة حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الحضور والإقبال بالقلب والجوارح)) (١٩) فهذه الأمور كانت مبهمة لديهم لجهلهم بها؛ فاحتاجت إلى تفسير وإيضاح من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
وفسّر (صلوات الله وسلامه عليه) لفظة

يلزمهم بالحجة والبيان.

٢- اقتضاء حاجة الواقع المعاش وقتذاك إلى ضرورة وجود موضح للنص؛ ذلك بأن الصحابة يتفاوتون في فهم دلالات التعبير المقدس على وفق تقبل عقولهم؛ إذ من المحال أن يفهم أحدهم جميع ما في النص القرآني من معان؛ وإن قيل تسامحاً بإمكان ذلك فإن ثمة دلالة تبقى خفية لم يفهمها ذلك الصاحبى ولن يصل إليها بعد ألا هي دلالة باطن النص؛ إذ إن النص لا يعتمد في بيانه على ظاهره فحسب؛ بل إن لباطنه وما تخفيه الألفاظ وراءها من دلالات ما يحتاج إلى تأمل ونظر وطول تمرس حتى يتسنى لقاريء النص أن يلتقط تلك الدلالات المخفية ويستظهرها على سطح النص؛ من هنا اقتضت الضرورة أن يكون الرسول هو أول من يفسر النص وقتذاك.

ولكن ثمة سؤالاً يثار وهو هل فسر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن الكريم باجمعه؟ وللدرد على هذا التساؤل انقسم العلماء في إجابته على صنفين الأول يرى أن الرسول لم يفسر القرآن بأسره وإنما فسر بعضه دون بعض؛ لأن الوارد عنه في الأثر لا

يدل على أنه قد فسر التعبير القرآني بأسره وتزعم هذا الاتجاه السيوطي؛ إذ يقول: ((الذي صح من ذلك قليل جداً؛ بل أصل المرفوع منه في غاية القلة)) (٢٤)، على حين مال آخرون إلى أن الرسول قد فسر النص القرآني بأسره، وللخروج من هذا التزاحم نميل إلى أن ثمة تفسيرين للنص القرآن كما ذهب إلى هذا السيد محمد باقر الصدر؛ إذ يرى أن الرسول قد فسر القرآن على مستويين (٢٥):

١- تفسير عام؛ وهو ما اختص به الصحابة حينما يسألونه عن معنى مفردة ما أو دلالة آية معينة لا يعرفون مضمونها تفصيلاً.

٢- تفسير خاص؛ وهو ما ألهمه إلى الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ فسر له القرآن كله دون استثناء وذلك تأسيساً على تصريح الإمام بذلك، إذ يقول: ((فما نزلت علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا أقرانها وأملأها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب

أن الرسول قد فسر القرآن تارة على وفق الحاجة إلى ذلك من السائل أو ما يرى فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرورة للإيضاح، وهذا تفسير جزئي للنص، وتارة فسرّه وأوضّحه توضيحاً كلياً للإمام (عليه السلام) للبيان بأن هذا الإمام سيتولّى النيابة عنه في بيان مكثوات النص وخفاياه. وبالمحصلة النهائية يمكن تلخيص الثمرات اللاتي استخلصناها على النحو الآتي:

١- اتّضح أن الرسول (صلى الله عليه

الله، ولا علماً أملاه عليّ وكتبتهُ مُنذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلا علمنيّه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً)) (٢٦).

تأسيساً على قول الإمام نجد أن الرسول قد خصّه بتفسير النص بكامله من أوله إلى آخره وهذا ما لم يميز فيه الرسول أحداً سوى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فنستدل من هنا على



وآله وسلم) هو أول مفسر للنص القرآني؛ وذلك من منطلقين: الأول: إن النص القرآني نفسه قرر تكليف الرسول بإيضاح ما فيه من مرتكزات دلالية لمتلقيه، وذلك بداعي اللام التعليلية المرتبطة بالفعل (الْبَيِّنَ) في قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ من هنا نصل إلى أن التفسير القرآني هو مهمة سماوية منوطة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول الأمر؛ لذا وجب عليه الإيضاح المضموني للناس وهو بهذا أول مفسر للنص بلا نقاش. والثاني: إن الرسول نفسه هو الصق الناس بالنص وأكثرهم إيماناً بالله ومعرفة بكتابه؛ من هنا يكون هو الأجدر والأولى - على وجه الإطلاق - بتفصيل مكامن كلامه سبحانه؛ فضلاً عن أن تملكه القدرة العالية على توظيف (البلاغة) وهمينته على توجيه (الفصاحة) على وفق تمييز متفرد يدعمان مشروعية تأهيله لتفسير النص؛ إذ يقول: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أفصح العرب ولا فخر)) (٢٧) ، فمن كانت له هيمنة على مقاليد الخطاب فصاحة له أن يفهم الخطاب

الفصح - النص القرآني - أكثر من غيره لقدرته الذهنية على انتاج الابداع وفهم ذلك الابداع في وقت معاً؛ مع الاحتفاظ بالفارق النوعي بين طبيعة الابداعين؛ حديث الرسول والتعبير القرآني.

٢- إن أغلب التفسيرات التي كانت تتناول النص إنما هي تنحصر في حدود بيان المفردة القرآنية فحسب دون التراكيب الجملية أو النصوص الكلية، وهذا يدل على أن المحاولات التفسيرية الأولى كانت عبارة عن مقاربات مضمونية (معجمية أو سياقية) مرتبطة في نطاق المفردة فقط، ولعل هذا يفسر لنا داعي ظهور المعجم العربي فيما بعد على أساس ديني؛ فإذا كانت المقاربات الأولى لإيضاح النص تحرك في مجال المفردة اللغوية القرآنية ولا تتعداها؛ فإن المعجم العربي لأبد - والحال هذه- من أنه اعتمد في جانب منه على تفسير هذه المفردات؛ إذ يقال أن أول كتاب تفسيري مدون هو كتاب (غريب القرآن) لابن عباس، فإن صح هذا فإنه يمكن القول إن أول معجم لغوي الألفاظ قد ظهر على يد ابن عباس (٢٨) - وإن كان ابن عباس لم

الهوامش:

- (١) محمد باقر الصدر: بحوث في علوم القرآن: ١٤٠-١٤١.
- (٢) سورة البقرة: ١٥١.
- (٣) سورة النحل: ٤٤.
- (٤) سورة عبس: ٣١.
- (٥) الفيض الكاشاني: الصافي: ٥/٢٨٦.
- (٦) سورة عبس: ٢٧-٣١.
- (٧) الأميني: الغدير: ٦/٩٩، وينظر: الزمخشري: الكشاف: ٤/٢٢٠، والحاكم: المستدرک: ٢/٥١٤، وحيدر علي بن محمد الشرواني: مناقب أهل البيت (عليه السلام): ٣٤٠.
- ❖ قصد الامام بذلك مقالة ابي بكر.
- (٨) الفيض الكاشاني: الصافي: ٥/٢٨٧.
- (٩) محمد باقر الصدر: بحوث في علوم القرآن: ١٤٢.
- (١٠) محمد هادي معرفة: التفسير والمفسرون في قشيبه الجديد: ١٥٧-١٥٨.
- (١١) سورة البقرة: ٤٣.
- (١٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب: ١٤/٤٦٥، والطوسي: التبيان: ١/١٩٣، والطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦.
- (١٣) الطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦، وينظر: الحائري: مقتنيات الدرر:

يكن في نيته أن يضع معجماً للنص القرآني؛ بل كان في دافعه في هذا هو التفسير فحسب- غير أن هذا التوجيه - إذا ما أخذناه باطمئنان- فإنه يقوي القول بأن ولادة المعجم كانت بداع ديني كحال سائر علوم العربية الأخر؛ إذ ثمة شك قوي في الدراسات اللغوية يدفع القول بأن المعجم العربي قد ظهر لخدمة النص القرآني، غير أن المحاولات الأولى للتفسير القرآني تدفع هذا التدافع وتعزز القول بارتباط نشوء المعجم العربي بالنص القرآني.

٣- ثبت أن الصحابة يتفاوتون في فهم النص؛ بل يتفاوتون في طريقة نظرهم وتفسيرهم للنص القرآني نفسه؛ وبهذا ثبت المقتضى التفسيري على الرسول الأعظم، زيادة على وجود مستند الهي تكليفي نصي بوجوب استظهار هذا البيان المضموني بحسب الحاجة والمطلب للناس كافة.

٤- إن القناعة تنص على أن الرسول قد فسّر النص القرآني مرتين: الأولى كان تفسيره فيها جزئياً على وفق مقتضى الحاجة وتلبية مطلب السؤال، والثانية فسّر فيها النص بكامله إلى الإمام علي (عليه السلام) لمقتضى

الكتاب نسخة مخطوطة موجودة في
برلين الآن.

ينظر: رشيد العبيدي آخرون: تاريخ
العربية: ٦٨، والزيات: تاريخ الأدب
العربي: ١/٧٣١.

ثبت المصادر والمراجع :

❖ القرآن الكريم.

❖ الأميني: الشيخ عبد الحسين
(١٣٩٢هـ): الغدير، مطبعة دار الكتاب
العربي - بيروت، ١٣٧٩هـ.

❖ الباقلاني: ابو بكر محمد بن الطيب
(ت ٣٠٤هـ): اعجاز القرآن، تح: السيد
احمد صقر، دار المعارف - مصر،
٣، د.ت.

❖ البخاري: محمد بن سليمان :
صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى
ديب البغا، مطبعة دار ابن كثير -
بيروت، ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٧م.

❖ الجصاص: ابو بكر احمد بن علي
الرازي (ت ٣٧٠هـ): احكام القرآن، دار
الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

❖ الحائري: مير سيد علي
الطهراني (ت ١٣٤٠هـ): مقتنيات الدرر،
مطبعة دار الكتب الاسلامية -
طهران، ١٣٣٧هـ.

❖ الحاكم: محمد بن عبد الله ابو
عبد الله النيسابوري: المستدرک علی

١٥١/١

(١٤) سورة الحشر: ٧

(١٥) الطوسي: التبيان: ١/١٩٣، وينظر:

الطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦

(١٦) الطوسي: التبيان: ١/١٩٣

(١٧) م ن: ١/٥٤

(١٨) البخاري: صحيح البخاري: ١/٢٢٦

(١٩) الحائري: مقتنيات الدرر: ١/٤٠،

وينظر: الشيرازي: الامثل: ١/١٦١،

وشبر: الجوهر الثمين: ١/٦٦

(٢٠) ينظر: الشافعي: مسند الشافعي

ترتيب السندي: ٩٦٣، ومالك بن انس:

الموطأ (رواية محمد بن الحسن):

٢/٣٢٩.

(٢١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢٢) محمد هادي معرفة: التفسير

والمفسرون في قشبه الجديد: ١/

١٥٨.

(٢٣) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢٤) السيوطي: الاتقان في علوم

القرآن: ٢/٤٧٣.

(٢٥) محمد باقر الصدر: بحوث في

علوم القرآن: ١٤٨.

(٢٦) الصدوق: الخصال: ٢٥٧.

(٢٧) الجصاص: احكام القرآن: ٣/١٦٣،

وينظر: الباقلاني: اعجاز القرآن: ٢٩١.

(٢٨) إذ يذكر بروكلمان أن من هذا

- الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ❖ حيدر علي بن محمد الشرواني (ت ١٢٠٠ هـ): ما روته العامة من مناقب أهل البيت، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مطبع المنشورات الإسلامية، ١٤١٤ هـ.
- ❖ رشيد عبد الرحمن العبيدي وآخرون: تاريخ العربية، د. مط، دت.
- ❖ الزمخشري: ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ): الكشف عن حقائق التنزيل، ضبطه وصححه: عبد الرزاق المهدي، مطبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ❖ الزيات: احمد حسن: تاريخ الأدب العربي، مصر، دت.
- ❖ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ): الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، مطبعة دار الفكر - لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ❖ الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس: مسند الشافعي، مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت، دت.
- ❖ شبير: السيد عبد الله (ت ١٢٤٢ هـ): الجوهر الثمين، مطبعة الكويت - مكتبة الاضيق، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ❖ الشيرازي: ناصر مكارم: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- ❖ الصدوق (ت ٣٨١ هـ): الخصال، تحقيق: علي اكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، دت.
- ❖ الطبرسي: امين الدين ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ): مجمع البيان، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٧٩ هـ.
- ❖ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم - مكتبة الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٣٧٩ هـ.
- ❖ الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ): الصافي في تفسير كلام الله، دار المرتضى للنشر - مشهد، ط ١، دت.
- ❖ مالك بن انس أبو عبد الله الأصبحي: موطأ (برواية محمد بن الحسن)، تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات

العربية المتحدة، الناشر: دار القلم -

دمشق، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م

❖ محمد باقر الصدر: بحوث في علوم

القرآن، مجمع الثقلين العلمي، بغداد

- العراق. د.ت.

❖ محمد هادي معرفة: التفسير

والمفسرون في ثوبه القشيب، مؤسسة

الطبع والنشر في الاستانة الرضوية

المقدسة - قم المقدسة، ط ٢، ١٤٢٥

ق- ١٣٨٣ ش.

❖ ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين

محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان

العرب، مطبعة دار صادر للطباعة

والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، د.ت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِإِجْبَاءِ نَصْرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ
وَمَا يُخْلِقُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا
وَاسْتَغْفِرُهُ

التوحيد العبادي من (المنظور القرآني)

نعمة النجار

قم المقدسة

The image features intricate Arabic calligraphy in black ink, set against a light grey background with a repeating geometric pattern of interlocking lines. The text is written in a highly decorative style, characteristic of Thuluth or a similar calligraphic script. The letters are elongated and interconnected, forming a single, continuous line that curves slightly upwards on the right side. The calligraphy is a well-known Islamic phrase: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful).

كاستجلاب الرزق، والخيرات والبركات على الأمة والعباد، فيقول عز من قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦) (٤) ولقد اهتم أهل البيت بذلك

اهتماماً كبيراً، فحينما نقرأ في أول نهج البلاغة، نجد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام يتكلم في خطبته الرائعة عن التوحيد إذ يصفه، بأنه أساس الدين، فيقول عليه السلام: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَةُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نُضْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَاهُ وَمَنْ جَزَاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ عَدَهُ» (٥)

ويؤكد عليه السلام في مورد آخر، على قضية التوحيد، في وصيته لولده الحسن عليه السلام قائلا له: «وَاعْلَمْ يَا بَنِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن للتوحيد أثراً عظيمة وثماراً طيبة ومباركة على المجتمع. فالتوحيد هو سبب الأمن والأمان في المجتمع الإسلامي وهذا جلي وواضح من خلال قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ يُرْتَدُونَ﴾ (٨٢) (١)، والظلم كما فسر من قبل البعض على إنه الشرك، من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَ لِزُرْعَةِ رَبِّهِ بِكَفَّيْتَهُ فَأَتَاهُمُ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٣) (٢)

يعد التوحيد أيضاً السبب الأساس في الاستخلاف والتمكين في الأرض. فيقول سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥) (٣)

واضافة الى ما تقدم فإن للتوحيد أثراً أخرى في حياة العبد الموحد

و لَرَأَيْتَ أَثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ
أَعْمَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا
وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَ
لَا يَزُولُ أَبَدًا وَ لَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ
بِلاَ أَوْلِيَّةٍ وَ آخِرَ بَعْدِ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَائَةٍ
عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ
أَوْ بَصَرٍ (٦) فيمكن الاستفادة من هذه
الوصية، برهاناً عقلياً جلياً وصريحاً،
على وحدانية الله تعالى.

وهذا ما رام إليه الإمام الحسين عليه السلام
في دعائه العظيم والمبارك، والمليء
بالدروس العقديّة، والمعارف الإلهية،
الذي يسمى بدعاء (عرفة)، إذ يخاطب
ربه، قائلاً: إلهي، تردّدي في الأثار
يوجب بُعد المزار، فاجمعني عليك
بخدمة توصلني إليك، كيف يُستدلُّ
عليك بما هو في وجوده مُضْتَمِرٌ إليك
؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتّى يكون هو المُظْهِرُ لك ؟ متى
غُيِبَتْ حتّى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك
؟ ومتى بُعِدَتْ حتّى تكون الأثار هي
التي توصل إليك ؟ عمّيت عين لا تراك
عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم
تجعل له من حُبِّكَ نصيباً، إلهي ،

أمرت بالرجوع إلى الأثار، فأرجعني
إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار
، حتّى أرجع إليك منها كما دخلت
إليك منها مصون السّرّ عن النظر إليها
، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها ،
إنك على كل شيء قدير (٧) والقارئ
لكتاب الله تعالى، يجد في طياته الكثير
من الآيات الصريحة والواضحة، التي
تشير إلى التوحيد وأقسامه وأبعاده،
ولقد تكلمنا عن البعض منها، في
طيات بحثنا المتواضع، من خلال عدة
فقرات، تمثلت بما يأتي:

- ١- التوحيد.
 - ٢- أقسام التوحيد.
 - ٣- التوحيد في العبادة.
 - ٤- العبادة لغة واصطلاحاً.
 - ٥- أسباب العبادة.
 - ٦- حقيقة العبادة.
 - ٧- نماذج تطبيقية من آيات التوحيد
العبادي في القرآن الكريم.
التوحيد: (الغة واصطلاحاً).
- لا يمكن تعريف التوحيد بشكل دقيق
بحيث يتفق عليه الجميع، وهذا ديدن
أصحاب كل علم، فما وجدناهم قد

في داخل الذات أو نفي الصفات الزائدة على الذات.

٣- أو الإيمان بالتحاد الصفات الذاتية، مع عين الذات الإلهية، ونفي الصفات الزائدة على الذات.٩.

٢- أقسام التوحيد.

لقد قسم التوحيد من قبل المختصين بعلم الكلام على عدة أقسام، ولا نعلم متى بدء ذلك التقسيم وعلى يدي من؟، ولكن يمكن القول: بأن تلك التقسيمات قد تكون لها جذور في علم

اتفقوا على تعريف واحد لنفس العلم، إلا ما ندر.

ويمكن تعريفه (لغة): الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد(٨)

وأما (اصطلاحاً): فقد عرف بعدة تعريفات، يمكن أن نشير إلى بعض منها:

١- معنى التوحيد يعني نفي التعدد والكثرة في الخارج عن الذات أو نفي التركيب عنه.

٢- أو هو الإيمان بالأحادية والبساطة



في الوجود إلا الله سبحانه) ولا يتنافى هذا مع اختيار الإنسان أبداً، وقد قُسم هذا النوع من التوحيد على عدة أقسام: توحيد الخالقية: (الخلق منه فقط).

توحيد الربوبية: (تدبير الكون إليه فقط).

توحيد المالكية والحاكمية التكوينية. توحيد الحاكمية التشريعية والتقنينية.

توحيد الطاعة: (تجب طاعة أوامره فقط أو أوامر الذين أمر بطاعتهم) (١٣)

والذي يهمننا في المقام من هذه الأقسام، هو القسم الثالث (العبادي) . التوحيد في العبادة.

التوحيد في العبادة مما اتفق على اختصاصه بالله سبحانه جميع المسلمين، بل الإلهيين، وهو الهدف والغاية الأسنى من بعث الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣١﴾ (١٤)

وناهيك في أهمية ذلك أن الإسلام،

الكلام والحديث أو موجودة بمسميات مختلفة، بين الكتب، ثم بعد ذلك نظمت وأظهرت بذلك المظهر وهذا التقسيم.

وعلى أية حال لا يهمننا كثيراً معرفة من بدء هذا التقسيم، وفي أية فترة ظهر، الذي يهمننا أن أصحاب هذا العلم قد قسموه على عدة أقسام، يمكن ذكرها بما يأتي :

١- توحيد الذات: ويقصد به أن ذات الله واحدة ولا مثيل لها ويضيف الشهيد المطهري إلى ما تقدم ، وكل ما سواه مخلوق و دونه في مراتب الكمال، بل لا يمكن النسبة بينهما ، إن قوله تعالى ليس كمثل شيء ، ولم يكن له كفوا احد بين للتوحيد الذاتي(١٠)

٢- توحيد الصفات: والمقصود به بأن صفات الله عز وجل ترجع كلها إلى حقيقة واحدة هي ذاته (١١)

٣- توحيد العبادة: وتعني بأن العبادة تليق بذاته المقدسة فقط (١٢)

٤- توحيد الأفعال: المقصود به هو المبدء لكل خلق ونظام الكون وكل حركة وفعل في هذا العالم (لا مؤثر

تعالى، بدافع الرجاء للثواب، فقد ذكر القرآن في آيات كثيرة إن الذي يعبد الله بنية خالصة يستحق منه الثواب فيقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٠) ١٩٤.

٤- وأما السبب الرابع الذي يعبد من أجله، هو الخوف من العقاب، وهذا جلي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١١٣) ٢٠٤.

وهذا ما يلاحظ بشكل جلي في الخبر الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ (٢١)»

وقال عليه السلام في مناجاته لله سبحانه وتعالى: [إلهي ما عبدتك خوفاً من تارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك] (٢٢) العبادة (لغة واصطلاحاً):

إن الذي يتفحص كتب اللغة، والكتب المختصة في العقيدة والتفسير،

قرره شعاراً للمسلمين يؤكدون عليه في صلواتهم الواجبة والمندوبة بقولهم: ﴿إِلَّاكَ تَعْبُدُ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِثُ﴾ (١٥).

كما أن مكافحة النبي ﷺ، وسائر الأنبياء للوثنيين تتركز على هذه النقطة غالباً، كما هو ظاهر لمن راجع القرآن الكريم، ١٦، بل يعد توحيد العبادة أكثر فروع التوحيد حساسية ١٧ ويمكن إجماله على أنه لا تجوز عبادة أحد سوا ١٨.

أسباب العبادة يمكن حصر أسباب العبادة بالله تعالى دون غيره بما يأتي:

١- السبب الأول يعبد الله تعالى، بدافع الحب لأنه إله تنحصر فيه صفات الكمال، والذي تنحصر فيه صفات الكمال، يحتاج إليه من تنقص عنده تلك الصفات.

٢- وأما السبب الثاني يعبد تعالى، من باب شكر المنعم، فالمسلم يعتقد بأن جميع الخيرات والبركات التي تصل إليه، مصدرها هو البارئ تعالى، وبالتالي هو المتفضل على العباد بذلك ولا بد من شكره.

٣- السبب الثالث الذي يعبد بواسطته



حينما يعرفان العبادة، لا يرى فرقا كبيرا بينهما، بل إن لم ير التطابق التام في التعريف، ير التقارب بينا. فالعبادة (لغة) كما يعرفها ابن منظور على أنها الخضوع، فيقول أصل العبودية: الخضوع^{٢٣}، وأما الفيروز آبادي، فيعرف العبادة أنها الطاعة^(٢٤) وأما صاحب المجمع، فيقول: "والعبادة: هي المواظبة على فعل المأمور به، و الفاعل عابد، و الجمع عباد و عبدة مثل كافر و كُفَّار و كفرة، ثم استعمل العابد فيمن اتخذ لها غير الله، فقيل: عابد الوثن و عابد

الشمس"^(٢٥)

وقال الزجاج : معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال هذا طريق مَعْبُد إذا كان مُدْبِلًا بِكثرة الوطاء، وبعير مَعْبُد، إذا كان مُطْلَبًا بِالْقَطْرَانِ.

فمعنى ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾: إياك نطيع الطاعة التي - نخضع معها^(٢٦)

وأما (اصطلاحاً): فيعرفها كل من الزمخشري والبيضاوي في تفسيريهما، أنها: أقصى غاية الخضوع والتدليل، ومنه ثوب ذو عبدة، إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج،

الخضوع لله (٣١)

وفي ضوء ما تقدم، يستفاد من القرآن الكريم بأن العبادة: هي الخضوع والتذلل لفظاً أو عملاً مع الاعتقاد بالوهية المخضوع له.

فما لم ينشأ الخضوع من هذا الاعتقاد، لا يكون عبادة، ويدل على ذلك الآيات التي أمرت بعبادة الله وتنهى عن عبادة غيره، معللة ذلك، بأنه لا إله إلا الله كقوله سبحانه: ﴿يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [١] وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾

ومعنى هذا التعليل إن الذي يستحق العبادة هو من كان إلهاً، وليس هو إلا الله، فإذا تحقق وصف الإلهية في شيء جازت - بل وجبت - عبادته واتخاذها معبوداً، وحيث إن الوصف لا يوجد إلا في الله سبحانه وجب عبادته دون سواه (٣٣)

آيات التوحيد العبادي في القرآن الكريم.

إن الله سبحانه ذكر الكثير من الآيات التي تتكلم عن هذا النوع من التوحيد، ولكننا فضلنا الإيجاز دون الإطناب، مراعاة للمقام، فوقفنا على بعض

ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع (٢٧)

وقال البخوي: والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسُمِّي العبد عبداً لذلته وأتقياه يُقال: طَريقُ مُعبَدٍ أي: مُذلل، وإياك نَسْتَعِينُ، نَطْلُبُ مِنْكَ الْمَعُونَةَ عَلَى عِبَادَتِكَ وَعَلَى جَمِيعِ أُمُورِنَا (٢٨)

ويقول الرازي: العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير، وهو مأخوذ من قولهم: طريق معبد، أي مذلل (٢٩)

وأما الطبرسي فيعرف العبادة، أنها: ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفية، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل، ولذلك لا تحسن إلا لله سبحانه الذي هو مولى أعظم النعم، فهو حقيق بغاية الشكر (٣٠)

وأما صاحب كنز الدقائق، فيعرف العبادة على أنها أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه طريق معبد أي مذلل، وثوب ذو عبدة: إذا كان في غاية الصفاقة، ولذلك لا يستعمل إلا في

منها، دون بعضها الآخر، وتبين تفسيرها:

١- الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٤﴾

ويذكر الشيخ الطوسي، في تفسيره لهذه الآية: بأن الله سبحانه، أخبر نبيه | بأنه قد أرسل في كل أمة من الأمم السابقة رسولا بأن اعبدوا الله، أي: أمرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله.

ثم أخبر عن المبعوث إليهم بأن منهم من لطف الله لهم بما علم أنه يؤمن عنده، فأمن عنده، فسمى ذلك اللطف هداية ومن لم يرد نصب الأدلة على الحق لأنه تعالى سوى في ذلك بين المؤمن والكافر، كما قال: فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ويحتمل أن يكون المراد من هدايه إلى الجنة بإيمانه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، قيل، فيها قولان:

أحدهما: لأنهم ضلوا عن طريق الحق وكفروا بالله، وهو قول الحسن.

والثاني، حقت عليهم الضلالة عن طريق ما ارتكبوه من الكفر ٣٥.

فأساس دعوة جميع الأنبياء واللبنة الأولى لتحركهم هي الدعوة إلى

التوحيد ومحاربة الطاغوت - أعرف لماذا-

وذلك لأن أسس التوحيد إذا لم تحكم ولم يطرد الطواغيت من بين

المجتمعات البشرية، فلا يمكن إجراء أي برنامج إصلاحية (٣٦) وهذا ما نوه

إليه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قسن سرة)

، في كتابه المدرسة القرآنية،

حينما تكلم عن عناصر المجتمع،

وعن المثل الأعلى الحقيقي، ويقصد

به الله سبحانه، فلا بد من السير نحو

هذا المثل الأعلى وتوحيده التوحيد

الخالص والخضوع التام له. ولهذا

المثل شروط لا بد من تبنيتها. فالذي لا

يملك هذه الشروط لا يمكنه أن يتبنى

هذا المثل بطبيعة الحال. ويمكن

الإشارة إليها بإيجاز:

١- لا بد من امتلاك السيرة البشرية رؤية

واضحة من ناحية الفكر الايدولوجية

من دونه (٣٩)

وينقل صاحب الميزان عن احد المفسرين، قائلًا: إن معنى "اعبدوا الله" اعبدوه وحده كما يفسح عنه قوله في سورة هود: "الا تعبدوا إلا الله" و ترك التقييد به للإيدان بأنها هي العبادة فقط و أما العبادة مع الإشراك فليست من العبادة في شيء رأسا.

ويضيف قائلًا: فقوله (عليه السلام) لقومه الوثنيين: "اعبدوا الله" في معنى أن يقال: اعبدوا الله وحده كما ورد في سورة هود "أن لا تعبدوا إلا الله"، و قوله: "ما لكم من إله غيره" في معنى أن يقال: ما لكم من معبود سواه لأنه لا رب غيره يدبر أمركم حتى تعبدوه رجاء لرحمته أو خوفا من سخطه، و قوله بالتفريع على ذلك: "أفلا تتقون" أي إذا لم يكن لكم رب يدبر أموركم دونه أفلا تتقون عذابه حيث لا تعبدونه و تكفرون به؟(٤٠)

وبطبيعة الحال فإن هذه الدعوة لا تختص بنوح عليه السلام دون غيره من الأنبياء والرسل فجميع الأنبياء والرسل ، الذين أرسلوا من قبل الله

لهذا المثل متمثلة بعقيدة التوحيد. ب- لا بد من امتلاك طاقة روحية مستمدة من المثل و متمثلة هذه الطاقة في العقيدة (يوم القيامة) .

ج- يتميز هذا المثل بانفصاله عن الإنسان فهو ليس جزءاً من الإنسان ولا من إفرازه وهو الانفصال يستدعي وجود صلة موضوعية بين الإنسان وهذا المثل وهذه الصلة متجسدة بالنبي | (٣٧)

٢- الآية الثانية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ (٣٨)

من المعروف أن نوحاً عليه السلام أول اولي العزم من الرسل أصحاب الكتب و الشرائع المبعوثين إلى أقوامهم ، و الآية على لسان نبي الله نوح، تتكلم عن دعوة قومه إلى التوحيد الخالص إلى الله سبحانه وتعالى، فقوله:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ ،

دعوة إلى عبادة الله و رفض عبادة الآلهة من دونه فإن الوثنيين إنما يعبدون غيره من الملائكة و الجن و القديسين بدعوى الوهيتهم أي كونهم معبودين

سبحانه وتعالى كانت دعوتهم تنادي إلى التوحيد وتنطلق منه، باعتباره العنصر الأساس في دعوتهم، والمرتكز الذي يرتكز عليه.

٣- الآية الثالثة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢١)

أخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنصارى الذين حكى حكايتهم، إنهم اتخذوا أحبارهم، وهو جمع حبر، وهو العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان، وقيل حبر- بفتح الباء وكسرها- حكاة الضراء (٤٢) والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه للناس الخشية. والرهبانية مصدر الراهب والأسم الرهبانية وفي التنزيل العزيز وجعلنا في قلوب الذين أتبعوه رافةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها (٤٣)

وقد كثر استعماله في متنسكي النصارى، وروي عنه ﷺ: إن معنى اتخاذهم أرباباً، أنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف أمر الله

(٤٤) وهو قول أكثر المفسرين، ونجد الرازي حينما يقوم بتفسير هذه الآية يذكر هذا المعنى ولكن بشيء من التفصيل، فيذكر ثلاثة وجوه على ما تقدم، فيقول: وأما إنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فيدل عليه وجوه: أحدها: إنهم كانوا يطيعونهم في التحليل والتحريم.

والثاني: إنهم كانوا يسجدون لأحبارهم.

والثالث: قال أبو مسلم: من مذهبهم أن من صار كاملاً في الرياضة والمجاهدة يظهر فيه أثر حلول اللاهوت، فيقدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فهم وإن لم يطلقوا عليه لفظ الرب إلا أنهم أثبتوا في حقه معنى الربوبية.

فثبت أن النصارى جمعوا بين هذه الأمور الثلاثة، وكان القول ببطلان هذه الأمور الثلاثة كالأمر المتفق عليه بين جمهور العقلاء وذلك، لأن قبل المسيح ما كان المعبود إلا الله، فوجب أن يبقى الأمر بعد ظهور

يعني تنزيها عما يشركون. وفي قوله (لا اله الا هو) تتميم لكلمة التوحيد التي يتضمنها قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾، فإن كثيراً من عبدة الأصنام كانوا يعتقدون بوجود آلهة كثيرة، وهم مع ذلك لا يخصون بالعبادة إلا واحداً منها فعبادة إله واحد لا يتم به التوحيد إلا مع القول بأنه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى في ذيل الآية: سبحانه عما يشركون تنزيه له تعالى عما يتضمنه قولهم بربوبية الأحرار ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُتْبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ صَدَّقْتُ وَإِنِّي مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴾ (٤٧)

٤- الآية الرابعة: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْقًا وَسِدْرًا يَا بَقُولُونَ ﴾ (٧) ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٨) ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١١) (٤٨)

والذي يهمننا من هذه الآية، وما نريد الوقوف عنده، هو المقطع الذي يتضمن قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١١)، إذ تخاطب الخاتم بصيغة الأمر، وتلزمه بالعبادة إلى الحق تعالى وحصر تلك العبودية به،

المسيح على هذا الوجه، وأيضاً القول بالشركة باطل باتفاق الكل، وأيضاً إذا كان الخالق والمنعم بجميع النعم هو الله، وجب أن لا يرجع في التحليل والتحریم والانقياد والطاعة إلا إليه، دون الأحرار والرهبان، فهذا هو شرح هذه الأمور الثلاثة (٤٥)

ويؤيد ما سبق من الكلام، الحديث المروي عن رسول الله | نقلاً الترمذي فيقول: لما نزل قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، قال: عدى بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذلك ٤٦.

وقوله: ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ عطف على الأرباب أي واتخذوا عيسى رباً.

وقوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾، معناه أن الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى، وغيرهم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، ثم أخبر فقال: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ ﴾،

الحق، وذلك يوجب زوال ضيق القلب
(٥٠)

٥- الآية الخامسة: ﴿يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ أَرْضِي سَعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥١)

أي: إذا لم يتيسر لكم العبادة في بلدة ،
فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك ٥٢ .
فالخطاب إلى العباد المخلصين من
قبله تعالى، والذين هم من المؤمنين
، فالله سبحانه يحب عبادة الضرد
المؤمن، لذلك يكلمهم ويقول لهم ،
﴿يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، فهؤلاء العباد
في قمة الإخلاص والوفاء، فالله تعالى
يخبرهم ، ومن باب الحفاظ على
أنفسهم ، ومن باب الاستمرار في
عبادتهم، ﴿إِنْ أَرْضِي سَعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾
وحيثما يتعرض صاحب الميزان
رحمه الله تعالى، لهذه الآية المباركة،
فيشير عدة نكات، نذكرها على نحو
الإجمال: ١- قوله: ﴿إِنْ أَرْضِي سَعَةً﴾
الذي يظهر من السياق أن المراد
بالأرض هذه الأرض التي نعيش عليها
وإضافتها إلى ضمير التكلم للإشارة
إلى أن جميع الأرض لا فرق عنده في
أن يعبد في أي قطعة منها كانت.

كي يكون قدوة لبقية أفراد المجتمع
في قضية التوحيد الخالص إلى الله
سبحانه وتعالى، والمراد بالأمر
بالعبادة، المداومة عليها ، وعدم
التقصير فيها(٤٩)

ويرى الرازي بأنه يمكن الاستدلال
بالآية الكريمة على الإخلاص في العبادة
إلى الله تعالى من وجهين:

أحدهما: أنه قال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ﴾ ، فأمر محمداً عليه الصلاة
والسلام بالمواظبة على العبادة إلى
أن يأتيه الموت، ومعناه أنه لا يجوز
الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات،
وذلك يدل على غاية جلاله أمر العبادة.
وثانيهما: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِضِيقِ
صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ، ثم إنه تعالى أمره
بأربعة أشياء: التسبيح: وهو قوله
فسبح، والتحميد: وهو قوله بحمد
ربك، والسجود: وهو قوله: "وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ" والعبادة، وهي قوله:
﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ، وهذا
يدل على أن العبادة تزيد ضيق القلب،
وتفيد انشراح الصدر، وما ذلك إلا لأن
العبادة توجب الرجوع من الخلق إلى

اعبدوني وحدي فيها (٥٣) وأما الرازي فيذكر تساؤلاً، وربما هذا التساؤل، يدور في ذهن الفرد المسلم، والقارئ الكريم، لكتاب الله تعالى، فيقول: إذا كان عبادي لا يتناول إلا المؤمنين فما الفائدة في قوله: ﴿لَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع أن الوصف إنما يذكر لتمييز الموصوف، كما يقال يا أيها المكلفون المؤمنون؟ ويجب على هذا السؤال قائلًا: الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان أن فيه الوصف كما يقال الأنبياء المكرمون والملائكة المطهرون، مع أن كل نبي مكرم وكل ملك مطهر

٢- و قوله: ﴿فَأَيْنَى فَاعْبُدُون﴾ ، الفاء الأولى للتفريع على سعة الأرض أي إذا كان كذلك فاعبدوني وحدي و الفاء الثانية فاء الجزاء للشرط المحذوف المدلول عليه بالكلام و الظاهر أن تقديم "إيأي" لإفادة الحصر فيكون المعنى: لا تعبدا غيري بل اعبدوني، و قوله: "فاعبدون" قائم مقام الجزاء. و محصل المعنى: أن أرضي واسعة إن امتنع عليكم عبادتي في ناحية منها تسعكم لعبادتي أخرى منها، فإذا كان كذلك فاعبدوني وحدي، و لا تعبدا غيري، فإن لم يمكنكم عبادتي في قطعة منها، فهاجروا إلى غيرها و



يحصر العبادة بالله سبحانه دون غيره ولا ينبغي أن تكون إلا لله تعالى، ولا يوجد موجود يليق، بالعبادة غير الله تعالى (٥٥)

فأذن كيف يتم تخريج فعل هؤلاء من الناحية العبادية، فهل أن مايقومون به نوع من الشرك - والعباد بالله- أم أن فعلهم ينسجم مع الشريعة المقدسة، التي أمر الله بها سبحانه ؟.

حينما نقف على النصوص القرآنية، والسنة النبوية، نجد بأن عمل هؤلاء لا يخالف ما أمر به الله تعالى، لأن هؤلاء حينما يسجدون على أبواب العتبات المقدسة إنما هو سجود لله سبحانه وتعالى ونوع من الشكر له، لأنه وفقهم لزيارة ولي من أوليائه، وليس السجود لصاحب المقام، فهم لا يعتقدون بأي موجود يستحق العبادة والسجود غير الله تعالى، وقد أشار الله سبحانه في كتابه الكريم إلى ذلك في عدة موارد، منها:

أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتدليل لوالديه، فيقول: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (٥٦)

، وإنما يقال لبيان أن فيهم الإكرام والطهارة، ومثل هذا قولنا الله العظيم وزيد الطويل، فهانذا ذكر لبيان أنهم مؤمنون.

ويذكر الرازي تساؤلاً آخر، فيقول: فإن قيل، قوله تعالى:

﴿يَعْبُدُونِي﴾، يفهم منه كونهم عابدين، فما الفائدة في الأمر بالعبادة ؟. أجيب: بأن فيه فائدتين إحداهما: (المداومة) أي: يا من عبدتموني في الماضي اعبدوني في المستقبل، الثانية: (الإخلاص) أي: يا من تعبدني أخلص العمل لي ولا تعبد غيري (٥٤) هل التوسل والتبرك عبادة في نظر القرآن؟.

حينما نتأمل في هذا الموضوع بشكل جيد، لا بد أن ننطلق من مقدمة نتعرف من خلالها على قضية في غاية الأهمية، وهي هل أن ما يقوم به هؤلاء المتبركون والمتوسلون نوع من العبادة؟.

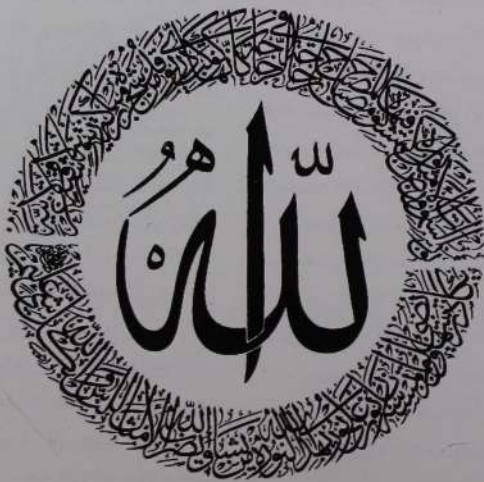
يمكن أن يتضح الجواب، وبشكل جلي من خلال معرفة هذا النوع من التوحيد، وهو التوحيد العبادي، فهو

٣- إن إخوة يوسف ووالديه، سجدوا جميعاً ليوسف بعد استوائه على عرش الملك والسلطنة، كما يقول سبحانه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا بَنِي هَذَا تَابُوا لِرُؤْيَى مِن قَبْلُ فَذُجِّلْنِي أَجْرًا﴾ (٥٨)

فهل هذا السجود الذي كان في حضرة نبي من أنبياء الله تعالى كان شركاً، ولم ينه النبي ﷺ عن ذلك ، في حين كانت دعوته قائمة على محاربة الشرك، ووحدانية الله تعالى.

فلو كان الخضوع والتذلل (عبادة) لمن يتذلل له، لكان أمره تعالى بذلك، يعني اتخاذ شريك له في العبادة، وهذا محال عقلاً، ونقلًا. أمر الملائكة بالسجود لآدم، فيقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٧)

مع أن السجود نهاية في الخضوع والتذلل للمسجود له، فهل ترى أن الله سبحانه يأمر الملائكة بالشرك في العبادة؟



يكون عبادة له وليس لآدم (عليه السلام).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

١- الأنعام: ٨٢.

٢- البقرة: ١٢٤.

٣- النور: ٥٥.

٤- الأعراف: ٩٦.

٥- الشريفة الرضي، نهج البلاغة،
ص ٣.

٦- المصدر نفسه، ص ٤٤.

٧- النراقي، محمد مهدي، جامع
السعادات، ج ١، ص ٤١.

٨- الجرجاني، عبد القاهر،
التعريفات، تحت رقم ٤٤٦.

٩- ، اليزدي، مصباح، دروس في
العقيدة الإسلامية، ج ١، ص ١٦١.

١٠- مطهري، مرتضى، المدخل إلى
العلوم الإسلامية، ص ١٨.

١١- شيرازي، ناصر مكارم، نضجات
القرآن، ج ٣، ص ٢٤٩.

١٢- شبر، عبد الله، حق اليقين في
معرفة أصول الدين، ج ١، ص ١٨.

١٣- شيرازي، ناصر مكارم، المصدر

وفي الختام لا بد لنا من الإشارة
والالتفات إلى نكتة مهمة، ربما غفل
عنها بعضهم، وهي أن الله سبحانه
وتعالى، هو من يأمر باتخاذ هذه
الوسائل وحددها لنا، ولا يحق لأحد
أن يتخذ واسطة من عنده، فإنه تعالى
نعت المشركين بالشرك على الرغم
من أنهم يعلمون بأنه خالق السموات
والأرض، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
يُؤْفَكُونَ﴾ (١١) (٥٩)، أتعلمون لماذا؟

لأنهم هم الذين اختاروا وسائلهم
للعبادة دون الله سبحانه، ﴿وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٠)، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠) (٦١)، فلذلك الله

سبحانه وصف هؤلاء بالضلال، ولكن
حينما يأمر تعالى بتلك الوسطة لا
يعد ذلك نوعاً من الشرك والضلال،
بل هو غاية العبادة والتقرب إليه، وهذا
يتضح في قضية السجود لآدم، فهو
الذي حدد الوسطة في السجود والذي

- السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ .
- ١٤- النحل: ٢٦ .
- ١٥ الفاتحة: ٥ .
- ١٦- سبحاني، جعفر، الإلهيات، ج ٢ ، ص ٨٥ .
- ١٧- شيرازي، ناصر مكارم، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .
- ١٨- الحائري، كاظم، أصول الدين، ص ٨٦ .
- ١٩- البقرة: ١١٠ .
- ٢٠- طه: ١٢٤ .
- ٢١- أملي، حسن زاده، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، ص ١ .
- ٢٢- الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٦ .
- ٢٣- بن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .
- ٢٤- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ١ ، ص ٣٧٨ .
- ٢٥- الطريحي، مجمع البحرين، ج ٢ ، ص ٩٥ .
- ٢٦- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن، ج ١ ، ص ٤٨ .
- ٢٧- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، ج ١ ، ص ١٠٠ .
- عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل، ج ١ ، ص ٩ .
- ٢٨- البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ج ١ ، ص ٤٢ .
- ٢٩- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
- ٣٠- الطبرسي، الحسن، جامع الجوامع، ج ١ ، ص ٥٧ .
- ٣١- المشهدي، محمد، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١ ، ص ٥٥ .
- ٣٢- الأعراف: ٥٩ .
- ٣٣- اللنكراني، فاضل، مدخل الى التفسير، ص ١٥١ . مرتضى مطهري، مدخل الى العلوم الإسلامية ، ص ٢٠ .
- ٣٤- النحل: ٣٦ .
- ٣٥- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٦ ، ص ٣٧٤ .
- ٣٦- شيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج ٨ ، ص ١٨١ .
- ٣٧- الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص ١٥٢ .
- ٣٨- المؤمنون: ٢٣ .
- ٣٩- الطباطبائي، محمد حسين،

- المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٣.
- ٤٠- الطباطبائي، محمد حسين،
المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٣.
- ٤١- التوبة: ٣١.
- ٤٢- ابن منظور، لسان العرب، ج ٤،
ص ١٥٧.
- ٤٣- ابن منظور، المصدر السابق، ج
١، ص ٤٣٦.
- ٤٤- الطباطبائي، محمد حسين، ج ١٥،
ص ١٣.
- ٤٥- الرازي، محمد بن عمر بن
الحسين، ج ٤، ص ٢٢٧.
- ٤٦- الشربيني، السراج المنير، ج ١،
ص ٢٥٦.
- ٤٧- الأنعام: ٥٦.
- ٤٨- الحجر: ٩٩.
- ٤٩- طنطاوي، محمد، التفسير
الوسيط للقرآن الكريم، ج ٨، ص ٨٥.
- ٥٠- الرازي، محمد بن عمر بن
الحسين، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٥٢.
- ٥١- العنكبوت: ٥٦.
- ٥٢- الكاشاني، الفيض، التفسير
الأصفي، ج ٢، ص ٤٨٢.
- ٥٣- الطباطبائي، محمد حسين،
المصدر السابق، ج ١٦، ص ٧٥.
- ٥٤- الرازي، المصدر السابق، ج ٢٥،
ص ٧٢.
- ٥٥- شيرازي، ناصر مكارم، آيات
- الولاية في القرآن، ص ١٩٦.
- ٥٦- الإسراء: ٢٤.
- ٥٧- البقرة: ٣٤.
- ٥٨- يوسف: ١٠٠.
- ٥٩- العنكبوت: ٦١.
- ٦٠- الزمر: ٣.
- ٦١- يوسف: ٤٠.

الحروف المقطّعة في القرآن الكريم

الماهیة و التفسیر

بین الشیخ الطبرسی و السید الطباطبائی

الشیخ لیث عبد الحسین العتابی

العتبة العلویة المقدسة

اللَّهُ

وَاللَّهُ

وَاللَّهُ

يَا عَلِيمُ

الملخص :

مثلما تعدد الفهم و في مسائل كثيرة تخص التراث الإسلامي داخلياً و خارجياً ، فقد تعدد ذلك أيضاً في موضوعات كثيرة في القرآن الكريم ، و من تلك الموضوعات (الحروف المقطّعة) ، أو (فواتح السور) القرآنية .

فكان التعدد في الأفكار ، أو الاختلاف في التفسير لهذه الحروف داخلياً ، وكانت كل جهة تفسرها بحسب مبانيها ، و ميولها ، و مصالحها ؛ فمنهم من اجتهد ليفسرها بأفكار و غايات معينة ، و منهم من أراد ملاءمتها لحالة معينة أو مذهب معين ، و منهم من أراد لها أن تطابق بعض الروايات الموجودة ، و منهم من اعترف بالعجز أمامها و عدّها من أشكال المشكلات ... و هكذا ؛ لذلك أردت في هذا البحث الوقوف على أبرز الآراء في هذا المجال ، و لاسيما ما يتصل بماهيّة (الحروف المقطّعة) ، و معانيها الظاهرة و الباطنة ... و كان ذلك في الوقوف على الآراء التي

ذكرها الشيخ الطبرسي ، و السيد الطباطبائي في تفسيريهما .

ماهية الحروف المقطّعة :

لا بد لنا أن نتعرف على ماهية هذه الحروف و حقيقتها بما يعطينا صورة واضحة عنها ، و عن تعريفها اصطلاحاً نقول : يستفاد من مجموع كلام العلماء في تعريفاتها بأنها : من حروف الهجاء التي افتتح الله سبحانه و تعالى بها بعض السور القرآنية ، و تتكون من حرف ، أو أكثر يُنطق كل حرف بمفرده .

و قد سميت هذه الحروف بـ (الحروف المقطّعة) ؛ لأنها و إن جاءت ككلمات إلا أنّ هذه الكلمات تُقرأ مقطّعة الحروف لا بشكل كامل ، فتقرأ قراءة تهجي حرف بعد حرف ، و ليس بشكل كلمة واحدة ، و لو أنّها قرأت بشكل كلمة كاملة لم تعط أي معنى ، بل كانت كلمة غريبة اللفظ ، و مجهولة المعنى .

و المراد بالتقطيع هو أنّ كل حرف ينطق بمفرده ؛ لأنّ الحروف لها أسماء

و سميت بفواتح القرآن ، و فواتح السور ؛ إذ إنّ فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده . يقال افتتح فلان كذا أي ابتدأه ، و فتح عليه كذا : أعلمه و وقفه عليه . قال تعالى : ((أَتَّخَذْتُم مِّمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ))

خاصة بها ، و الناس حين ينطقون حرفاً واحداً فإنهم ينطقونه باسمه لا بلفظه فيقولون عن حرف (ع) حين النطق به (عين) ، و عن حرف (ح) يقولون (حاء) ، و كذلك الحال بالنسبة للحروف الباقية على حدٍ سواء



سورة البقرة : (٧٦) .

، يجمعها قولك : (نص حكيم قاطع

له سر) (٣)

و لم ترد هذه الحروف على وتيرة واحدة ، بل اختلفت أعداد حروفها ، فوردت على حرف ، و حرفين ، و ثلاثة ، و أربعة ، و خمسة .

و من المعلوم بعد ما تقدم أن الحروف المقطّعة قد شغلت اهتمام المفسرين ، و العلماء قديماً و حديثاً ؛ فكثرت فيها الأقوال ، و كتبت فيها الأبحاث ، و تعددت فيها الآراء و الاجتهادات ، و وقف عندها الدارسون بالشرح ، و التفصيل ، و مر عليها آخرون مرور الكرام .

معنى الحروف المقطّعة في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (رحمه الله) .

لقد اختلف المفسرون من القدماء ، و المتأخرين في تفسير الحروف المقطّعة ، و قد نقل الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في تفسيره مجمع البيان أحد عشر قولاً في المراد منها ؛ ، و ناقش هذه الآراء العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) في

و ذكر الدكتور زكي مبارك عدداً من الصفات التي تضرد بها القرآن الكريم عن الآثار النثرية ، فكان منها : الابتداء بهذه الحروف إذ يقول : (إن هذا النمط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية و لا الإسلامية) (٢)

و قد جاءت (فواتح السور) أو (الحروف المقطّعة) في (٢٩) سورة من مجموع سور القرآن البالغة (١١٤) سورة . و السور الحاوية على الحروف المقطّعة هي : (البقرة ، و آل عمران ، و الأعراف ، و يونس ، و هود ، و يوسف ، و الرعد ، و إبراهيم ، و الحجر ، و مريم ، و طه ، و الشعراء ، و النمل ، و القصص ، و العنكبوت ، و الروم ، و لقمان ، و السجدة ، و يس ، و ص ، غافر ، و فصلت ، و الشورى ، و الزخرف ، و الدخان ، و الجاثية ، و الأحقاف ، و ق ، و القلم) . أما مجموع الحروف المتهجاة في أوائل السور المذكورة فهو (٧٨) حرفاً ، و جملتها من غير تكرار (١٤) حرفاً

يتكلم بشيء من ذلك)) (١٤) . و سئل
الشعبي عن هذه الحروف . فقال : ((
سر الله فلا تطلبوه)) ١٥ . و هذا القول
أرجح الأقوال ١٦ .

و قال أبو حاتم بن حبان : ((لم نجد
الحروف المقطعة في القرآن إلا في
أوائل السور . و لا تدري ما أراد الله
بها)) (١٧)

و ذهب الشيخ محمود شلتوت إلى أن
ليس في القرآن مما استأثر الله بعلمه
سوى فواتح السور (١٨)

و قال عنها الشيخ محمد عبده : ((
نقوض الأمر فيها إلى المسمى سبحانه
(...) و ليس من الدين في شيء أن
يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من
العلل . التي قلما يسلم مخترعها من
الزلل)) ١٩ . و كذلك هو رأي الشيخ
محمد أبو زهرة (٢٠) . و الشيخ محمد
متولي الشعراوي (٢١)

ثم يسترسل الشيخ الطبرسي (رحمه
الله) في باقي الأقوال ، فيقول : ((و
فسرها الآخرون على وجوه :
ثانيها : ((إنها أسماء السور و
مفاتيحها عن الحسن (٢٢) ، و زيد بن

تفسير الميزان (٥)

قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في
المقام : ((اختلف العلماء في الحروف
المعجمة المفتحة بها السور .

أحدها : ذهب بعضهم إلى أنها من
المتشابهات التي استأثر الله تعالى
بعلمها (٦) و لا يعلم تأويلها إلا هو
، هذا هو المروري عن أئمتنا (عليهم
السلام) . و روت العامة عن أمير
المؤمنين (عليه السلام) أنه قال :
((لكل كتاب صفوة ، و صفوة هذا
الكتاب حروف التهجي)) (٧)

و عن الشعبي قال : ((لله في كل
كتاب سر ، و سره في القرآن سائر
حروف الهجاء المذكورة في أوائل
السور)) ٩ . و هذه ((الحروف المقطعة
من المكتوم الذي لا يفسر)) (١٠)

و قيل فيها إنها من المتشابهة ١١
؛ لذلك ((عجزت العلماء عن إدراكها
(١٢) .

أما (الشوكاني) ١٣ فقد غلظ القول
على من قال فيها برأيه إذ قال : ((
و الذي أراه لنفسي . و لكل من أحب
السلامة و اقتدى بسلف الأمة . أن لا

من المفسرين (٢٩) إلى أن الحروف المقطعة المفترقة في سور القرآن الكريم يتألف منها اسم الله الأعظم . و ذهب آخرون (٣٠) إلى أن منها الاسم الأعظم إلا أنه لا يقدر على تأليفه منا إلا النبي (ص) و الإمام . و خواص هذا الاسم أنه إذا دعا به النبي (ص) استجاب الله تعالى دعاه .

و خامسها : ((أنها أسماء القرآن)) (٣١) و هنا ذهب جماعة من المفسرين إلى أن هذه الحروف أسماء للقرآن ، فمثلاً أن الفرقان اسم للقرآن ، و الذكر اسم للقرآن ، فكذا هذه الحروف (٣٢) و سادسها : ((أنها أقسام أقسم الله تعالى بها ، و هي من أسمائه)) ٣٣ .

و المعنى المراد من هذا القول هو أن الله تعالى أقسم بهذه الحروف لإظهار شرفها و فضلها (٣٤)

و سابعها : ((أن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى . و ليس فيها حرف إلا و هو في آله ، و بلانه ، و ليس فيها حرف إلا و هو مدة قوم ، و آجال آخرين)) (٣٥)

و ثامنها : ((أن المراد بها مدة بقاء

أسلم)) (٢٣)

و في هذا السياق ذهب بعضهم إلى أن فاتحة كل سورة اسم للسورة التي افتتحت بها ، و ذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ، فكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها . و ذهب إلى هذا القول كثير من المفسرين (٢٤) ، و رجحوه على ما سواه من الأقوال ، و كذلك ذهب إليه بعض المستشرقين (٢٥) . و استحسّن هذا الرأي القاضي عبد الجبار المعتزلي (٢٦) .

و ثالثها : ((أن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى ، فقوله تعالى (الم) معناه أنا الله أعلم ، و (المر) معناه أنا الله أعلم و أرى ، و (المص) معناه أنا الله أعلم و أفضل ، و الكاف في (كهيعص) من كاف ، و الهاء من هاد ، و الياء من حكيم ، و العين من عليم ، و الصاد من صادق)) (٢٧)

و رابعها : ((أنها أسماء الله تعالى منقطعة . لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ... عن سعيد بن جبير)) (٢٨) و هكذا ذهب جمع

كلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العادة لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم ، و إنما كررت في مواضع استظهار في الحجة ((٤٢)) و هذا ما ذهب إليه غير واحد من المحدثين ، و منهم السيد إسماعيل الصدر (٤٣) ، و سيد قطب في تفسيره ٤٤ ، و أطالت الكلام في بيانه و توجيهه بنت الشاطن (٤٥) . و يعني هذا أن الحروف المقطعة وردت إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم ، فقد افتتح القرآن الكريم بعض سوره بهذه الحروف المقطعة للدلالة على أنه مؤلف من جنس الحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم ، فإذا عجزوا عن مساجلته و الاتيان بمثله فذلك دليل على إعجازه ، و أنه ليس من كلام البشر بل هو الله تعالى خالق البشر و سيدهم .

٢- رأي السيد الطباطبائي (رحمه الله

(

في الحروف المقطعة .

و هنا لابد من الوقوف على رأي العلامة السيد محمد حسين

هذه الأمة ((٣٦)) إذ قيل إنها تدل على مدة بقاء أقوام ، أو مدة بقاء هذه الأمة . و ذلك بحسب (حساب أبي جاد) (٣٧) و قد نهى العلماء عن هذا الحساب و عدوه نوعاً من أنواع السحر (٣٨) و تاسعها : ((أن المراد بها حروف المعجم أستغني بذكرها ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية و العشرين حرفاً)) (٣٩)

و عاشرها : ((أنها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن . و أن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل)) (٤٠) . و معنى هذا أن الحروف المقطعة إنما افتتحت بها السور القرآنية و الآيات للتبنيه ، و الفات نظر المشركين ليستمعوا لهذا القرآن لأنهم تواصلوا على أن يعرضوا عنه ، و أن لا يستمعوا له ، و أن يلغوا فيه (٤١)

و القول الحادي عشر هو : ((أن المراد بها أن هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم ، و

مجمل الآراء في هذه الحروف ، و يقول: ((و الحق أنّ شيئاً من هذه الأقوال لا تطمنن إليه النفس)) (٤٧) . و يبدأ السيد الطباطبائي (رحمه الله) برد هذه الأقوال و مناقشتها ؛ فيقول : ((أمّا القول الأول (٤٨) فقد تقدم في بحث المحكم و المتشابه في أوائل الجزء الثالث من الكتاب ، و أنّه أحد الأقوال في معنى المتشابه ، و عرفت أنّ الإحكام و التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها ، و أنّ التأويل ليس من قبيل المداليل

الطباطبائي (رحمه الله) في هذا المقام ، فهو (رحمه الله) و عند عرضه لتفسير سورة الشورى يقول : ((" حم عسق " من الحروف المقطّعة في أوائل عدة من السور القرآنية ، و ذلك من مختصات القرآن الكريم . لا يوجد في غيره من الكتب السماوية . و قد اختلف المفسرون من القدماء و المتأخرين في تفسيرها ، و قد نقل عنهم الطبرسي في مجمع البيان أحد عشر قولاً في معناها)) (٤٦) ثم يسترسل (رحمه الله) في ذكر



أيضاً من حيث إن بعضها لم يقع إلا في موضع واحد مثل (ن) ، و بعضها واقع في مفتاح عدة من السور مثل (الم) و (الر) و (طس) و (حم) . ثم إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتحة بها مثل الميمات ، و الرءاءات ، و الطواسين ، و الحواميم ، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين ، و تناسب السياقات ما ليس بينها و بين غيرها من السور . و يؤكد ذلك ما في مفتاح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتاح الحواميم من قوله : (تنزيل الكتاب من الله) ، أو ما هو في معناه ، و ما في مفتاح الرءاءات من قوله : (تلك آيات الكتاب) ، أو ما هو في معناه ، و نظير ذلك واقع في مفتاح الطواسين ، و ما في مفتاح الميمات من نفي الرب عن الكتاب ، أو ما هو في معناه . و يمكن أن يحدس من ذلك أن بين الحروف المقطعة و بين مضامين السور المفتحة بها ارتباطاً خاصاً ، و يؤيد ذلك ما نجده أن سورة الأعراف

اللفظية بل التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية أعم من محكماتها و متشابهاتها ، و على هذا فلا هذه الحروف المقطعة متشابهات ، و لا معانيها المراد بها تأويلات لها . أمّا الأقوال العشرة الأخر فإنما هي تصويرات لا تتعدى حد الاحتمال ، و لا دليل يدل على شيء منها . نعم في بعض الروايات المنسوبة إلى النبي (ص) ، و أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعض التأييد للقول الرابع ، و السابع ، و الثامن ، و العاشر (...) . و الذي لا ينبغي أن يغفل عنه أن هذه الحروف تكررت في سور شتى ، و هي تسع و عشرون سورة ، افتتح بعضها بحرف واحد و هي : ص ، و ق ، و ن ، و بعضها بحرفين و هي : سورة طه ، و طس ، و يس ، و حم . و بعضها بثلاثة أحرف كما في سورتى (الم) و (الر) و (طسم) ، و بعضها بأربعة أحرف كما في سورتى (المص) و (المر) ، و بعضها بخمسة أحرف كما في سورتى (كهيعص) و (جمعسق) . و تختلف هذه الحروف

لعلكم تعقلون ، لا يناسب كون تلك الألفاظ رموزاً ، أو من قبيل الألفاظ ، (والأحاجي) (٥٤)

و يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) معزّزاً رأيه المتقدم الذي ذكر فيه أنّ الحروف المقطّعة رموز : ((و لعل المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف و قايس مضامين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبين له الأمر أزيد من ذلك . و لعل هذا معنى ما روته أهل السنة عن علي (عليه السلام) على ما في المجمع : أن لكل كتاب صفوة .

و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي) (٥٥) و هنا يقول السيد جعفر مرتضى العاملي : ((إنّنا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى أنّ أياً من الصحابة ، أو غيرهم من المشركين ، أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال ، أو الإستفهام عن معاني هذه الأحرف ، و عمّا ترمي إليه ، و لو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئاً عن إيمانهم العميق ، و عن وصولهم إلى درجة التسليم ، و الخضوع لكل ما

المصدرة ب (المص) في مضمونها كأنّها جامعة بين مضامين الميمات و (ص) ، و كذا سورة الرعد المصدرة ب (المر) في مضمونها كأنّها جامعة بين مضامين الميمات و الرءات) (٤٩) ثم يذكر (رحمه الله) رأيه في الحروف المقطّعة فيقول : ((و يستفاد من ذلك أنّ هذه الحروف رموز بين الله سبحانه و بين رسوله (ص) خفية عنا ، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أنّ بينها ، و بين المضامين المودعة في السور ارتباطاً خاصاً) (٥٠)

و في هذا الصدد يرد السيد جعفر مرتضى العاملي على هذا الرأي بقوله : ((و نحن لا نستطيع الموافقة على ما ذكره (رحمه الله تعالى) ، فإنّ القرآن ليس كتاب الغاز ، أو احاجي ، و إنّما أنزله الله تعالى : (هُدًى لِلنَّاسِ) (٥١) (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) (٥٢) ، (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (٥٣) (...) ، و قد لاحظ بعض المحققين : أنّ تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين ، و واضح ، و أنه قرآن عربي لقوم يعلمون ، أو

- ٢- الإنقان في تفسير القرآن ، جلال الدين السيوطي ، مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية .
- ٣- الإعجاز البياني و مسائل ابن الأزرق ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر .
- ٤- بحر العلوم ، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٥- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٦- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر الطوسي ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، إيران ١٤٠٩ هـ .ق .
- ٧- تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، جامعة أم القرى ٢٠١٠ .
- ٨- التفسير الكبير ، أبو عبد الله الفخر الرازي ، دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت .
- ٩- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا

يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رآوه من الآيات الباهرة ، والمعجزات القاهرة . رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين ، و رغم عدم منافاة ذلك للسؤال الإستفهامي عن أمر كهذا . فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين ، و غيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا ، و هم في موقع التحدي و المجابهة ، و يحاولون التشبث و لو بالطحلب للظعن في الإسلام ، و النبوة ، و القرآن . فسكوتهم هذا . و الحالة هذه . لا يعني إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم ، و إن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات)) (٥٦) و يقول أيضاً : ((إن ورود هذه الحروف في خصوص السور المكية ، و في ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت في مقام التحدي للمشركين ، و لأعداء الإسلام)) (٥٧)

المصادر و المراجع :

- ١- القرآن الكريم .

- ط ١٧ ، دار الشروق ، القاهرة .
- ١٧- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٠٤٧ هـ .
- ١٨- مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، ط ١٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .
- ١٩- متشابه القرآن ، عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق : د. عدنان محمد زرزور ، مصر .
- ٢٠- محاضرات في تفسير القرآن الكريم ، اسماعيل الصدر ، تحقيق : سامي الخفاجي ، ط ٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، قم ٢٠٠٨ .
- ٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٩٩٥ .
- ٢٢- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، تحقيق : د. هدى محمود قراعة ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٩٠ .
- ٢٣- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج ، تحقيق : د. عبد الجليل عبدة شلبي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨ .
- ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ١٠- جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠ .
- ١١- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد بن محمد الصاوي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ١٩٩٩ .
- ١٢- الحروف المقطّعة في القرآن الكريم ، د. عبد الجبار شرارة ، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية ، المملكة العربية السعودية .
- ١٤- الصحيح من السيرة النبوية ، جعفر مرتضى العاملي ، ط ٤ ، دار السيرة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٥ .
- ١٥- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٦- في ظلال القرآن ، سيد قطب ،

العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبو
الليث السمرقندي المتوفى في سنة (٣٧٣ هـ) . ج ١ . ص ٤٧ . و ينظر .
الحروف المقطعة في القرآن الكريم .
د . عبد الجبار شرارة . ص ٥ .

: ينظر . التبيان في تفسير القرآن ،
الشيخ الطوسي ، ص ١ / ٤٨ ، الجامع
لأحكام القرآن . القرطبي . ج ١ . ص
١٥٤ ، الحروف المقطعة في القرآن
الكريم . د . عبد الجبار شرارة . ص ٥ .
: مفاتيح الغيب . الرازي . ج ٢ . ص ٣ .
: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني
المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) .

: فتح القدير . الشوكاني . ج ١ . ص
٤٨ . ٤٩ .

: مفاتيح الغيب . ج ٢ . ص ٤ .
: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين
ج ١ . ص ٦ .

: حكاه عنه أبو جعفر النحاس المتوفى
سنة (٣٣٨ هـ) في كتابه : معاني

القرآن الكريم . ج ١ . ص ٧٨ .
: تفسير القرآن الكريم . محمود
شلتوت . ص ٦٥ .

: تفسير المنار . محمد رشيد رضا . ج

٢٤- الميزان في تفسير القرآن ، محمد
حسين الطباطبائي ، ط ١ ، مؤسسة
الأعلمي ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧ .

٢٥- النثر الفني ، د . زكي مبارك ،
ط ٢ ، مطبعة السعادة ، مصر .

: ينظر . البرهان في علوم القرآن .
الزركشي . ج ١ . ص ١٦٧ .

: النثر الفني في القرن الرابع .
الدكتور زكي مبارك .

: البرهان . الزركشي . ج ١ . ص ١٦٧ .
: مجمع البيان . الطبرسي . المجلد ١
ص ١١٢ .

: تفسير الميزان . المجلد ١٧ . ١٨ . ص
١٧٦ .

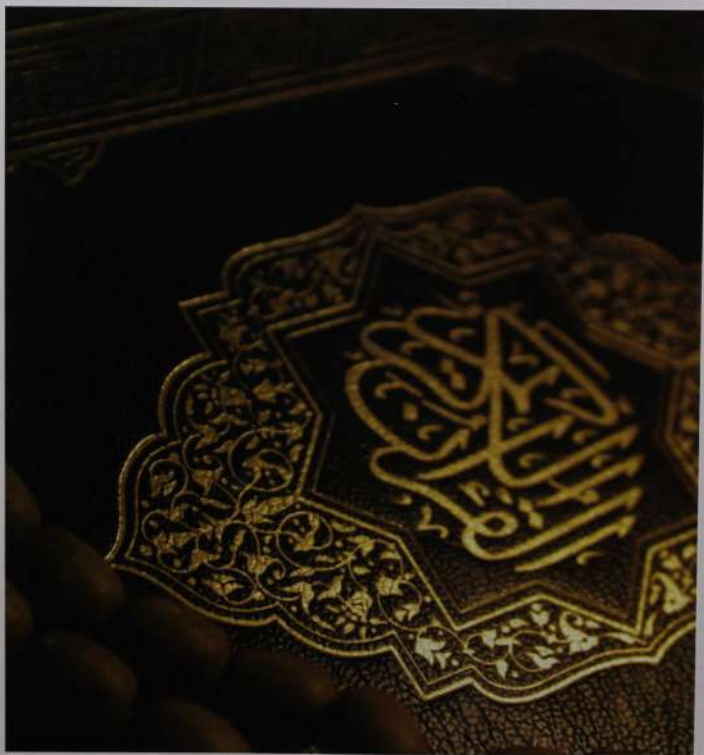
: و ممن قال بهذا الرأي : الشعبي . و
سفيان الثوري . و من المفسرين : أبو
حيان . و الألوسي . و زكريا الأنصاري
في فتح الرحمن .

: الأثر في تفسير البغوي . ج ١ . ص
٤٤ .

: عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي .
ولد أيام حكم عمر بن الخطاب .

: مجمع البيان . مجلد ١ . ص ١١٢ .
: تفسير السمرقندي المسمى بحر

- ١ . ص ١٠٦ .
 :زهرة التفاسير . ص ١٠٩٨ .
 :خواتم حول القرآن الكريم . ج ١ .
 :الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن
 يسار البصري (ت ١١٠ هـ) .
 ص ١٠٦ . ١٠٩ .



- : مجمع البيان . الطبرسي . مجلد ١ . ص ١١٢ .
- : ينظر . جامع البيان في تفسير القرآن . ج ١ . ص ٢٠ ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص ١ / ١٧٣ .
- : مجمع البيان . مجلد ١ . ص ١١٣ .
- : مجمع البيان ، ص ١ / ١١٣ .
- : الحروف المقطّعة في القرآن الكريم . د. عبد الجبار شرارة . ص ٥٥ .
- : ينظر . الإتقان في علوم القرآن . ج ٢ . ص ١٦ .
- : مجمع البيان ، ص ١ / ١١٣ .
- : مجمع البيان . مجلد ١ . ص ١١٣ .
- : ينظر . الحروف المقطّعة في القرآن الكريم . د. عبد الجبار شرارة . ص ٢٥ .
- : مجمع البيان . الشيخ الطبرسي ، مجلد ١ ، ص ١١٢ .
- : ينظر . محاضرات في تفسير القرآن . ص ١٠١ .
- : ينظر . في ظلال القرآن ، ج ١ . ص ٣٨ .
- : ينظر . الإعجاز البياني و مسائل ابن الأزرق . ص ١٢٦ .
- : تفسير الميزان . سورة الشورى . ص ١٧٦ .
- : مجمع البيان . الطبرسي . مجلد ١ . ص ١١٢ .
- : ينظر . جامع البيان في تفسير القرآن . ج ١ . ص ٨٧ ، الكشاف ، الزمخشري ، ص ١ / ٨٣ ، مفاتيح الغيب ، الرازي ، ص ٢ / ٥ .
- : ينظر . مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، ص ٢٤٠ .
- : متشابه القرآن . ج ١ . ص ١٦ .
- : مجمع البيان في تفسير القرآن ، ص ١ / ١١٢ .
- : مجمع البيان . مجلد ١ . ص ١١٢ .
- : الدر المنثور . السيوطي . ج ١ . ص ٢٢ / فتح القدير . ج ١ . ص ٢١ .
- : تفسير التبيان . الشيخ الطوسي . ج ١ . ص ٤٧ / مجمع البيان . الطبرسي . ج ١ . ص ٣٣ / تفسير القمي . ص ٥٩٥ .
- : مجمع البيان مجلد ١ ، ص ١١٢ .
- : ينظر . جامع البيان . ج ١ . ص ٨٦ ، التبيان في تفسير القرآن ، ص ١ / ١١٢ - ١١٣ ، مفاتيح الغيب ، ص ٢ / ٦ .
- : مجمع البيان . مجلد ١ . ص ١١٢ .

: تفسير الميزان . سورة الشورى . ص

. ١٧٧

: أي كونها من المتشابهات .

: تفسير الميزان . سورة الشورى .

: تفسير الميزان . سورة الشورى .

: سورة البقرة . الآية ١٨٥ .

: سورة ص . الآية ٢٩ .

: سورة الشعراء . الآية ١٩٥ .

: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (

ص) . بحث حول الحروف المقطّعة

السيد جعفر مرتضى العاملي . ص

. ٣٣٧ . ٣٢٦

: تفسير الميزان . سورة الشورى .

: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (

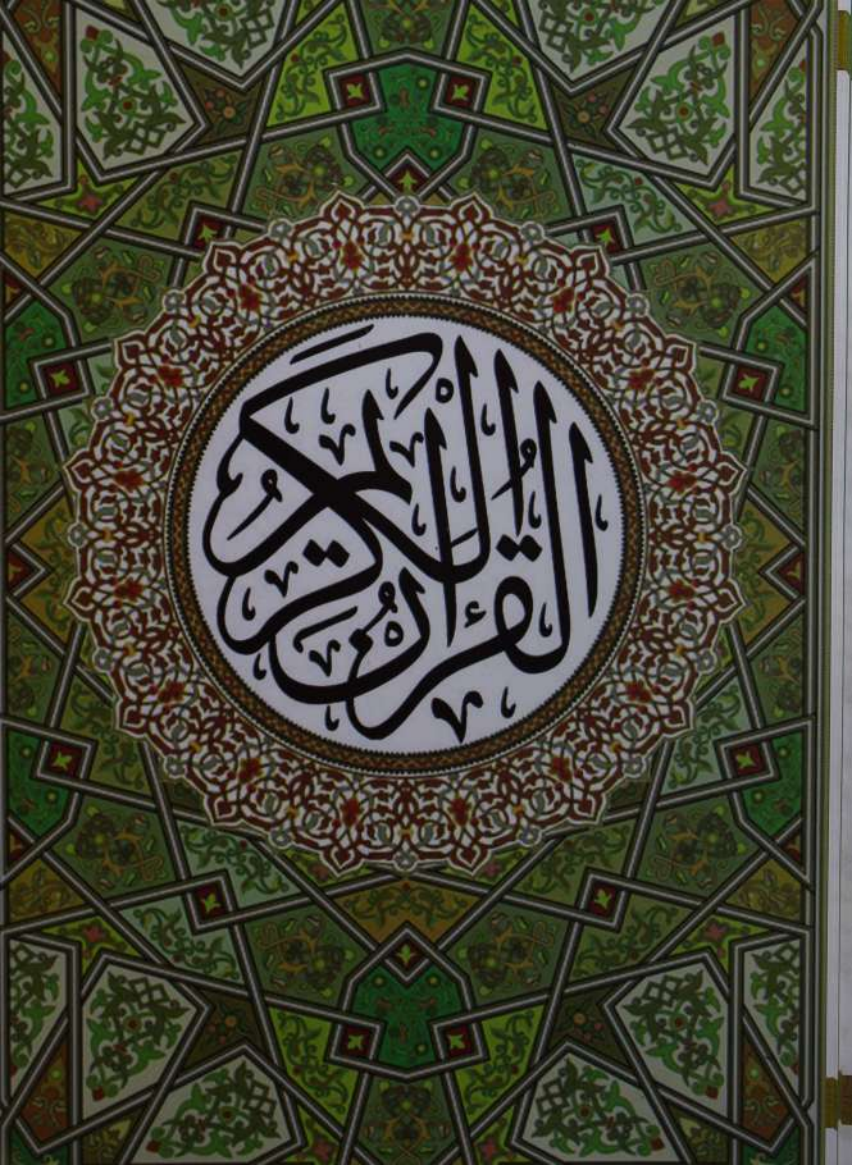
ص) . السيد جعفر مرتضى العاملي

ص ٣٢٦ . ٣٣٧ : الصحيح من سيرة

النبي الأعظم (ص) . السيد جعفر

مرتضى العاملي . ص ٣٢٦ . ٣٣٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



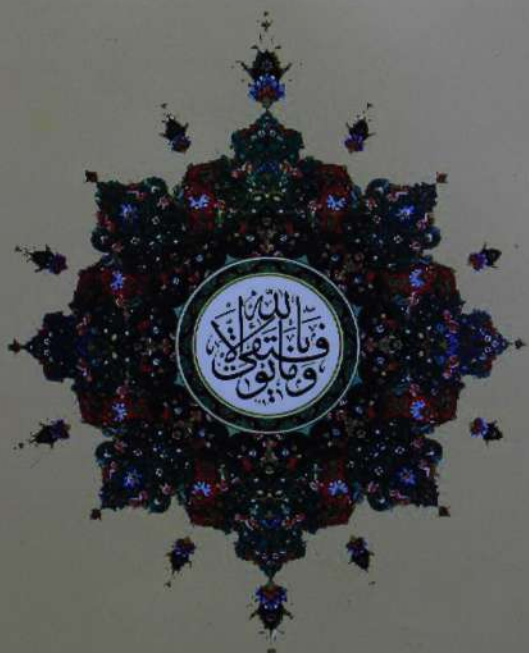


وقفات قرآنية مقارنة

عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

التوحيد والعقائد أنموذجا

د. حسام عدنان رحيم الياسري



وَمَا لَنَا
بِالْقُرْآنِ
وَمَا لَنَا
بِالْقُرْآنِ

الله تبارك وتعالى وتنزيهه عما لا يليق به من الأفكار التي هيمنت على الفكر التوراتي المحرّف ، فضلاً عن بقية الأديان والملل والعقائد التي انحرفت عن السبيل القويم في توحيد الله ، وهي النظرية الفكرية التي بدت معالمها واضحة في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين عرفوا الله حق معرفته . ولهذا كانت إجابات الإمام واحتجاجاته على السائلين مليئة بالاستشهاد بالنصوص القرآنية المقارنة التي يرد بها القرآن الكريم على اليهود من أهل الكتاب وعلى بيان مواقفهم مع نبيهم موسى (عليه السلام). وقد اعتمد البحث جملة من المصادر والمراجع التي كانت عماداً له في نقل النصوص والروايات التاريخية .

يمثل الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، مبحثاً من مباحث علوم القرآن التي وضع أسسها وبواكيرها الإمام ، وذلك من خلال السؤالات التي كانت توجه له من أئمة اليهود ورؤوس النصارى في شتى مسائل الدرس القرآني والتوراتي المقارن.

وقد اقتصرنا في ذلك على مباحث التوحيد والعقائد المتعلقة بوحداية الله تبارك وتعالى ، فضلاً عن مباحث تخص الجانب اللغوي من القرآن الكريم ، طلباً للاختصار ، والأهم فهذه القضايا كثيرة متشعبة تحتاج في بسطها وتنظيم مباحثها إلى جهد ووقت كبيرين عسى الله أن يمنحنا الفرصة لاتمامها.

وقد اتبعت في هذا البحث المتواضع منهجاً يقوم على عرض مسائل الاستفهامات التي وجهت إلى الإمام ، ومن ثم ذكر إجابته عليها ، مع بيان المقاصد التي يتضمنها كلامه بالشرح والتحليل وقد ركز البحث على أثر الإمام علي في توحيد

اذكر في هذا البحث جانباً من جوانب التفكير القرآني عند الإمام (عليه السلام) الذي يمتلك ثراءً يقل نظيره في مباحث القرآن الكريم جميعاً ، حتى أنه يتجاوز بذلك الكثير من الصحابة الذين عاصروا النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهدوا معه بواكير نزول القرآن الكريم . ولا ريب في ذلك ؛ لأن علياً هو سفير النبوة ولسانها المفوّه الذي يمثل القرآن الناطق حسبما ورد على لسانه ، فلولا له لضاع الكثير مما تركه رسول الله من علوم القرآن ومفاهيمه التي تكفل الإمام علي بتفصيل أصولها ومباحثها في مقولاته الكثيرة التي ضمتها المدونات التاريخية والحديثة وكتب السير والأخبار ، فضلاً عن السفر العظيم (نهج البلاغة) الذي حوى العديد من الأقوال التي تحدث فيها الإمام عن القرآن الكريم وعلومه وما فيه من ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، علاوة على بيان أناقة القرآن الكريم وعمق باطنه ، وعجيب نصوصه وغرابة مضامينه ، حسبما

يذكر الإمام في نهج البلاغة (١).
وبلحاظ هذه المباحث التي يذكرها الإمام لعلوم القرآن الكريم ، فقد أثرت أن اتناول جانباً ، أجده خافياً عن النظر ، وهو الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بوصفه مبحثاً من مباحث علوم القرآن التي وضع أسسها وبواكيرها الإمام ، وذلك من خلال السؤالات التي كانت توجه له من أحرار اليهود ورؤوس النصارى في شتى مسائل الدرس القرآني والتوراتي المقارن.

وفي الختام أدعو الله تبارك وتعالى أن يكون البحث عند حسن الظن ، وأن ينال رضا إمام المتقين قسيم الجنة والنار وباب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وأن يكون خطوة في طريق إعادة قراءة كتاب الله وعلومه من خلال المقولات التي سطرها أئمة أهل البيت (عليه السلام) .

والتوحيد فيما ورد من تعريف له أحد مباحث العقائد في الفكر

أو جعله شبيهاً بالمخلوقين الذين هم من خلق الله تعالى .

وفكرة (التوحيد) مخصوصة كما يبدو بالدين الاسلامي الحنيف الذي سطر القرآن الكريم فيه جملة من النصوص المقدسة التي أثبتت الوحدانية لله تعالى ، ونفت عنه الشبيه والشريك . ومن ذلك قوله تعالى في

الإسلامي ، ويختص في البحث عن الله تبارك وتعالى وصفاته وأفعاله على حد قول الشيخ الصدوق (٢).

وتبدو أهمية هذه المسألة واضحة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي تعددت مقولاته في توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه عما لا يليق به من أوصاف أو خصال

نسبها المشبهون اليه جل جلاله . حتى ورد عنه (عليه السلام) : ((أول عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي التشبيه عنه جل عن أن تحله الصفات (...)(٣) . إذ يجعل الإمام التوحيد أصلاً للمعرفة بالله تبارك وتعالى ، ولما كان لهذا التوحيد نظام خاص ، فهذا النظام قائم على نفي التشبيه عن الله ، وعدم حده



سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ
الْصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٤) .

ومن تتبع النص القرآني الكريم
نلاحظ أن الديانات السالفة لم تكن
تعنى بهذه المسألة ، بل تجاوز الأمر
في تفكيرهم إلى القول بالإشراك بالله
ونسبة الولد إليه ، فضلاً عن إسناد
الجوارح له جل جلاله ، وفي طليعة
هذه الديانات التي يذكرها القرآن
الكريم الديانة اليهودية التي حرصت
، فيما يبدو ، على إثبات الجوارح
لله تبارك وتعالى ، حتى قالوا هم
والنصارى إنهم أبناء الله وأحبّوه .
يقول القرآن الكريم ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصْرَىٰ مَنُ آبَتُنَا اللَّهُ وَأَجْبَتُوهُ ... ﴾ (٥) .
وحكى عنهم الذكر المبارك أنهم
ينسبون (عزير) و(المسيح) إلى الله جل
شأنه ، وأنهما أبناء الله ، إذ يقول الحق
تبارك وتعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ
ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ
اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٦) .
وقد غالى اليهود في ذلك ، فجعلوا
لله تبارك وتعالى عما يصفون (يداً
مغلولة) ، حسبما يذكر القرآن في

قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ
أَيْدِيهِمْ وَلُغْمُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾ (٧) .

وقد أنكر الله تبارك وتعالى ذلك عليهم
، وحذّر المسلمين من سوء أفكارهم
وعقائدهم وحقدهم على الإسلام ،

قائلاً : ﴿ ... قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ
أَنْتُمْ بِشِرِّ مَنَ حَلْقٍ بَعْرٌ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٨) .

ويقول في موضع آخر محذراً : ﴿
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (٩) .

أقول : وقد تصدّى أمير
المؤمنين (عليه السلام) للأفكار
اليهودية التي تدعو إلى الإشراك بالله
ونبذ التوحيد ، وبث أفكار التشبيه
وإثبات الجوارح إلى الله تعالى بين
المسلمين الذين تلقى بعضهم مثل
هذه الشبهات واعتنقوها متداولين
إياها ، و ساعين إلى نشرها في الفكر
الإسلامي ؛ لتكون مائدة يعيش عليها
الجاهلون بالله تعالى شأنه .

ومن بين ما أرساه الإمام علي
لتوحيد الخالق جل جلاله إجاباته
لجمهور من علماء اليهود وأخبارهم
، فقد ذكرت المدونات أن اليهود

ايضاً . فكأن سؤالهم ، هو متى كانت البداية لوجود الله ، وكيف هو شأنه تعالى عن ذلك . ولهذا كان جواب الإمام مبدوءاً بإثبات الوجود بلا كينونية ، معبراً بالفعل الماضي (كان) عن أزلية وجود الحق تعالى وبدايته . ويفهم من الأجوبة التي جاءت على شكل أفكار مكثفة قصيرة التراكيب أن الإمام يريد إيضاح الأمور الآتية:

إثبات الوجود دون الكينونية .

نفي الكيفية عن الله تعالى . بمعنى أنه جل وعلا ليس بمحدود ولا يحده الزمان ولا المكان ، فلا هيأته ولا جسم ولا شكل ولا صورة تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولهذا نفي الإمام (عليه السلام) عن الله (العدد) ، فهو إله واحد فرد صمد بلا (كم) والمراد بالكم ، فيما يبدو ، العدد والتراكم الكمي الذي يمثل كتلة الشيء وقوامه .

نفي وجود أحد قبل الخالق أو بعده ، وهو ما اختصره أمير المؤمنين (عليه السلام) بتعبير : ((انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كل غاية)) .

أقول : وقد روت بعض المصادر إجابات

اجتمعت الى رأس الجالوت ، وهو من علمائهم وزعمائهم ، يدعونه الى سؤال الإمام علي عن (ربهم) ومتى كان؟ فسأله رأسهم : ((يا أمير المؤمنين : جننا نسألك . قال : سل يا يهودي عما بدا لك . قال : أسالك عن ربنا متى كان ؟ فقال : كان بلا كينونة ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف ، كان ليس له قبل ، هو قبل القبل بلا قبل ، ولا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها ، انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كل غاية)) (١٠) . (فقال رأس الجالوت لليهود : امضوا بنا ، فهذا أعلم مما يقال فيه)) (١١) . وكلامه (عليه السلام) لرأس الجالوت ينطوي على أسرار معرفة الله وأحديته ووحدانيته . وهو يتضمن مقارنة بين ما تراه اليهود في عقيدة التثنية والدعوة الى أن الله ابنأ هو (عزير) ، وبين التوحيد الاسلامي الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فضلاً عن تضمنه انكار الإمام وإصراره على إثبات (الأحدية) للحق جل جلاله . والظاهر من سؤال الجالوت للإمام أنه يسأل عن كينونة الخالق تبارك وتعالى ، وكون وجوده الأولي ، فهؤلاء يسألون عن اللحظة التي بدا فيها وجود الله جل شأنه

أكثر أصحاب النبي وأوسعهم وصفاً
وتوحيداً لله تعالى ، بل هو أكثرهم
دقة ، بعد النبي الأكرم (صلى الله
عليه وآله وسلم) ، في الوصف وإسباغ
صفات الكبرياء والعظمة والجلال على
الخالق تبارك وتعالى . وهو في ذلك
كله يوازن بين التفكير الديني للملئ

الإمام للجلوت ، معللاً فيها عدم جواز
السؤال عن الحق تبارك وتعالى بـ(متى
كان) ؛ لأن ذلك لا يقال إلا لشيء
لم يكن فكان ، والله تعالى كائن بلا
كينونة ، وبلا كيف على حدّ وصفه
(عليه السلام) لله تبارك وتعالى (١٢) .
ومن خلال التتبع نجد أن الإمام علي من



حدث بل جل أن يكيّف المكيف للأشياء . كيف كان بل لم يزل ولا يزول ؛ لاختلاف الأزمان ولا لتقلب شأن بعد شأن ، وكيف يوصف بالأشباح ، وكيف ينعت بالألسن الفصاح من لم يكن في الأشياء ، فيقال : بانن ولم يبين عنها ، فيقال كائن : بل هو بلا كيفية ، وهو أقرب من جبل الوريد ، وأبعد في الشبه من كل بعيد ... كَلَّمَ موسى تكليماً بلا جوارح ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات . من زعم أن الهنا محدود ، فقد جهل الخالق المعبود ، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط ، لزمته الحيرة والتخليط ، بل هو المحيط بكل مكان ، فإن كنت صادقاً أيها المتكلم لوصف الرحمن بخلاف التنزيل والبرهان ، فصّف لي جبريل وميكائيل واسرافيل . هيهات أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود ، وانت تدرك صفة ربّ الهيئة والأدوات ، فكيف من لم تأخذه سنة ولا نوم له ما في الأرضين والسموات وما بينهما ، هو ربّ العرش العظيم

الأخرى فيما يخص (التوحيد) ، وبين وجهة النظر الإسلامية في الشأن نفسه . وقد بدا لي من خلال الرجوع الى بعض مصادر التراث الإسلامي أنّ الإمام كان كثير الاجتهاد في الوصف ، بل إنه يبلغ الغاية فيه عندما يُسأل من أصحاب الديانات الأخرى ، ولا سيما اليهود الذين تحتفل المدونات التاريخية بذكر مواقفهم مع الإمام . فقد نقل صاحب (حلية الأولياء) محاروة جرت بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين جماعة من اليهود (١٣) الذين وقفوا بين يدي الإمام وسألوه سؤالاً واحداً ، وهو أنّ يصف ربّه الذي في السماء كيف هو ، وكيف كان ومتى كان ، وعلى أي شيء هو؟ (١٤) . ((فاستوى علي جالساً ، وقال : يا معشر اليهود اسمعوا مني ولا تبالوا أن لا تسألوا أحداً غيري : إنّ ربّي عز وجل هو الأول لم يبد مما ولا ممازج مع ما ، ولا حال وهماً ولا شبح يتقضى ولا محجوب ، فيحوى ، و لا كان بعد أن لم يكن ، فيقال :

(١٥)(١). وهذا المقول يعضد ما تقدم ذكره في إجابته لرأس الجالوت ، لما سأله عن بدء الله تعالى وكيونته ، بل وتتسع فيه الأوصاف التي تسلب عن (الذات المقدسة) كل ما لا يليق بها من صفات من قبيل كونه محدود ، أو أن الأماكن تحيط به ، فهو يتكلم مع انبيائه بلا جوارح تؤدي صفة هذا الضرب من التكلم أو تصنعه كما هو عليه الإنسان المخلوق . ويشير الإمام بذلك الى قول الحق تبارك وتعالى في تكليمه لنبيه موسى (عليه السلام) ، في محاكاة من الإمام لهؤلاء اليهود من خلال ذكر علاقة الله تعالى بنبيهم الذي كلمه الله تكليماً من دون جارية كلام ، إلماحاً الى قوله تعالى : ﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا...﴾ (١٦). وتذكر المدونات أن استنثار موسى (عليه السلام) بتكليم الله تعالى راجع الى عدم الوساطة في التكليم بينه وبين الخالق تعالى ، فسائر الأنبياء كلمهم الله عن طريق الوحي الا موسى (١٧). ويتضمن كلام الإمام التعريض باليهود من خلال مواضعهم مع نبيهم موسى

(عليه السلام) الذي طالبوه برؤية الله تبارك وتعالى جمهرة ، شرطاً للإيمان به وبمن بعثه ، وذلك كله يمثل دعوة منهم الى تجسيم الله وحده في مكان و زمان معين وبهذا تكون أفكار (التشبيه والحد والكيونة والكيفية) التي يركز الإمام أمير المؤمنين على نفيها وسلبها عن الله جل جلاله من العقائد اليهودية التي بُنيت في العقيدة الاسلامية وتلقضتها بعض الفرق الدينية وصارت تبني عليها وتؤسس لها ، لتكون منهجاً وعقيدة بديلة عن التوحيد القرآني . يقول القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأُنْتُمْ نَظْرُونَ ﴾ (١٨). ويصف الله تبارك وتعالى هذه الدعوة الى رؤيته بأنها أكبر من سؤال أهل الكتاب بأن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، في دلالة على مناهضة هذا النوع من التفكير لمبدأ وحدانية الله وعدم تجسيمه وتشبيهه بالمخلوقين . فقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ... ﴾ (١٩). وما وقفت

المدونة القرآنية عند هذا الحد في منع النظر والرؤية لله تبارك وتعالى ، وإنما وصلت الى حد نفي هذه الرؤية أبداً حتى إذا كانت من خلال طلب الأنبياء انفسهم ، ومنهم النبي موسى (عليه السلام) الذي طلب من الله رؤيته ، لَمَّا جَاءَ إِلَى مِيقَاتِهِ ، فَكَلَّمَهُ اللَّهُ ، حسبما يذكر القرآن الكريم في قوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَىٰ رَبِّي وَلَكِنْ نُنظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ، فَسَوْفَ نَرَىٰ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠) .

أقول : والإمام (عليه السلام) خير من يمثل هذا النهج القرآني بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد ورد في رده على من سأله عن كيفية محاسبة الله للخلق مع كثرتهم وعدم رؤيتهم له .. سنل (عليه السلام) :
 ١) كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال (عليه السلام) : كما يرزقهم على كثرتهم . فقيل : كيف يحاسبهم ولا يروونه ؟ فقال (عليه السلام) : كما يرزقهم ولا يروونه (٢١) . وفي هذا التعبير العلوي إجابة بالمثل أو المصداق إذا

صح القول ، فإن القبول أو الأخذ بالرزق من الله تبارك وتعالى لهذه الأعداد الهائلة من البشر وغيرهم دون السؤال عن رؤيته ، هو في الوقت نفسه جواب على حسابهم وبالأعداد الكبيرة أيضاً من دون نظر هؤلاء الناس إليه . ونحن نرى أنّ أفكار الإمام (عليه السلام) في قضايا التوحيد والتجسيم والتشبيه والرؤية يتمم بعضها بعضاً ، ويفسر بعضها بعضاً ، فهي غير قابلة للتناقض والتعارض فيما بينها ، على الرغم من تعدد المواقف والسياقات التي قيلت فيها . فما زال الإمام ثابتاً في اعتقاداته التي أشاعها القرآن الكريم ، متخذاً منها منهجاً متداولاً في حياة رسول الله وبعد وفاته . حتى وقف المواقف المعروفة عنه في إثبات وحدانية الله والرد على اليهود وأهل الكتاب ؛ لأنهم الأساس الذي تبدر منه الشبهات والأفكار المنحرفة عن خط الدين الحق . ولهذا نلاحظ المعرفة والرصانة في إجاباته التي رد بها على هؤلاء . فقد ورد في (نهج البلاغة) أنّ بعض اليهود قال له : ((ما دَقَّقْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ)) فقال (عليه السلام)

له : إنما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتُم لنبِيِّكم : ﴿ وَجَنُوزًا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ وَالْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكَفُونَ عَلَى آصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ((٢٢)) (٢٣) . يريد (عليه السلام) أن الاختلاف بين المسلمين كان بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يكن الاختلاف في النبي ونبوته ، وإنما كان أكثر المسلمين مؤمنين بالنبي ورسالته إلا قليلاً من المنافقين ، في حين أن بني اسرائيل كانوا من أشد الأمم على نبيهم وأكثرهم عنثاً واختلافاً فيه حسبما يروي القرآن الكريم .

وقد كانت اليهود وأخبارهم كثيراً ما يقدمون على المسلمين ويسألونهم أسئلة عسوية على الفهم والتفسير والبيان ؛ لما فيها من نكت وأحداث لم تشهدها العقول الإسلامية أو تطلع عليها ، وكان الإمام علي يتصدى لأمثال هذه الأسئلة التي كانت تخرج حتى الخلفاء من أمثال الخليفين (أبا بكر وعمر) . ومن تلك المواقف اجتماع أخبار اليهود ورؤساء النصارى

لسؤال المسلمين عن أمور في التوراة والانجيل والقرآن . فقد روت كتب الحديث سؤالات هؤلاء للخليفة أبي بكر عما ((ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله)) . فقال أبو بكر عند ذلك : ((هذه مسائل الزنادقة يا يهودي)) . وكان فيمن حضر ابن عباس الذي أشار على اليهودي أن يذهب الى عيبة علم النبوة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... فقال الرجل اليهودي : ((سؤالي لا يعلمه إلا نبيّ أو وصي نبي . قال : أسأل عمّا بدا لك . فقال اليهودي : أجبني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال له علي (عليه السلام) : على شرط يا أخا اليهود . قال : تقول معي قولاً عدلاً مخلصاً لا إله إلا الله محمد قال رسول الله ؟ قال : نعم يا مولاي . فقال (عليه السلام) يا أخا اليهود أما قولك : ما ليس لله ، فليس لله صاحبة ولا ولد . قال : صدقت يا مولاي . وأما قولك ما ليس عند الله ، فليس عند الله الظلم . قال : صدقت يا مولاي ، وأما قولك ما ليس يعلمه الله ، فإن الله لا يعلم أن

طلبعتها الرسالة الإسلامية ، وقد
 اجاب الإمام على المسائل المتقدمة من
 وحي القرآن الكريم الذي تمثله أمير
 المؤمنين (عليه السلام) خير تمثيل
 ، حتى صار القرآن جزءاً منه ومن
 مقولاته . فأما السؤال الأول واجابته
 ، فهي من القرآن الكريم الذي يقول
 في غير موضع منه : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةٌ وَخَلَقَ

له شريكاً ولا وزيراً ، وهو على كل
 شيء قدير . فعند ذلك قال : مد يدك
 فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً
 (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله
 ، وأنت خليفته حقاً ووصيه ووارث
 عمله (٢٤) .

واجابات الإمام المتقدمة معتمدة
 على التفكير التوحيدي الذي جاء
 به الرسالات السماوية جميعاً ، وفي



كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٢٥﴾. ويقول
أيضاً: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رِيثًا مَا أَخَذَ صَحْبَهُ وَلَا
وَلَدًا﴾ ﴿٢٦﴾.

أما السؤال الثاني وجوابه ، فمنشؤه
قرآني أيضاً ، فإن الحق تبارك وتعالى
يسلب عن نفسه ظلم العباد ، وينضيه
نضياً قاطعاً في شتى النصوص القرآنية
، اذ يقول : ﴿ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ
اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾. ويقول

أيضاً : ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾
﴿٢٨﴾. وأما ما لا يعمله الله ، وهو
العالم بكل شيء ، فإنه لا يعلم أن له
شريكاً ووزيراً يعينه في تدبير الأمور
، ولهذا نجد أن القرآن الكريم يكرر

هذا المعنى ، وينفي الشراكة مع الله .
ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ، وَبِذَلِكَ
أُثِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْإِنْسَانِينَ﴾ ﴿٢٩﴾. وقوله : ﴿وَقُلْ
أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾.

وأجابات الإمام عن هذه المسائل
تشتمل على نفي ما سئل الإمام عنه عن
الله ، فضلاً عن اثبات مضاداتها له ،
فما ليس لله تعالى من صاحبة أو ولد
، فإن له الملك والوحدانية والتفرد
بالعظمة والجلال والهيبة ، وما ليس

عنده جل جلاله من الظلم ، فإن له
بمقابله الرحمة والعدل والاحسان
والرافة بالعباد .

وأما ما لا يعلمه تعالى شأنه ، فلا
يعلم أن له حاجة الى شريك أو وزير ،
فإنه يعلم بقدرته على الخلق والتدبير
والإبداع في هذا الكون من دون الحاجة
الى أحد معه يشاركه في ذلك . وهذه
مضامين اشتمل عليها جواب الإمام
لهذا السائل.

إن الله تعالى لا يخلو منه مكان
في السماء ولا في الأرض .

وهذه المفردة من مناظرات
الإمام مع اليهود لا تنفصل عن
سابقها ، غير أن فيها من الاستدلال
على كون الله تبارك وتعالى في كل
مكان وزمان ما يعجب الفكر ويحكم
شبهات العقل ، ويضعف سطوة الجهل
في هذه المسائل . فقد سأل بعض
اليهود عن الله أين هو أفي السماء أم
في الأرض ؟ . فأجابه الخليفة أبو بكر
بأنه في السماء على العرش . فأشكل
عليه اليهودي بأنه بهذا الجواب يرى
الأرض خالية من الله ، فهو بذلك في

أشهد أن هذا هو الحق المبين ، وانك
أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه))
(٣١) .

أقول : وفي النص المتقدم
دلالة على معرفة الإمام (عليه السلام)
بتفاصيل علم التوحيد في الديانات
الأخرى ، ولا سيما اليهودية التي نزلت
بها التوراة على النبي موسى (عليه
السلام) ، والظاهر أن الإمام يعرف
من تفاصيل هذه الديانات كما يعرفه
من تفاصيل الديانة الإسلامية ، ولهذا
تبدو عنده ظاهرة الموازنة والمقارنة
بين هاتين الملتين في فروع عقائدهما
الدينية الدقيقة .

فلم يكن (عليه السلام) يحتاج
هؤلاء بالقرآن فحسب مع كونه حجة
على أهل الكتاب أيضاً . فهم يعرفونه
كما يعرفون ما ورد في توراتهم
أيضاً . ولهذا كانت سؤلاتهم تدور
حول مباحث دقيقة مثلت اشكالات في
الفكر الإسلامي فيما بعد . حتى
أنهم كانوا يشكلون على الإجابة بما
يحفظون من القرآن الكريم ، في
دلالة على اطلاعهم على هذا الكتاب

مكان دون مكان آخر !. ولكن الإمام
علي (عليه السلام) أحكم الإجابة على
هذا الإشكال بأن عرض وجهة النظر
الإسلامية - اليهودية في هذه المسألة
، ليتسنى لليهودي التصديق بالإجابة
، فقال (عليه السلام) : ((إِنَّا نَقُولُ : إِنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْنَ الْأَيْنِ ، فَلَا أَيْنَ لَهُ ،
وَجَلَّ مَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، وَهُوَ فِي كُلِّ
مَكَانٍ بِغَيْرِ مَمَاسَةٍ وَلَا مَجَاوِرَةٍ ... قَالَ
: أَلَسْتُمْ تَجِدُونَ فِي بَعْضِ كِتَابِكُمْ أَنَّ
مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا
، إِذْ جَاءَهُ مَلِكٌ مِنَ الشَّرْقِ ، فَقَالَ لَهُ
: مَنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : مَنْ عِنْدَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ جَاءَهُ مَلِكٌ مِنَ الْمَغْرِبِ
، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : مَنْ
عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ جَاءَهُ مَلِكٌ آخَرَ
: فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : قَدْ
جِئْتُكَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ . وَجَاءَهُ مَلِكٌ آخَرَ فَقَالَ : مَنْ
أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْأَرْضِ
السَّابِعَةِ السُّفْلَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
، فَقَالَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : سَبِحَانَ
مَنْ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَكُونُ إِلَى
مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْ مَكَانٍ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ :

السماوات والأرض وما بينهما وما
تحت الثرى من التراب الرطب الذي
هو مادة الأرض، وهي عند المفسرين
تمثل أعماق الأرض وجوفها (٣٥). وهي
كلها مملوكة لمالك الملك وخالق
العالم (٣٦).

وثمة حديث آخر للإمام (عليه
السلام) يتحدث فيه قرار الأرض في
جواب لسؤال بعض اليهود أيضاً ،
يذكر فيه أن ما تحت الثرى لا يعلمه
إلا الله عز وجل (٣٧). وكأنه يومن
بذلك الى أن هذا الكون الذي نعيش فيه
من ورائه عدة أكوان وأرضين لا يعلم
مدها وقرارها . المبحث الثاني

فائدة حروف الهجاء في القرآن
الكريم ودلالاتها

لقد عني الإمام أمير المؤمنين (عليه
السلام) باللغة العربية ، بوصفها لغة
القرآن الكريم ، حتى أن المدونات
اللغوية تروي من ذلك أنه المنشئ الأول
لعلم النحو ، وعلوم ضبط المفردات
والكلمات بالحركات والنقط والإعجام
بالنسبة للحروف العربية . فهو الذي
أمر أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أن ينحو

المقدس بتفاصيله . فقد سأل يهودي
أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الرّب
أيحمل أم يحمل ؟ فقال (عليه السلام)
: ((إنّ ربّي عز وجل يحمل كل شيء
بقدرته ولا يحمله شيء . قال : فكيف
قوله عز وجل : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ
مَنْبِيَّةً ﴾ (٣٢) . قال : يا يهودي : ألم تعلم
أن الله ما في السماوات وما في الأرض
وما بينها وما تحت الثرى ، فكل شيء
على الثرى ، والثرى على القدرة ،
والقدرة تحمل كل شيء)) (٣٣). ومراد
الإمام من ذلك : أن قدرة الله هي التي
تحمل كل شيء ، وأن نظرية العرش
الالهي لا تدل على الجسميّة والمكانيّة
واحاطتها بالله تبارك وتعالى ؛ لأنه
جل جلاله يحيط بكل شيء ولا يحيط
به شيء . واستعمال الإمام لمفردة
(الثرى) يمثل إيحاء الى قوله تبارك
وتعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْتِئِ ﴾ (٣٤) . فالعرش ، حسبما
يبدو ، يمثل القدرة التي يتفرد بها الله
تعالى شأنه ، واستواؤه عليه يدل على
تمكّنه واحاطته ووسطوته على كل
شيء ، ولهذا كان كرسيه قد وسع

من زعم أنه لا يفصح بعد ضرب رأسه بعضا ، فحكمه أن تعرض عليه حروف المعجم ، ثم يعطي الدية بقدر ما لم يفصح منها . يقول (عليه السلام) : ((إن أول خلق الله عز وجل ليعرف به خلقه الكتابة ، حروف المعجم . وإن الرجل إذا ضرب على رأسه بعضا ، فزعم أنه لا يفصح ببعض الكلام ، فالحكم فيه أن تعرض عليه حروف المعجم . ثم تعطى الدية بقدر ما لم يفصح منها)) (٣٩) . ويذكر الإمام الرضا (عليه السلام) أن هذه الحروف التي يتداولها العرب هي التي أنزل بها القرآن الكريم (٤٠) ، ثم خاطبهم بقوله

في تفریح علم النحو الذي وضعه له من خلال تقسيم الكلام العربي على اسم وفعل وحرف ، وغير ذلك من أصول القواعد النحوية وتفریعاتها التي تكفل أبو الأسود بتفصیلاتها وبيان مباحثها ، حسبما تذكر المدونات التأريخية (٣٨) .

ومن تتبع جملة من أحاديث أهل البيت (عليه السلام) تتبين عنايتهم بحروف الهجاء العربي ، فقد وجدت حديثاً عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يذكر فيه أولية خلق الله تعالى لحروف المعجم ؛ لتكون سبيلاً لمعرفة الكتابة ، وزاد على ذلك بأن



: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٤١)

وثمة رواية نقلتها كتب الحديث النبوي تحكي لنا إجابة أمير المؤمنين عن سؤال لبعض اليهود

الذين دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألونه عن فائدة حروف الهجاء ، فطلب النبي من الإمام أن يجيب اليهودي عن سؤاله . فكانت إجابته (عليه السلام) نابعة من علاقة كل حرف من حروف المعجم



بأسماء الله تبارك وتعالى . يقول الإمام : ((ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عز وجل ... أما الألف ، فالله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأما الباء ، فباقٍ بعد فناء خلقه . وأما التاء ، التَوَاب يقبل التوبة عن عباده . وأما الثاء ، فالثابت الكائن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . وأما الجيم ، فجَلُّ ثَنَاؤُهُ وتقدست أسماؤه . وأما الحاء فحق حيّ حليم . وأما الخاء فخبير بما يعمل . وأما الدال ، فدَيان يوم الدين ، وأما الذال ، فذو الجلالة والإكرام ... وأما الواو ، فواحد صمد لم يلد ولم يولد ، أما اللام الف ، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأما الياء ، فيد الله بأسطة على خلقه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هذا هو القول الذي رضي الله عز وجل لنفسه من جميع خلقه ، فأسلم اليهودي)) (٤٢).

وتبدو إشارات أمير المؤمنين إلى تعلق هذه الحروف وارتباطها بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ليست مسألة خاصة بلغة العرب ، وإنما هي أمر عام يشمل الديانات جميعاً ؛ على أساس

خضوعها للرسالة الخاتمة التي أرسل بها النبي صلوات الله عليه وآله وسلم إلى الأمم . ولما كان أصل هذه الرسائل السماوية ومنشؤها هو الله تعالى ، فمن الطبيعي أن يجعل الإمام الصلة وثيقة بين حروف الهجاء العربي وبين أسماء الله وصفاته ؛ لتتضح الصورة والغاية من هذه الحروف التي جعل الإمام غايتها الأساس تركب أسماء الله منها . ويعد ذلك من بواكير الدرس اللغوي القرآني المقارن ؛ لأنه بحث في الأصول التي تتشكل منها المفردة اللغوية العربية القرآنية على مستوى الحروف والصوت اللغوي المرتبط به بلحاظ مدى العلاقة بين الحرف والاسم الذي يتشكل منه . فكأن كل حرف هو رمز من رموز قدرة الله وعظمته وسلطانه .

أقول : ويضخ هذا الضرب من التأويل القرآني الارتباط بالله تبارك وتعالى وسطوته واتساع قدرته واحاطته بالعالم كله بما فيه من مخلوقات . ومما يدعم ذلك عناية الإمام علي وأهل البيت (عليهم السلام) بذكر هذه

في فواتح بعض سور القرآن الكريم من قبيل ((كهيعص)) ، و((الم)) ، و ((طس)) ، وغير ذلك مما افتتح به القرآن الكريم سوره التي مثلت فيها هذه الحروف سرّاً من أسرار هذا

الحروف ، حتى جعلها أمير المؤمنين (صفوة القرآن) ، في قوله الذي بقول فيه : ((إن لكل كتاب صفوة ، و صفوة القرآن حروف التّهجّي)) (٤٣). ويبدو أنّ هذه العناية راجعة أيضاً الى ما ورد منها



الكتاب المقدس ، حتى تحيرت عقول المفسرين والعلماء في معانيها وسبب تصدرها تلك السور القرآنية.

ومما يتعلق بحروف الهجاء التي عدّها الإمام صفوة القرآن ، علة تسمية الله تبارك وتعالى لـ(آدم) و(حواء) بهذين الاسم ، فضلاً عن سبب تسمية (الدنيا) و(الأخرة) بهاتين التسميتين . فقد ورد في الأحاديث أن يهودياً قدم على أمير المؤمنين سائلاً إياه عن مسائل عدة اقتضرت منها على هذه المسألة التي تلفت نظر المدرس اللغوي المقارن ، فالسؤال من شخص يهودي لا علم له ، حسبما يبدو ، بالعربية إلا إذا كان من علماء الأديان واللغات معاً ، كما أن الإجابة التي صدرت عن أمير المؤمنين تبين عمق معرفته بتفاصيل اللفظ ودلالته اللغوية ، فضلاً عن المسألة العلمية المتعلقة بالخلق وتكوينه . وقد سأل اليهودي الإمام مسائل عدة وشرط على نفسه أنه إذا أخبره الإمام بها أسلم . فقال له الإمام (عليه السلام) : ((سَلْنِي يَا يَهُودِي ، فَإِنَّكَ لَا تَصِيبُ أَحَدًا أَعْلَمَ

منا أهل البيت . فقال له اليهودي : ... لم سميت السماء سماء ؟ ولم سميت الدنيا دنيا ؟ ولم سميت الأخرة آخرة ؟ ولم سمى آدم آدم ؟ ولم سميت حواء حواء... فقال (عليه السلام) : ... وسميت السماء سماء ؛ لأنها وَسُم الماء ، وإنما سميت الدنيا دنيا ؛ لأنها أدنى من كل شيء ، وسميت الأخرة آخرة ؛ لأن فيها الجزاء والثواب...)) (٤٤) .

وفي هذه الإجابة مسائل ، فالإمام (عليه السلام) يشير الى أنّ الأصل في تسمية هذه الألفاظ مشتق من الدلالة التي تضفيها هذه الألفاظ . وينفرد الإمام في ذكره لعلة تسمية السماء بهذا الاسم بإرجاعها الى (الوَسْم) ، أو وَسْم الماء ، أي : أصله ومنبعه أو معدنه ، حسبما يعبر العلامة المجلسي (٤٥) .

في حين أنّ الأصل في اللفظ أنّه مأخوذ من السِّمّة ، وهي العلامة (٤٦) . ولم تذكر المدونة المعجمية دلالة مفردة (السماء) على (الوسم) بمعنى المعدن أو الأصل ، وإنما الوسْم الأثر والعلامة. فكان الإمام (عليه السلام)

ولهذا ورد في دعاء (النَّدْبَة) قوله (عليه السلام) : ((... بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزَّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزُبُرْجِهَا...)) (٤٨). والظاهر من قول الإمام (أدنى من كل شيء) ، أنه يفيد الدلالة على قلة شأنها وحقارتها مقارنة بما أذخره الله تعالى لعباده في الجنة . وكأنه (عليه السلام)

يلمح الى قوله تعالى على لسان (موسى) مخاطباً بني اسرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى أَنْ تُصِرْ عَلَىٰ طَعَامِ وَجَدٍ فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّيْهَا وَفُؤَيْهَا وَوَعْدِهَا وَمَنْعِلَهَا قَالِ أَتَنْتَبِذُونَ الَّذِي هُوَ أَدْوَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ... ﴾ (٤٩) . فوصف ملذات الأرض التي طلبها بنو اسرائيل من نبيهم بالدنو والحقارة مع ما هو خير منه وأبقى .

وذكر الإمام أن سبب تسمية (الآخرة) بهذا الاسم راجع الى كونها محل الجزاء والثواب ، فهي آخر ما يؤول اليه الانسان ليلقى جزاءه إن خيراً ، فخير ، وإن شراً ، فشر . أما ما يخص تسمية (آدم وحواء) ، فقد احتج (عليه السلام) لتسمية

يريد أن يقول إن العلة في تسمية السماء سماء هي كونها الأصل أو المنبع الذي يصدر عنه الماء ، في إشارة الى ما يهطل منها من مطر . وذكر العلامة المجلسي أن تعبيره عنها بالمعدن ؛ لأن معدن كل شيء هو علامة له (٤٧) .

وهذه محاولة من الشيخ للتوفيق بين معنى كلمة (وَسْم) و(علامة) . وذلك أمر مفهوم كما يظهر ، غير أن الإمام أضاف معنى أو دلالة لمفردة (سماء) لم تذكرها المعاجم اللغوية ؛ بسبب اغفالها كلامه (عليه السلام) الذي لم يطلع عليه المعجميون ، فجمعوا المعاني في استقراء ناقص للغة من دون عناية أو تثبُّت من لغة أفصح الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، على الرغم مما أوردته بعض المدونات اللغوية من كلمات للإمام (عليه السلام) . أما الدنيا ، فقد علل الإمام تسميتها بذلك لدنوها وتسافلها ، فهي أدنى من كل شيء ، ولاسيما في دنائها وسونها .

(آدم) في كونه خلق من أديم الأرض ، وطينة حمراء ،
 ، بذكر قصة خلقه من أربعة أنواع ، وطينة غبراء ، وطينة سوداء ، وذلك
 من الطين و المياه ، وكيف أدام الله ، ثم أمره أن يأتيه
 ذلك وخلقه ، وجعل خلق (حواء) من بأربعة مياه : ماء عذب ، وماء مالح ،
 (الحيوان) ، وهو الحياة . يقول (عليه السلام) : ((وسمي آدم آدمًا ، لأنه خلق
 من أديم الارض ، وذلك أن الله تبارك بيده(٥٠) ، فلم يفضل شيء من الطين
 وتعالى بعث جبرائيل (عليه السلام) ، يحتاج الى الماء ، ولا من الماء شيء
 وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع يحتاج الى الطين ... وإنما سميت حواء



- (١) ينظر : نهج البلاغة : خ / ١٨ : ٥٢ .
- (٢) ينظر : التوحيد ، للصدوق : ٢٣ / ١ .
- (٣) الارشاد ، للمفيد : ١٥١ .
- (٤) الاخلاص / ١٨ .
- (٥) المائدة / ١٨ .
- (٦) التوبة / ٣٠ .
- (٧) المائدة / ٦٤ .
- (٨) المائدة / ١٨ .
- (٩) المائدة / ٨٢ .

البيت (عليهم السلام) بوصفهم القرآن الناطق .

- ٥- نفي الإمام رؤية الله تبارك وتعالى ، مصراً على عدم تشبيهه أو تجسيمه ، فضلاً عن نفي الجوارح عنه .
- ٦- عني الإمام بتبيان فائدة حروف الهجاء التي تشكل منها كلمات القرآن الكريم ومفرداته . من إبانته عن مضامين ودلالات أسماء بعض الأنبياء والألفاظ القرآنية من قبيل (آدم ، وحواء ، والدنيا ، والآخرة ، والسماء) . وقد تبين للباحث إرساء الإمام للكثير من هذه المعاني وابتكارها مع اغفال اللغويين الإشارة إليه في هذا الجانب .

حواء ؛ لأنها خلقت من الحيوان)) (٥١) .
الخاتمة وفي ختام هذا البحث المتواضع ثمة مجموعة من النتائج التي يمكن أن أوجزها في الآتي :

١- يعد الإمام علي (عليه السلام) من أوائل الواضعين للدرس القرآني المقارن ، إذ تبدو بواكيره واضحة من خلال المقولات التي مر ذكرها في هذا البحث .

٢- تعد مباحث التوحيد والعدل الألهي من أهم مباحث علوم القرآن الخاصة بالعقائد المقارنة ، لكونها من المباحث المشتركة في الديانات جميعاً .

٣- ركز الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفكار اليهود من أهل الكتاب التي تطعن في رسالة الإسلام وبعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٤- صحح الإمام (عليه السلام) الكثير من الأفكار التي كانت تسود في الفكر الإسلامي الذي تسربت إليه بعض هذه الأفكار في الفكر اليهودي .

أقول : صحح الإمام الكثير من ذلك من خلال إرسائه المنهج القويم في معرفة الله تبارك وتعالى من خلال أئمة أهل

- (١٠) بحار الأنوار ، للمجلسي : ٣/ ٣٣٦
- (١١) بحار الأنوار : ٣/ ٣٣٦ .
- (١٢) ينظر : الفصول المهمة في أصول الأئمة ، للحر العاملي : ١/ ١٥٣ .
- (١٣) ذكر الأصبهاني أنهم اربعون رجلاً . ينظر : حلية الأولياء : ١/ ٧٢ .
- (١٤) ينظر : بحار الأنوار : ٣/ ٣٣٦ .
- (١٥) حلية الأولياء ، لا بي نعيم الأصبهاني : ١/ ٧٢ ، ٧٣ ، وموسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، لمحمد الريشهري : ١١/ ١٢٠ .
- (١٦) النساء : ١٦٤ .
- (١٧) ينظر : التبيان في تفسير القرآن للطوسي : ٣/ ٣٩٣ .
- (١٨) البقرة / ٥٥ .
- (١٩) النساء / ١٥٣ .
- (٢٠) الاعراف / ١٤٣ .
- (٢١) نهج البلاغة : ٨٥١ .
- (٢٢) الاعراف / ١٣٨ .
- (٢٣) نهج البلاغة : ٨٥٤ .
- (٢٤) بحار الأنوار : ١٠/ ٢٦ .
- (٢٥) الانعام / ١٠١ .
- (٢٦) الجن / ٣ .
- (٢٧) آل عمران / ١٨٢ . وينظر : الانفال / ٥١ ، والحج / ١٠ .
- (٢٨) ق / ٢٩ .
- (٢٩) الانعام / ١٦٣ .
- (٣٠) الاسراء / ١١١ . وينظر : الفرقان / ٢ .
- (٣١) بحار الأنوار : ٣/ ٣٠٩ .
- (٣٢) الحاقة / ١٧ .
- (٣٣) بحار الأنوار : ٣/ ٣١٧ .
- (٣٤) طه / ٥ ، ٦ .
- (٣٥) ينظر : التفسير الامثل ، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٩/ ٥٢٧ .
- (٣٦) نفسه .
- (٣٧) ينظر : بحار الأنوار : ١٠/ ١٢ .
- (٣٨) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد علي : ١٧/ ٣٦ .
- (٣٩) بحار الأنوار : ٢/ ٣١٩ .
- (٤٠) نفسه .
- (٤١) الاسراء / ٨٨ .
- (٤٢) بحار الأنوار : ٢/ ٣١٩ .
- (٤٣) بحار الأنوار : ٨٨/ ١١ .
- (٤٤) بحار الأنوار : ١٠/ ١٢ .
- (٤٥) ينظر : بحار الأنوار : ١٠/ ١٢ .

(٤٦) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور

(وسم) ١ : ١٢ / ٦٣٥ .

(٤٧) ينظر : بحار الأنوار : ١٠ / ١٤ .

(٤٨) شرح دعاء الندبة / للسيد صدر

الدين الطبطبائي : ١ / ١٢ .

(٤٩) البقرة / ٦١ .


(٥٠) ليس المراد من قوله (ع) اثبات

اليد الجازحة لله تبارك وتعالى ، وإنما

هي اشارة الى قدرة الله وعظيم صنعه

كما يبدو .

(٥١) بحار الأنوار : ١٠ / ١٣ .



التوجيه الدلالي لآيات الطلاق

د. عادل عباس النصراني

جامعة الكوفة



في هاتين الآيتين المباركتين أمور تتعلق بالطلاق وأحكامه وأنواعه وما يترتب عليه من مسائل المهر والصداق فضلاً عن حصر إنهاء العقد والزواج بيد الرجل ، وانتقاله استثناءً إلى الزوجة ، وهو خلاف الأصل والقواعد الشرعية المعتمدة ، وإباحة ذلك لها وعدم ارتكابهما الإثم والمعصية . وعليه فأني استطلع فيها أمرين مهمين هما

الأمر الأول :

جواز مراجعة الزوجة فقوله تعالى (الطلاق مرتان) ، محدد لعدد مرات الطلاق ، وان سبب نزول هذه الآية يبين لنا الأسباب المؤدية لهذا التحديد ، فقد (روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتت فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك ، وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقض عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة ، لم يكن للطلاق عندهم حد ، فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ﴾^١ . فعملية التحديد

بالمرةتين هو لدرء الضرر

شرع الله تعالى النكاح في القرآن الكريم بمعنى العقد في آيات كثيرة وهو دليل على كونه حقيقة فيه شرعاً ولأن من دأب القرآن التعبير عنه بالملامسة والمقاربة والتغشي والمماسمة والأتیان والدخول والكل كناية لم يرد لفظ النكاح فيه بمعنى الوطن ولكن اصل النكاح في كلام العرب الوطن وقيل للزوج لأنه سبب الوطن المباح. ولما كان لفظ النكاح يحتمل معنيين وكلاهما يعني إحكام القيد على الزوجة بالزوجية فقد ناسب هذا القيد لفظ الطلاق الذي يعني الانطلاق والارسال وعليه فإن لفظ الطلاق جاء من قبيل التخصيص لا النقد في الاصول ومن آيات الطلاق ما خص بطلاق الخلع الذي يعرف بأنه افتداء الزوجة ارتباطها بالمال ، وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۖ﴾^٢

الذي يصيب المرأة المطلقة وإعطائها الحرية في اختيار ما يناسب حياتها من نحو الزوج وغيره . فضلاً عن إلغاء مفهوم الجاهلية في المراجعة ألف مرة ، الذي يجعل من المرأة لا حياة لها وأنها تابع ذليل لا يقدر على عمل الخير حتى لنفسها فضلاً عن غيرها ، وهذا مما يعمل على هدم الأسرة ، فقيد هذا التحديد حرية الرجل ومنحها إلى المرأة لتجد نفسها وحياتها .

والمغزى الذي يهدف إليه الإسلام من ذلك ، هدم الأعراف الجاهلية المبنية على إلغاء حق النوع الآخر وهو (النساء) ، لأن الإسلام قد جعل للمرأة نصيباً كما للرجل نصيب فقال تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ... وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ مِنْ غَيْرِ تَجَاوَزَ عَلَى حَقِّهَا وَحَرَمَتِهَا .

ومما يستدل من هذه الآية كذلك أن وقوع الطلاق مرتين لا يكون في مجلس واحد بل لو كان في مجلس واحد لقدّم العدد على المعدود وقال (مرتان الطلاق) أي أن يلغى الرجل (أنت طالق ، أنت طالق) أو نحوه ، فيكون قد وقع الطلاق مرتين ، وكذلك في طلاق الثلاث ، غير أن تقديم المعدود على العدد أوجب وقوع

الطلاق الأول ثم الرجوع عنه بعد مدة ومن ثم وقوع الطلاق الثاني والرجوع عنه بعد مدة أخرى ، فيكون قد وقع

الطلاق مرتين. لذا فإن طلاق الاثنين وطلاق الثلاث في مجلس واحد يعدُّ طلقة واحدة فقط ، على وفق نظم هذه الآية ، وهو رأي الأمامية والحنفية ، قال المقداد السيوري في معرض حديثه عن الآية المباركة : (وقال أصحابنا الحنفية : المراد التطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾^(١) أي كرة بعد كرة ومثله لبيك وسعديك ،

ولذلك قالوا : الجمع بين الطلقتين أو الثلاث بدعة ، واحتج أصحابنا بعد أخبارهم التي رووها عن أهل البيت (عليهم السلام) (٢) . وقوله تعالى : ﴿ فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ عطف على قوله ﴿الطلاق مرتان﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب ، وإنما جاء العطف بها لإفادة (وقوع حكم ما بعدها عقيب حكم ما قبلها بلا مهلة عرفية وتراخ عاد) (٣) ،

ونستدل منها أن الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان يقع عقيب الطلاق

بقاء المشاكل عالقة مدعاة لتطورها وتشعبها مما يدخل المجتمع في حالة من صراعات ، وهذا عمل فيه مزيد من احترام النفس والمجتمع ، والانشغال بما هو مفيد . ثم جاء ب(أو) ليضع المخاطبين من الرجال أمام خيارين ليختاروا واحداً منها ، أما الإمساك بمعروف من حسن المعاشرة وإعطاء النفقة وغيرها وهو الزواج الرجعي ، أو تسريح المرأة وإعطائها حريتها لتختار من يناسبها ولتعيش بأمان وطمأنينة ، وهو الطلاق .

الثاني مباشرة وبأقل زمن أي أثناء عدّة المطلقة ، وهذه العدّة تعد مهلة عرفية ، فناسب مجيء الفاء مع وقوع الحكمين ، وإن استعمالها كذلك يُفيد تقصير المدة ، ولو أراد التطويل لجاء بالأداة (ثم) ^(٧) ، وبما أن المقام في الآية مقام تقصير فأحسن فيها مجيء الفاء إن المغزى من الإتيان بالفاء المفيدة للعطف الثاني على الأول ، هو لفض النزاع ودرء المشاكل التي تواجه الرجل والمرأة ، وكذلك أهليهما من بعد لأجل صيانة المجتمع وحفظه من المشاكل بأسرع وقت ممكن ، لأن



الأمر ، ثم لو كان خبراً لاحتمل الصدق والكذب في ذلك ، وهذا مما لا يكون في كتاب الله ، لأنه كله صدق ولا وجود للكذب فيه البتة . أما دلالة قوله (فإمسك بمعروف) يقول المقداد السيوري : (أي على وجه سائغ ، وهو كناية عن ردها إلى النكاح إما بالرجعة ، إن كانت العدة باقية ، أو باستئناف العقد إن انقضت)^(١) وأما قوله (تسريح بإحسان) فقد (اختلف في معنى التسريح ، فقيل : هي الطلقة الثالثة لما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن المراد من التطليق الرجعي اثنان ،

غير أن (أو) ترشدنا إلى أمر مهم ، هو أنها لا تأتي إلا بعد أمر أو طلب لأجل أن تكون تخييرية ، إذ إن معنى التخيير (ترك المخاطب حرجاً يختار احد المتعاضفين فقط ويقتصر عليه دون أن يجمع بينهما لوجود سبب يمنع الجمع)^(٢) ، ففي الآية الكريمة لا يجوز عقلاً أن يُرجع المطلقة ، ويطلقها في آن واحد ، فهنا يجب اختيار أحد الأمرين . وكذلك يدل استعمال (أو) المشروط عملها بأن يسبقها أمرٌ وطلب ، فيكون قوله (الطلاق مرتان) بموضع الوجوب أو



المهر وهذا يوحي إلى عدم اخذ كل المهر ، لأن حرمة اخذ الجزء منه تدل على حرمة أخذ كله ، وهذا ابلغ في التعبير ، ولو أراد عدم حلية اخذ الكل لعدى الفعل (أخذ) بنفسه ، قال (لا تأخذوا ما آتيتموهن) فيكون الأخذ لكل المهر على وجه الإطلاق ، وهو غير مطلوب الآية المباركة . ثم نبّه تعالى على أمر مهم عندما عدل عن أسلوب الخطاب (و لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) إلى أسلوب الغيبة عندما قال ﴿ إِنْ أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ليلتفت الأنظار إلى أمر مهم آخر ، وهو افتداء الزوجة بالمال (الخلع) .

وفي هذا تنشيط للسمع واستمالة في الإصغاء إلى ما يقول بعد الكلام الأول^(١٣) لأهميته ، وهو ما يمثل الأمر الثاني ، وهذا إنما يدل على أن الخطاب لأولي الأمر أو الحكام القائمين على تطبيق الشريعة لا إلى الأزواج كما ذهب بعضهم إلى ذلك ، لأن أولي الأمر أعرف بحدود الله من عامة الناس وأولى من غيرهم في ضرورة تطبيقها على الناس كافة .

والفعل (أخذ) في قوله ﴿ إِنْ أَنْ يَخَافُوا مِمَّا

فعندما سُئِلَ عن الثالثة قال (صلى الله عليه وآله) : ((أو تسريح بإحسان))

(١٤) وقيل أيضاً هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة ، وهو المروي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ، وهو الأصح لأن الطلاق لا يقع بالكناية بل بالتصريح ، وهو رأي الإمامية من الشيعة^(١٥) ، وعند طلاق الزوجة لا يؤخذ من مهرها شيء ، بدليل قوله سبحانه ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾^(١٦) وقال (مما) أي من ما ، فجاءت (من) تبعيضية و(اما) اسم موصول ، وهي من صيغ العموم ، فأقادت عموم المهر سواء كان أموالاً ونقداً أم أرضاً أو عقاراً أم غير ذلك ، ولذلك جيء بلفظة (شيء) وهي نكرة في سياق النفي لتفيد العموم كذلك ، ولو جاءت معرفة لخصص ذلك الشيء بأحد المذكورات المهر ، فناسب مجيئها ما سبق من العموم ، فتوجيه النص هو عدم حلية اخذ أي جزء من هذه الأشياء من المطلقة ، ومما يزيد من حرمة أخذ المهر من المطلقة ، مجيء الفعل (أخذ) متعدياً إلى مفعوله حرف الجر فقال (لا تأخذوا مما آتيتموهن) ، ليؤكد عدم حلية اخذ الجزء من

أَتَيْتُمُوهُنَّ ۖ لَمْ يَأْتِ عَلَى أَصْلِ مَعْنَاهِ

المعجمي بمعنى التناول^(١٤) ، فقد تعدى ب (من) إلى مفعوله فاتخذ له معنى مجازياً بمعنى المنع^(١٥) ، وهذا المعنى ناسب دلالة الفعل (أتى) في قوله (أتيتموهن) الذي جاء بمعنى الإعطاء^(١٦) ، فيكون المعنى أن لا تمنعوا أي شيء من مهر النساء المطلقات الذي أعطي لهن وفق العقد بين الزوجين وان الذي ينظم عقد الزواج والطلاق هو الذي يحدد متى يمنع المهر ومتى يعطيه وفق الشريعة عند الترافع عليه ، وهو ولي الأمر والحاكم بأمر الله تعالى .

وكذلك لو جاء الفعل (أخذ) على أصل معناه (تناول) الذي على صيغة (فاعل) الدالة على المشاركة بين اثنين من نحو (وتناولت من يده شيئاً إذا تعاطيته وناولته الشيء فتناوله)^(١٧) ، فيكون بمعنى الأخذ على أصل معناه بين اثنين وهما الزوج والزوجة .

إذن توجيه النص المبارك لا يكون لمخاطبة الأزواج ، ومما يعزز هذا أيضاً ما جاء بعده من الاستثناء في قوله (وان خضتم) أي إن علمتم يا ولاة

الأمر والحكام من أن لا يقبلا - أي الزوجين - حدود الله.

فلا وجه لقبول كلا الاحتمالين كما ذهب إليه الزمخشري^(١٨) . والله اعلم .

الأمر الثاني : - جواز افتداء الزوجة بالمال (الخلع) :-

عند تدبر قوله تعالى ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۖ نَجِدَ أَنْ نَضِيَ الْجَنَاحَ هُنَا قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بِاسْتِعْمَالِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ الَّتِي تَقِيدُ نَضِيَ الْعُمُومَ بِالتَّنْصِيفِ

؛ مع وجود محدد لهذا النضي وهو افتداء الزوجة بمهرها لأجل طلاقها ، ومحدد آخر يشمل هذين يقع عليهم النضي وهما الزوجان، بدلالة قوله (عليهما) - أي الزوج والزوجة .

إن الخلع هو طلاق لا محالة . وليس بفسخ ، لأن الفسخ هو نقض العقد والمعاملة ، وان نقض العقد بيد الزوج ، لأنه صاحب العصمة في ذلك ، وقد اتفقت الشيعة الأمامية على كون الخلع طلاقاً وليس بفسخ^(١٩) ، وهو مذهب السيد المرتضى^(٢٠) ، ومالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي والشافعي في الجديد ،

وقوله في رواية ثانية : إذا خلع الرجل امرأته فهي واحدة بانن (٢٥) ، وهو

المروي أيضاً عن الإمام موسى الكاظم بن الإمام الصادق (عليهما السلام) (٢٦) .

أما دليلنا في ذلك هو ان السياق العام للآية يدل على أن الخلع طلاق وذلك أن صدر الآية المباركة كان حديثاً عن أمر الطلاق بشكل عام ، وحرماً أخذ المهر من المطلقة ، واستثنى نوعاً خاصاً منه ما كان شأنه بانتقال حق إنهاء العقد إلى الزوجة مقابل

على أنه طلاق بانن (٢٧) ، وهو كذلك عند الإمام الصادق (II) ، والشيخ الطوسي (٢٨) ، وصاحب الجواهر (٢٩) .

في حين ذهب آخرون إلى أنه فسح لا طلاق ، منهم ابن عباس ، وعثمان بن عفان ، وهو قول طاوس وعكرمة ويقول به احمد بن حنبل ، وهو مذهب الشافعي في القديم (٣٠) ، وتجد أسباب كل فريق وأدلتهم في مظانها .

والأولى أن يكون الخلع طلاقاً (لقول الإمام الصادق (II) : (خلعها طلاقها ،



بمقدار المهر .

أما في قراءة الربيع بن أنس (ولا جناح عليهما فيما افتدت به منه) فإن الضمير الهاء في (منه) إذا عاد على الزوج فيكون لا جناح عليها فيما افتدت به من زوجها ، فحكم الافتداء يحتمل الوجوه الثلاثة .

أما إذا عاد الضمير إلى الصداق ، في (ما أتيتموهن) وهو المهر فإنه يكون أقل منه ، لأن الضمير مسبوق بـ(من) التبعية .

فالذين قالوا بعموم صداقها وبأكثر منه ، وبكل مالها ، عمر وعثمان وابن عباس ومجاهد وعكرمة والنخعي والحسن وقبيصة بن ذؤيب ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور ، وقضى بذلك عمر ، والذين قالوا بالصداق وحده من غير زيادة قاله : علي وطاوس وعمر بن شعيب وعطاء والزهري وابن المسيب والشعبي والحسن والحكم وحماد واحمد وإسحاق وابن الربيع ، وحكي ان أبا حنيفة قال ببعض صداقها ولا يجوز بجميعة إذا دخل بها حتى يبقى منه بقية ليكون بدلاً عن استمتاعه بها^(٢٧) ولعل وقوع الإباحة على الصداق في الافتداء هو لتنازل

دفع المهر أو مع الزيادة ، فرفع بذلك الحرج عن الزوج والزوجة لضرورة يحتمها الموقف ، من باب النهي عن المنكر ، لأن المرأة الكارهة لزوجها وغير المطيعة له يدخلها هذا السلوك في المحرم ، فقبول هذه الطريقة في إنهاء العقد يرفع عن الزوجة الإثم ، بالافتداء بالمال للزوج مقابل تنازله عن حقه الشرعي في إنهاء العقد .

أما قيمة الافتداء من المال فهو محل خلاف ، فمنهم من ذهب إلى أن المرأة تبذل كل صداقها أو غيره أو الصداق مع غيره ليخلعها أو يطلقها ، والحقيقة أن كل هذه الاحتمالات قائمة .

فإذا عاد الضمير في (به) على (ما) الموصولة في قوله (فيما افتدت به) ، فإن الافتداء سيحتمل كل هذه الاحتمالات ، لأن (ما) اسم موصول (يفيد العموم) فقيمته تكون محل اتفاق بين الزوجين ، فقد يكون أقل من مهرها أو مثله أو مع زيادة ، هو مذهب جمهور المسلمين إما إذا عاد الضمير إلى ما الموصولة في (لا تأخذوا مما أتيتموهن) الآية ، فإن (ما) هنا يعني بها الصداق فيكون الافتداء

من مستثنياته طلاق الخلع ، إذ (الفاء تعطف المفصل على المجرم وتسمى تفصيلية ايذاناً بأن حق التفصيل من حيث هو تفصيل ترتبه على الإجمال وتأخره عنه أو لتأخره عنه في الذكر)^(٣) . لان ما جاء قبلها لم يوضح حكم ما بعد الطلاق بأنواعه وما يؤول إليه حال المطلقة ، بل ذكر ما يتعلق

بالحقوق المالية اتجاه الزوج والزوجة فقط ، أما ما يؤول إليه حال المطلقة بعد التطليقة الثانية فلم يوضح ذلك .

لذا جاء قوله سبحانه ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَاعْطَى حَكْمَ لِمَا أَجْمَلَ قَبْلَهَا فَهَذَا تفصيل وترتيب على الاجمال وان تأخر عنه في الذكر ، وهي من نحو قولنا : (توضاً فغسل وجهه وذراعيه ومسح راسه وقدميه)^(٣) ، فالوضوء إجمال ، أما غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والقدمين فهي مكونات الوضوء ، فاستعمل الفاء لأجل تفصيل ما أجمل من الوضوء بها لذا لا تعد (فان طلقها ... الآية) تطليقة ثالثة ، بل هي مفصلة للتطليقة الثالثة ومشيرة لها وهي (تسريح بإحسان) وما يتعلق

الزوج عن حقه الشرعي في العصمة إلى زوجته ، وكراهتها له وحبه لها .

أما نفي الجناح ففيه اباحة محضة ،

وليس تخييرية ، وذلك لأن نقض عقد الزواج من المرأة الكارهة لزوجها والعاصية له ، ربما يدخل المرأة بسبب ذلك في المحرم ، فإباحة ذلك لها كان نهياً عن المنكر ولا خيار لها غير ذلك .

وكذلك سيكون نفي الجناح عنهما سوية ، إذ لا جناح عليها فيما بذلت

من المال لزوجها ، ولا جناح عليه فيما أخذ ، وذكر (عليها) لأجل درء اللبس وإزالة الإبهام في أن المرأة وقعت في المعصية .

وبعد هذا التفصيل في شأن الطلاق الرجعي وطلاق الخلع وإتمام ما يراد من كل ذلك قال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣٨) ثم يفصل ما أجمل في الآية السابقة فيقول : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٣٩) ، فاستعمل الفاء العاطفة في (فان طلقها) ، لإفادة

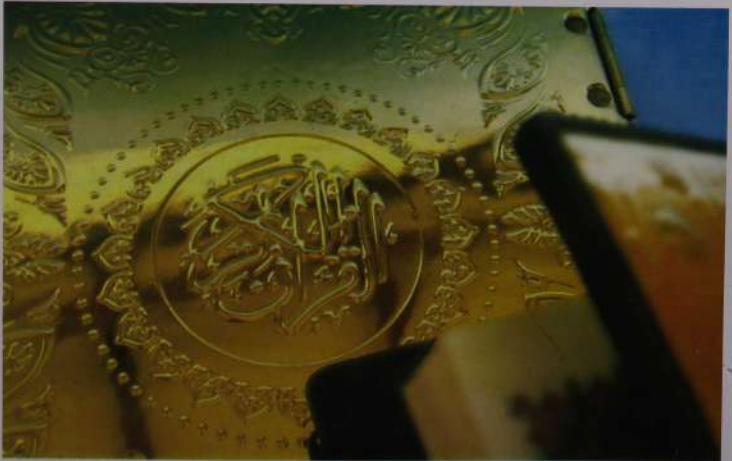
تفصيل ما أجمل من الطلاق المخصوص بـ(تسريح بإحسان) الذي

فلا يصح أن يسند اليها فعل النكاح ،
لذا جاءت السنة النبوية الشريفة مؤيدة
لهذا الاتجاه فقضى النبي محمد (صلى
الله عليه وآله) بوجوب أن تذوق المرأة
عسيلة الرجل ويذوق عسيلتها^(٣٢) ،
وان تكون له مطيعة ومحبة ، فذاك
من حسن التبعل . والنكاح ههنا لا يعني
الوطء لانه لا يسند الى المرأة بل الى
الرجل كالوطء^(٣٣)

بيد أنه لو قال (حتى ينكحها زوج غيره)
لاختلفت الدلالة ، فهنا قد تكون المرأة
كارهة لهذا الزواج وغير راغبة فيه ،

بها من الطلاق العادي او طلاق الخلع .
أما قوله سبحانه ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾
، فقد اسند فعل النكاح إلى الزوجة
، ولم يسنده إلى الزوج ، وذلك لأن
الزوجة هي محور الحدث في النص
المبارك في حين أن الزوج الثاني جاء
طارئاً على مجمل القضية وكذلك
يوميء هذا الإسناد إلى أن الزوجة -
محور المسألة - معنية بأمور أكثر

من الزوج ، فهنا ينبغي أن تكون راضية
بهذا الزواج وغير مكرهة عليه ، ولو
كان هناك إكراه مهما كان قليلاً



بصيغة (إذا طلقها فلا تحل ...) لا

أن تأتي (فإن طلقها... الآية) لأن (إن) الشرطية هذه تأتي للمبهم والمجوز وقوعه وعدم وقوعه أو للمحقق المبهم زمان وقوعه^(٣٧) ، فأبعد بذلك كون هذا الزواج للحلية فقط ، ولو أراحه كذلك لاستعمل (إذا طلقها) ، لأن (إذا) إنما تأتي للمحقق الوقوع^(٣٨) ، وهذا غير مراد الآية . فضلاً عن ذلك نجد في (إن) معنى التوكيد ، لذلك الإبهام ، الذي يزيد من فرص دوام الزواج الثاني وعدم استعماله لأغراض الحلية . أما قوله سبحانه ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾ ، فالضمير في (طلقها) يعود على الزوج الثاني ، أي إن طلقها الزوج الثاني ، أما الضمير في (يتراجعا) ، فعوده يحتمل وجهين : الأول / أن يعود الضمير على الزوج الثاني والزوجة ، وفي هذه الحالة يمكن رجوع الزوج الثاني لمطلقته أثناء العدة ، وهو جائز لأنها في العدة ولا وجود لمانع شرعي يمنعها من الرجوع إلى بعضهما ، لأنه ينزل بمنزلة الزوج الأول ، ويكون ذلك دفعاً لما يتبادر إليه الذهن من أنه إذا طلقها الثاني حلت للأول وبكونها حلت له اختصت به^(٣٩) .

فبيطل عقد الزواج .

ثم إن الله تعالى قد خصّ هذا بالنكاح ، ولم يقل (تتزوج) ، ذلك إن النكاح يقترن العقد فيه بالوطء ، وهو الأصل في كلام العرب في حين أن التزوج سبب للوطء^(٤٠) .

وذكر تعالى لفضلة (زوجاً) ولم يقل (بعلاً) إذ إن البعل هو الرجل القوي على النكاح ، في حين أن لفضلة الزوج أعم وقد جيء بها على سبيل الاتساع .

فقد يكون الزوج قوي النكاح أو ضعيفه أو صيباً أو مراهقاً ، أو غير ذلك بشرط الوطء ، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري والاوزاعي وقول بعض أصحاب مالك وغيرهم^(٤١) .

فضلاً عن ذلك يدلنا لفضلة (زوجاً) إلى إمكان دوام هذا الزواج فلا يكون زواجا محللاً ، بل يكون بنية الدوام والبقاء ، لأنه علاقة شرعية تدل على قوة ارتباط بين الزوجين ، وهو من أمر الدين توارد ذكره في مواطن إثبات صحة العلاقة الزوجية^(٤٢) .

ولو أراد أن يكون هذا الزواج بنية التحليل للزوج الأول فقط لجاء

إذن نفي الجناح فصل لنا فهماً ، برفع توهم حرمة نكاح الزوجة بعد التطليقة الثالثة ، فضلاً عن حلية رجوع الزوج الثاني لها في عدتها ، فأسس بذلك لجواز عام.

١- سورة البقرة / الآيات ٢٢٩-٢٣٠

٢- مجمع البيان / الطبرسي : ١٣/ ٣٢٩

، الكشاف / الزمخشري : ١/ ٣٠٢ ،

البحر المحيط / ابو حيان : ٢/ ٣٠٦

١- سورة النساء / الآية ٧

٢- سورة الملك / الآية ٥

٣- كنز العرفان / السيوري : ٥٩٠ ،

ظ : التبيان / الطوسي : ٢/ ٢٤٨

٤- الفرائد البهية / ابن معصوم : ٥٧٢

، ظ :

١- ظ : معاني النحو / د.فاضل

السامرائي : ٣/ ٢٠٤

٢- النحو الوافي / د.عباس حسن :

٣/ ٤٣٣

١- كنز العرفان / السيوري : ٥٩١

٢- ظ : كنز العرفان / السيوري :

٥٩٠ ، مجمع البيان / الطبرسي : ٣٢٩

الثاني / أن يعود الضمير إلى الزوج الأول والزوجة ومشروعية زواجهما بعد نكاح زوج غيره ، بشروط الزواج العامة . فتعدد الاحتمالات والوجوه بسبب من عود الضمير قد وسع من دلالة النص ، وأسس لمشروعية حالات من زواج كانت محل ابتلاء المسلمين ، بسبب من المنع أو الحرمة وعليه فإن نفي الجناح قد أسس لمشروعية الاستثناء لمنع عام في قوله سبحانه : ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ ، وإمكان رجوع الزوج الثاني للزوجة أثناء العدة بعد استكمال شروط التراجع . أما قوله ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ، ولم يقل (إن علما) ، لأن العلم يفيد اليقين . وهما لا يعلمان ما ستؤول

إليه الأمور في غدهم ، لكن الذي يُعنى بهذا الظن ليس اليقين على سبيل القطع ، وإنما هو المتوفر من المشتركات بينهما بعدما خبرا الحياة وذاقا طعم الفراق ورغبتهما في العيش ضمن أسرة متماسكة كريمة ، فالقبول بهذه المشتركات والابتعاد عما يفرقهما ، هو الظن منهما بإقامة حدود الله في حسن المعاشرة وطيب الإقامة .

- ٥- فقه الامام جعفر الصادق / محمد جواد مغنية : ١٧/٦
- ٦- ظ : مختلف الشيعة / العلامة الحلي : ٣٩٤/٧
- ٧- ظ : تفسير القرآن العظيم / ابن قتيبة : ٢٧٥/١
- ١- فقه الإمام جعفر الصادق / محمد جواد مغنية : ١٧/٦
- ٢- م . ن
- ١- ظ : البحر المحيط / ابو حيان : ٣١٨/٢
- ٢- سورة البقرة / الآية ٢٢٩
- ٣- سورة البقرة / الآية ٢٣٠
- ١- الضرائد البهية / ابن معصوم المدني : ٥٧٣
- ٢- م . ن
- ١- ظ : الكشاف / الزمخشري : ٣٠٣/١
- ١- مجمع البيان / الطبرسي : ٣٠٣ / ١
- ٢- ظ : الطراز الأول / ابن معصوم المدني : ٨٠/٥ - نكح
- ٣- ظ : لسان العرب / ابن منظور : ٢٩٧-٢٧٨/١٤ - نكح . البحر المحيط
- ١- الكشاف / الزمخشري : ٣٠١/١ ، التبيان / الطوسي : ٢٤٤/٢
- ٣- ظ : م . ن : ٥٩٠ ، التبيان / الطوسي : ٢٤٤/٢
- ٤- سورة البقرة / الآية ٢٢٩
- ١- ظ : الطراز / العلوي اليمني : ٢٦٦
- ٢- ظ : لسان العرب / ابن منظور : ٨٤/١ - أخذ ، الطراز الاول / ابن معصوم : ٣٦٥/٦ - أخذ
- ٣- ظ : م . ن : ٨٤/١ - أخذ
- ٤- ظ : م . ن : ٦٧/١ - أتى
- ٥- ظ : م ، ن : ٣٣٥/١٤ - نول
- ١- ظ : الكشاف / الزمخشري : ٣٠٢/١ ، البحر المحيط / ابو حيان : ٣١٧/٢ ، مجمع البيان / الطبرسي : ٣٢٩/١٣
- ٢- ظ : فقه الامام جعفر الصادق / محمد جواد مغنيه : ١٧/٦
- ٣- ظ : مسالك الافهام / الشهيد الثاني : ٣٦٦/٩
- ٤- ظ : تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٢٧٥/١

/ ابو حيان : ٣٢٠/٢

٤- ظ : البحر المحيط / ابو حيان :

٣٢١/٢

٥- ظ : دقائق الفروق اللغوية في البيان

القرآني / د. محمد الدوري : ٩٧

٦- ظ : البحر المحيط / ابو حيان :

٣٢٢/٢

٧- ظ : م . ن

١- ظ : البحر المحيط / ابو حيان :

٣٢٢/٢



الطرائق والأساليب الإعلامية في

القرآن لإيصال المعلومة إلى الآخرين

(ج ٢)

الشيخ ضياء بلاسم المنصوري
قم المقدسة



مستوحاة من هذه الصورة الإعلامية القرآنية .

فإذا كان علم الإعلام اليوم قد طوره أيدي الحاجة الملحة والضرورة البشرية، فإن القرآن قد سبق أصحاب النظريات الإعلامية في تأكيد أهميتها وضرورتها في عملية الإتصال، والتقدم العلمي والمعرفي والحضاري وإن لم يرد اسم الإعلام في نصوصه إلا أنه ورد ما يدل عليه، فقد أكد القرآن أهمية الكلمة إذ إن الإعلام يعتمد الكلمة في منطقاته وبها يخاطب العقول والقلوب، والكلمة هي الوسيلة المعربة عما نريد قوله وإيصاله للفتاهم مع أبناء نوعنا، ومن خلالها يتم الإتصال والتواصل ولولاها لكانت عملية الاتصال بمنتهى الصعوبة والحرجة ولما استطاع الإنسان أن يوغل في التطورات في مجال نقل المعلومات.

وبيان الأساليب والطرق الإعلامية استيحاءً من آيات القرآن الكريم يؤكد اهتمام القرآن بهذا الحقل الحيوي والذي يشكل أحد أهم معالم الحياة المعاصرة، والمقوم لجميع العلوم في نشر مضمينها، وهذا ما يدعونا إلى التأكيد على استئارة النصوص

من عظمة القرآن الكريم أنه تبيان لكل شيء، وأنه بيان للناس، وأنه يجعل العقاب فرعاً لبيان ما لا يعذر به العبد من العقوبة الإلهية، ومن بيانه أنه يضع نظرية إعلامية واضحة المعالم والأسس، والإعلام هو البيان والإخبار للناس، بل القرآن نفسه يُعد من أكبر الوسائل الإعلامية التي مارسها رسول الله في الدعوة إلى الله سبحانه وإعلام الناس بمضامين الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ وينقل القرآن لنا صورة إعلامية متراكمة شكلت نظرية إعلامية إسلامية تفوق سائر النظريات الإعلامية بمميزاتها وأهدافها وقوة تخطيطها. فهو ينقل لنا صورة إعلامية منذ بدء الخليقة وذلك عندما قتل قابيل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً ، ولم يكن يعرف كيف يوارى جسد أخيه القتيل، فبعث الله سبحانه غراباً يعلمه الطريقة التي يجب أن تتخذ تجاه أخيه، قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِرَبِّهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَالِيهِ أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٢١) (١).

ولا يبعد أن فكرة الحمام الزاجل

القرآنية لبيان الأساليب والطرق الإعلامية ليتسنى لرجال الإعلام والمبلغين والدعاة اتباع هذه الأساليب في نشر المعارف الدينية وكل ما يخدم البشرية.

وعطفاً لما سبق بيانه من الأساليب والطرق الإعلامية في القرآن أوردنا جملة منها في هذه الحلقة استكمالاً وإتماماً لها، وهي كما يأتي:

الأسلوب التاسع: السخرية والاستهزاء السخرية والاستهزاء بمعنى واحد وهو: (ذكر ما يستحقر ويستهان به الإنسان بقول أو إشارة أو فعل تقليداً بحيث يضحك منه بالطبع)^(١).

ومن المواجهات الإعلامية التي طالت الأنبياء والرسل السخرية والاستهزاء، إذ مورست من قبل الكفار، والمشركين، والمنافقين، وأهل

الكتاب من اليهود والنصارى قولاً وفعلاً وإشارة وفي جميع الحالات، كلما مروا بالنبي ﷺ، وكلما رأوه، وكلما رأوا آية، وكلما يأتي رسول، وكلما خلو بشياطينهم.

إن أول نبي نقل لنا القرآن سخرية قومه واستهزاءهم به حقبة طويلة من عمره الشريف هو النبي نوح ﷺ، فكان يواجه بالاستخفاف من

قبل قومه، ولا شك انه أسلوب خبيث ومؤلم للأنبياء والصالحين وتجراً على ذواتهم الطاهرة وشخصياتهم العظيمة، إلا أنهم كانوا يسلون أنفسهم بالصبر وبما أعد الله لهم يوم القيامة، وما ادخره من العذاب المهين للمستهزئين، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُونَكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾^(٢).

وسخرية نوح ﷺ منهم ليست كسخريتهم التي اعتمدت على قول الباطل، وإنما المراد منها سخرية ما يؤول إليه مصيرهم نتيجة الاستهزاء بالمرسلين بدليل الآية التي بعد الآية الانفة الذكر، قال تعالى: ﴿ قَسُوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِيزُهُ وَيَجْعَلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(٣).

قال تعالى حاكياً حال الأمم وسخريتها من جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿ يَحْزَنُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٤).

لقد استهزئ بالرسول ﷺ السابقين واستمر خط المواجهة في السخرية حتى وصل إلى النبي الأكرم، إذ تعرض لشتى أنواع وصنوف السخرية حتى قال: (ما أودى نبي مثل ما

الكثير، معظمه هنا لتسليط الضوء على هذا الأسلوب الإعلامي للخصم تجاه المصلحين.

الأساليب الإعلامية القرآنية لمواجهة المستهزئين القرآن بما هو كتاب سماوي يعالج المشاكل المستعصية، ويقضي على الظواهر السيئة، ويغرس أصول الخير في الإنسان، وكان للقرآن الحضور القوي في مواجهة الترديات الاجتماعية والقضاء على الأساليب الملتوية التي تصد من انتشار دعوة الأنبياء، لذا وقف القرآن بشموخ وسجل أروع النتائج في القضاء على

أوذيت (١).

كما أن ظاهرة السخرية لم تقتصر على الأنبياء والرسل وإنما شملت أتباعهم المؤمنين بالله تعالى، قال تعالى: ﴿رَبِّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢١٢).

فالقرآن الكريم يعرض في الكثير من آياته موقف سخرية الكافرين والمشركين والمنافقين من دعوات الأنبياء والرسل ومن شخصياتهم ومن ربهم، وقد ذكرنا من هذا



الأساليب الخبيثة التي جوبه بها أنبياء الله تعالى من خلال بياناته وتعاليمه المتينة التي تحمل المضامين الرصينة والأساليب الإعلامية المؤثرة والمجدية في مسيرة خط الأنبياء في مواجهة التحديات التي هددت أمن حياتهم ومستقبل رسالتهم ﷺ.

ومن الأساليب والمواقف الإعلامية التي مارسها القرآن الكريم أمام الاستهزاء والتي تضي مشروعية على من عمل ومارس الأساليب والطرق ذاتها في مواجهة المستهزئين، هي:

أ- التبري وعدم موالة المستهزئين
لقد نهى القرآن الكريم عن اتخاذ المستهزئين أولياء من دون المؤمنين، ويظهر القرآن هذا الموقف الصلب في تعاليمه في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿يَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلَاحِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذِيئِرَةً هُزُوعًا وَلِيَعْلَمَ مِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمُ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) ﴿٥٨﴾.

وهذه الآية تعطينا بعداً إعلامياً قرانياً وهو: محاصرة المستهزئين اجتماعياً ودينياً وثقافياً والإعراض عنهم حتى يلبجأوا إلى احترام الدين وأهله، فإن مقاطعتهم يعد ممارسة إعلامية دينية تدعوهم إلى موازنة أعمالهم العدائية وإعادة النظر فيها واتخاذ المواقف

المتوازنة تجاه الأنبياء ﷺ وأتباعهم. ولا يراد من مقاطعتهم ترك تقديم النصح لهم وتبليغ تعاليم السماء، قال تعالى: ﴿وَأَهْرَجَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظِّمْهُمْ﴾ (٢). ب- بيان عاقبة استهزائهم

لقد قابل القرآن الكريم المستهزئين بشدة وصرامة وتوعدهم بالعذاب والانتقام لأنبياء الله تعالى وأتباعهم، وجعل من سننه التي لا تبديل لها تعذيب المستهزئين ونكالهم للحد من تكرار مواقف الاستهزاء والهزل بالشرائع السماوية وبالأمر التي تحدد مصير الإنسان وترسم مستقبل حياته الدنيوية والأخروية، قال تعالى مبيناً سنته في المستهزئين: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينِينَ﴾ (٣٢) ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾.

ج- الاستهزاء بمصيرهم

من الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم هي: مقابلة السخرية بالسخرية والاستهزاء بالاستهزاء حين لا يفقه

الأنبياء ﷺ في موقف حرج أو تقطع
أواصر المعروف

وطرق الاتصال بهم ﷺ، ولكي يستمر
الأنبياء ﷺ وأنصارهم في تبليغ
الشريعة وبيان أوامر الله ونواهيه.

ومن خلال هذا البيان يشرع لكل من
يتصدى لأمر المستهزئين بالدين
وأهله إتباع هذا الأسلوب الحكيم مع
ضرورة حسن استخدامه وجعله في
رتبة متأخرة عن سائر الأساليب أو بعد
استفادها، فإنه في الوقت الذي أباح
الله تعالى الاستهزاء من سوء منقلب
هؤلاء لا يجيز الاستهزاء بأشخاصهم
أو التحقير بهم والانقاص من
شخصياتهم؛ لأن القرآن يترفع عن
مثل هذه الأساليب الرخيصة، بالإضافة
إلى عدم ملائمتها مع أخلاق الدين
الإسلامي.

د - الصبر والصلابة

لقد سلك القرآن أسلوب التثبيت
للأنبياء ﷺ واعتماد الصبر في مواجهة
المستهزئين، فإن الصبر دواء لنفوس
المؤمنين وعذاب للمستهزئين، إذ
يجعل الصبر مساعيتهم أدرج الرياح،
وكناطح الجبل ليوهنه، ومثل
المؤمن في صبره وثباته كالجبل

المقابل إلا أسلوب الرد بالمثل، أو
حين يظهر السكوت موقف الضعف

والذل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٨) (١٢).

بمعنى أن الله يستهزئ منهم يوم
القيامة لمصيرهم المخزي جراء
استهزائهم بآيات الله تعالى ورسوله

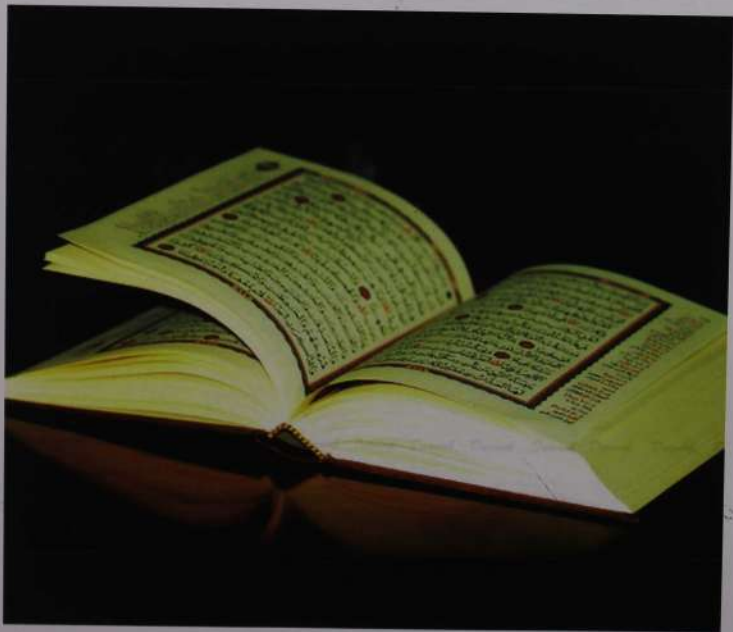
ﷺ. وقال تعالى: ﴿الرَّجِيمُ﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ (١٣).

فالذي يقلل من وزن الدين وقدره
يُقابل بان لا يُقام له يوم القيامة وزن،
والذي يستخف بآيات القرآن ويجعلها
وراء ظهره منسية يُنسى يوم القيامة
بما نسي آيات الله واتخذها هزواً.

وفي الوقت الذي يشدد القرآن النكير
على المستهزئين ويقابلهم بالاستهزاء
ويكثر من الأزدراء بهم يحاول أن
يمتص غضب وأذى الأنبياء والمؤمنين
وأذاهم من الاستهزاء بهم وينتصر
وينتقم لهم من أعدائهم، كما أن
القرآن تكفل بعملية الاستهزاء بن
الأنبياء ﷺ وأتباعهم لنلا ينتج من عملية
المواجهة بالمثل آثاراً سلبية تجعل

والصحافة التحلي بالصبر والثبات
إزاء ما يلاقون من الاستهزاء
بدينهم ومعتقدهم والتضييق عليهم
ومحاصرتهم فكرياً، وثقافياً،
واقصادياً واعلامياً لثنيهم عن ثباتهم
والتنازل عن قيمهم.
هـ - تصنيف السخرية من الأخلاق
الذميمة

الأشْمَ لَا يَسْتَفْلُ بِالْمَعَاوِلِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ
الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١٠) ﴿ (١٤)، ويأمر الله
تعالى نبيه الأكرم ' بالصبر إزاء
المستهزئين المكذابين: الرَّجِيمِ
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (١٠)
﴿ (١٥).
لذا ينبغي على العاملين بالإعلام



الأنبياء والرسل ﷺ، إذ بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فليس صحيحاً تركهم وإهمالهم وصرف النظر عنهم مطلقاً لاحتياجهم إلى من يستخلصهم من براثن الظلم ومستقع الجهل، وان كانت هناك أوامر قرآنية بعدم مجالستهم وعدم توليهم فهي تختص في حالة تلبسهم بالاستهزاء ما داموا عليه، أو هو علاج مؤقت ومرحلي من أجل إبراز موقف الرفض والاستنكار لعملهم؛ لإثارة تأنيب الضمير في نفوسهم واستهجان مواقفهم.

قال تعالى: ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ (١١).

ولذا يلزم القائمين بالإعلام اتباع أسلوب القرآن في احتواء المخالفين ومدارة الجاهلين واستخدام المرونة من أجل إيصال رسائلهم إلى جميع الطوائف المختلفة وأن يصنع من هذا الاختلاف جهة موحدة ويركز على المشتركات العامة والثوابت التي تجمع الأديان مع التعريف بامتيازات الرسالة الإسلامية كما كان رسول

الأخلاق هي قيم إنسانية قبل أن تكون دينية، ويشعر الإنسان بحسنها وقبحها وإن لم يكن مؤمناً، من هنا استغل القرآن هذه الثوابت الفطرية الكامنة في نفوس جميع البشر لاستخدامها كأسلوب إعلامي مؤثر في ردع المستهزئين والساخرين، إذ نهى عن السخرية بالآخرين، ذلك أن الله أخفى أوليائه بين خلقه، فرب إنسان قد سخر منه وهو أفضل من الساجر، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تُلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْمَمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١﴾ (١١)، ويتركيزه على الجانب الخلقي والإنساني والفضلي سد القرآن باب السخرية بين المؤمنين وغيرهم أيضاً.

و - الاحتواء والمبادرة كثيراً ما اعتمد القرآن في أساليبه لمعالجة الظواهر المستعصية على إشاعة ثقافة الاحتواء والمبادرة لإصلاح الأمور، فلو قابل أنبياء الله تعالى أقوامهم المستهزئة بالإعراض عنهم وتركهم لأسرفوا في طغيانهم وتمادوا في غيهم وتوغلوا في الجهل، وهذا ينافي بعثة

براءته من المستهزئين لأنهم أعداء الدين الإسلامي وبين عاقبة أمرهم وسوء منقلبهم من خلال تلاوة الآيات القرآنية النازلة بشأنهم أو الأحاديث النبوية، كما أبدى تجلده وصبره أمام المستهزئين وقام باحتوائهم ونصحهم وإبداء شفقتهم عليهم وتألّمه لما سيلاقونه من العذاب المهين، وبسيرته يستدل على رجحان هذه الطريقة؛ لأنها ثاني أهم مصادر التشريع الإسلامي.

الأسلوب العاشر: التدرّج في عرض المعلومة

من أنجح الطرق التي سلكها القرآن الكريم في إيصال المعلومة هو التدرّج في نزول آياته في حقبة زمنية استمرت ثلاثاً وعشرين سنة مزوّداً خلالها المجتمع الإسلامي بالمضامين والتعاليم الشرعية، والعقائدية، والروحية، والأخلاقية، والتربوية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، وغيرها.

والسر الذي يقف وراء هذا التدرّج هو: أن يعقل الناس المعارف القرآنية، ويدركوا مضامين الآيات، وتتمركز في قلوبهم، ليسهل عليهم ممارستها وتطبيقها، لاسيما إذا أخذنا بنظر

الله، يجمع المسلمين تحت كلمة (لا إله إلا الله) على الرغم من علمه بوجود المنافقين والمتربصين به الدوائر فيهم، وذلك من أجل تقوية شوكة الإسلام واستثمار الطاقات لإعلاء كلمة الله وإن كانت بعض الجهود المبذولة غير مخصصة للإسلام إلا أن الرسول كان يحرص على توظيفها لصالح المسلمين والإسلام، فقد روي: (عن زرارة عن أحدهما قال قال رسول الله: لولا أني أكره أن يقال: إن محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم لضربت أعناق قوم كثير)^(١٨). وتأسيساً على ما ذكرنا يستدل على مشروعية طريقة السخرية والاستهزاء كما أتى:

أولاً: إن الطريقة المذكورة هي طريقة قرآنية جاء بها القرآن وأمر النبي باتباعها، ومن الثابت عصمة القرآن فلا يأمر بمرجوح أبداً، لأنه يمثل نظرية السماء ومعصوم من الزلل، فتكون الطريقة المذكورة مشروعاً، بل راجحة بدليل القرآن الكريم.

ثانياً: أن سيرة النبي قامت باستخدام الأساليب القرآنية في مواجهة المستهزئين فقد أعلن

واحدة ونزلت آياته تنزيلاً قال تعالى:
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً
(٢٢) ﴾ (٢).

وقد أجاب القرآن عن قولهم هذا ببيان
كالآتي:

أولاً: أن القرآن الكريم له ارتباط دقيق
بعضره، أي ارتباط ب (٢٣) سنة، هي
عصر نبوة نبي الإسلام بكل ما كانت
تتمخض به من حوادث وقضايا، لذا
كيف يمكن لكتاب يتحدث عن حوادث
(٢٣) سنة مترامناً لها أن ينزل في يوم
واحد (١) .

ثانياً: أن القرآن كان يسلي النبي
‘ ويثبتته في كثير من المواقف
الحرجة و في ذلك متابعة للأحداث
ومعالجتها آنياً، و (النزول التدريجي
يعني الارتباط الدائم للرسول ‘ مع
مصدر الوحي، إلا أن النزول الدفعي
يتم بمرحلة واحدة لا يتسنى للرسول
‘ الارتباط بمصدر الوحي لأكثر من
مرة واحدة) (٣) .

وبعد هذا البيان لطريقة التدرج
تتضح مشروعية هذا العمل في
إعلام الرسالة الإعلامية وإيصالها
للناس ومراعاة مدركات المتلقين
والتدرج في تزويدهم بالمعلومات

الاعتبار بقايا رواسب الجاهلية في
نفوس المجتمع فإن عملية التغيير
تتطلب وقتاً طويلاً لإزالة هذه الرواسب
من مختلف مجالات الحياة.

فالقرآن لاحظ في نزول آياته تدريجياً
نفسية المجتمع وسبل التأثير فيه،
وهو من أسرار نجاح الإعلامي في
كيفية إيصال المعلومة، فلو أمرهم
دفعه واحدة بجملة من الأوامر
والنواهي لكلفهم بما لا يطيقون،
وضرب جميع تقاليد المجتمع وعاداته
مما يدفعهم إلى النفرة منه وعدم
الاستجابة لتعاليمه، ولألغى بذلك
أسباب نزول آياته المعالجة للحوادث
وقت حدوثها ولجاء بيانه في غير
موضع الحاجة إليه، وهذا يؤدي إلى
وجود صدام وتناقض بين آياته؛ إذ
يأمر بالجهاد مثلاً وينهى عنه في أن
واحد من دون تغير موضوع الحكم،
أو تغير الشرائط والظروف قال تعالى:
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ حَكْمٍ ﴾ (٤) .

فالتنزيل هو إنزاله تدريجياً على مكث
من غير استعجال لتمكّن آياته في
القلوب وتستقر تعاليمه في العقول،
ليبلغ الناس درجة الوعي والفهم لآياته
المباركة، وقد سأل الكافرون النبي
‘ عن سبب عدم نزول القرآن دفعة

لتجد طريقها في الثبات في عقولهم وقلوبهم، والصبر على استجابة الناس للرسالة التي تلقى إليهم، فإن عملية التأثير والاستمالة قد تتطلب وقتاً طويلاً، ولذا على رجل الإعلام ضبط النفس وعدم الانفعال، وأن لا يتفوه بما يضرب المرتكزات العرفية والتقاليد بأسلوب قاس وكلام جارح؛ فإن ذلك من شأنه أن يصنع الأعداء والنفرة منه، ولا يصنع الأصدقاء.

ويستدل على رجحان التدرج في العمل الإعلامي بدليلين:
الأول: القرآن الكريم نفسه إذ استعمل الأسلوب ذاته بشكل واضح لا يحتمل التأويل كما مر بيانه آنفاً، كما يستدل أيضاً بسيرة النبي الأكرم، ومن ذلك ما ورد عنه قوله: (إنا معاصر الأنبياء امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) (٣١).

الثاني: سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ دل الكثير من الروايات على مراعاتهم قابلية المقابل وسعة إدراكه



ومؤهلاته، فلا يلقون الأسرار التي لا يتحملها عامة الناس إلا للخواص، ومن ذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام): (إن ههنا وأشار إلى صدره) لعلماً جماً لو أصبت له حملة) (٣٢).

وقول الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ليونس: (يا يونس أرفق بهم فإن كلامك يدق عليهم قال قلت إنهم يقولون لي زنديق

قال لي ما يضرك أن تكون في يدك لؤلؤة فيقول لك الناس هي حصاة وما كان ينفعك إذا كان في يدك حصاة فيقول الناس هي لؤلؤة) (٣٣).

وغير ذلك الكثير مما ورد عنهم، وبهذه السيرة الثابتة والمتواترة يبرهن على رجحان طريقة التدرج.

استعملها الحادي عشر: الإعراض الإعراض من الأساليب الإعلامية التي استخدمها خصوم الرسالات الإلهية لمواجهة أصحابها، ومارسها الأنبياء وأتباع الدين ضد خصومهم بأمر الله تعالى أيضاً.

والإعراض عن الشيء يعني: الضرب والصد عنه كما في صحاح اللغة، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يُؤْذِنُونَكَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١١) ﴿٣١﴾.

وقد وردت لفظة الإعراض بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم اثنتين وخمسين مرة، وهذا يعني أن لأسلوب الإعراض مساحة إعلامية كبيرة في ثقافة القرآن، ودليل على حجم الصراع الذي دار بين الأنبياء وخصومهم.

ثم أن الإعراض عن شيء فرع وجود ذلك الشيء ليتحقق الإعراض عنه.

أما الخصوم فقد أعرضوا حسب ما جاء في آيات القرآن الكريم عن عدة أمور هي:

١- القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ

نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ ﴿٣٧﴾.

ب- يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴿٣٨﴾.

ج- الآيات الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴿٣٩﴾، وتشمل الآيات هنا الآيات الكونية أو الآيات النازلة عن طريق الوحي.

د- حكم الله تعالى ورسوله ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ ﴿٤٠﴾.

هـ- الحق ومن دعا إليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا ﴿١٦﴾ ﴿٤١﴾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا نَبَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلُ مَا كَفَرُوا وَقَوْلُوا وَاسْتَعَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ حَمِيدٍ ﴿٦﴾ ﴿٤٢﴾.

كما أن عملية الإعراض مورست من قبل أنبياء الله تعالى بأمر منه سبحانه، وذلك بعد أن يتموا تبليغ الرسالة السماوية ويتموا الحجة البالغة عليهم، وبعد أن استيأس الرسل من قبولهم الحق والدين، أو يعرضوا كعلاج لمواقضهم من قبيل مقابلة الشيء بالمثل حسب ما يراه الرسول × صالحاً لدعوته، قال تعالى: ﴿قَتَلُوا

عَنْهُمْ وَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَقَدْ أُنْبِئْتُكُمْ رَسُولَهُ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَنبَغُونَ التَّصْحِيحَ
(٧٨) ﴿٣٣﴾، وطاعة للأوامر الإلهية،

فقد تم إعراض الأنبياء ﷺ واتباعهم
عن أمور ذكرها القرآن الكريم،
وهي دليل سيال في كل عصر على
اتباع هذا الأسلوب بمضامينه حسب
تقديرات الحاجة ومقتضى الحال،
وهي كالآتي:

أ- المشركون: قال تعالى: ﴿الْبَعْ مَا
أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦) ﴿٣٤﴾.

ب- الجاهلون: قال تعالى: ﴿حُذِرْ أَلْمَعُونَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) ﴿٣٥﴾.
ج- أهل الدنيا: قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنِ
مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) ﴿٣٦﴾.

د- المنافقون: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا
بَلِيغًا﴾ (١٣) ﴿٣٧﴾.

هـ- المخالفون لحرب أعداء الله تعالى:
قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا
مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨) ﴿٣٨﴾.

و- الكافرون: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ
مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨)



حاول القرآن أن يعالج مثل هذه الظواهر المستعصية التي أودت بحياة الأمم إلى الهلاك والدمار وأن يضع الحلول الناجعة والعلاج السليم للقضاء على هذه المواجهات الشرسة في عدة أساليب متنوعة أوضحها القرآن كمنهج قويم اختطه لأصحاب الرسالات ومن يقوم بدورهم الرسالي في كل عصر ومصر وتحت أي عنوان وبمختلف حجم المسؤوليات الملقاة على عواتقهم كان من أبرزها:

أ- إبطال التبريرات

قد تكون للمعرضين مجموعة من الأعدار والتبريرات التي يتشبثون بها لإعراضهم عن الحق وعدم الالتحاق بركب المؤمنين بأن يعتذروا بعدم وصول أقوال الأنبياء ﷺ إليهم، أو يعرض الشخص منهم بحجة أنه لا يعرف شيئاً عن حياة هذا الرسول ' ولا تاريخه. إذ يمكن أن لا يكون يمتلك سمعة جيدة وتاريخاً نظيفاً فالإعراض عنه أولى وأرجح. أو يبرر إعراضه أن هذا الرسول ' شخصية غير متوازنة وغير سليم في تفكيره، إذ يعتريه الجنون، فالإعراض عنه يدعمه العقل والعرف والمنطق السليم.

قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦١﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿٣٩﴾.

ز- الجدل في القضاء الإلهي: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرْزِهِمْ رَوْحُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُبْدِلَاتًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦١﴾ إِنَّ إِرْزِهِمْ لَحَلِيمٌ أَوْهٌ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ يَا إِرْزِهِمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِلَهُهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٦٣﴾ ﴿٤٠﴾.

وكل فئة من هؤلاء يتحدد الإعراض عنهم بحدود معينة، فالإعراض عن اعراض عن حكم الله يتحدد بعدم معاقبتهم، والإعراض عن الجاهلين ان لا يقابلهم بالسفه صيانة لقدره ، وتبقى مساحة الوعظ والإرشاد من الأصناف المذكورة مفتوحة وقائمة، قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ ﴾ ﴿٤١﴾. وهكذا ينبغي على رجل الإعلام والصحافة تقدير هذه الأمور والعمل وفق الضوابط الشرعية التي بُيِّنت في القرآن الكريم تجاه المعرضين، وهو يعتمد على دراسة الإعلامي للظروف ومعرفته بشرائط زمانه، ليحدد الأسلوب الملائم لمعالجة المشاكل التي تواجهه في إيصال المعلومة إلى الآخرين. الأساليب الإعلامية في القرآن لمواجهة المعرضين

أو يتحجج بإعراضه عن الرسول بأنه يبتغي أجراً مالياً إزاء تبليغه ودعوته، فيعرض عنه خشية من الضرر المالي والاقتصادي، إلى غير ذلك من الأعذار الواهية والتبريرات غير السليمة.

فالقرآن يواجه هذه الأعذار بالحجج الدامغة ويقطع ظنونهم باليقين على صحة ما يدعيه أنبياء الله تعالى ويدفع عنهم كل هذه الشبهات ويبين لهم خرافة ما يذهبون إليه وبطلان جميع مدعياتهم، كما يظهر ذلك في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْغُرُوبَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ النَّجْمَ فَتَبَيَّنَ الْكَلِمَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٨ ﴾ (١١).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ١٦ ﴾ (١٢).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٥ ﴾ (١٣) ولو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ٧٦ ﴾ (١٤).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرُوفًا فَفَرَّخُ رِيكٌ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ٧٦ ﴾ (١٥).

فقد أورد القرآن جميع أعدائهم وأبطلها وأبان كذبها وبين حقيقة إعراضهم، قال تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٥ ﴾ (١٦).

ب- الإعراض المرحلي عنهم سبق أن أشرنا إلى إعراض الأنبياء ﷺ ونؤكد ذلك هنا كأسلوب اتخذه القرآن الكريم لمواجهة خصوم الأنبياء ﷺ في قضية الإعراض، فبعد أن عرض القرآن الكريم صوراً من إعراضهم عن المرسلين ﷺ بين القرآن بأسه من إيمان المعرضين حين لم تعد تنفع معهم المواعظ والنذر والبلاغ، فاخذ يذكر علاجاً آخر للمعرضين وهو مقابلتهم بالمثل، قال تعالى لنبيه الأكرم: ﴿ قَوْلٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ كَلِمَةٌ كَلِمَةٌ تَلُوكُم مِّنْ أَلْفِ مِائَةٍ أَوْ مِائَةٍ أَوْ قَلِيلٍ ١٧ ﴾ (١٧).

ج- بيان عاقبة إعراضهم

من أهم الأساليب التي مارسها القرآن للحد من ظاهرة الإعراض هو تخويف المعرضين من عواقب أعمالهم وسوء منقلبهم ليزرع في نفوسهم واعزاً ورادعاً من أفعالهم، فقد حذر القرآن من الإعراض ببيان نتائجها التالية:

١- المعيشة الضيقة: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ١٨ ﴾ (١٨).

- العذاب: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْرُضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي أَسْلِكْهُ عَذَاباً صَعَدًا ١٧ ﴾ (١٩).

٣- الصاعقة: قال تعالى: ﴿ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ ١٣ ﴾ (٢٠).

من الأساليب الأدبية والإعلامية في القرآن الكريم هو أسلوب التأكيد والتكرار، أو التنوع في بيانات الآية المباركة، وأن من أشد ما يلحظ في مجال العمل الإعلامي هو الأساليب البيانية والأدبية والبلاغية، لأن الإعلام الإسلامي يهدف إلى استمالة الناس وإقناعهم نحو الاتجاه الديني وربط الناس بخالقهم. والبلاغة والآدب اللغوي هو أداة الإعلام الإسلامي وسلاحه الذي يحقق له أهدافه المنشودة، وهذه الصلة بين البلاغة وبين الإعلام الإسلامي يستدل عليها من القرآن الكريم، قال تعالى: الرَّجِيمُ ﴿١١٦﴾ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَا يَقُولُ حَتَّىٰ يُعَذِّبُوا مَا بِالْفُؤَادِ ﴿١١٧﴾، فالذي يبغيه رجل الإعلام هو تغيير واقع مرفوض، أو فكر خطأ، أو تزويد المجتمع بفكرة ما، ونقطة البداية في عملية التغيير هي النفس الإنسانية، وتغيير النفوس يستوجب التعامل مع جميع ملكاتها وأبعادها الفكرية، والوجدانية، وعدم تجاهل هذه الجوانب، والكلام البليغ هو المؤهل للقيام بهذا الدور الكبير، لأن الكلام البليغ هو الذي يبلغه المتكلم إلى سامعه بقصد التأثير في عقله ووجدانه.

﴿١١٦﴾.

٤- السيل العرم: قال تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلًا﴾ ﴿١١٦﴾.

٥- العمى يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١١٦﴾.

ومن هنا يُشَرِّعُ للعامل في الإعلام والصحافة القيام بدور التذكير والتحذير، وأن لا يفقد الأمل من تحول المعرضين وتغيير مواقفهم تجاه أتباع الرسالات وأصحابها، يقول تعالى مبيناً هذا الواجب الرسالي: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ ﴿١١٦﴾.

ويمكن الاستدلال على رجحان ومشروعية الإعراض بالمعنى الذي أوضحناه بدليلين:

الأول: القرآن الكريم، فهو قبل كل شي أسلوب قرآني أمر به الأنبياء والمؤمنين تجاه المعرضين ومارسه ضدهم، فلو كان مرجوحاً لما أمر به ومارسه، إذ القرآن معصوم من الزلل. ثانياً: فعل وقول النبي، وهو حجة وقد ثبت إعراض النبي عن الطوائف المعرضة أعلاه، ولو لم يثبت هذا لكان النبي عاصياً لله تعالى بما أمره وحاشاه من التقصير والعصيان.

الأسلوب الثاني عشر: التأكيد والتكرار

في مناطق (اللاشعور) العميقة، إذ تنضج عوامل سيرنا، ونحن إذ ننسى مصدر الزعم المكرر بعد انقضاء بعض الزمن، لا نلبث أن نؤمن به، وبهذا تفسر قوة الإعلام العجيبة (٥٦). يقول تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) ﴿٥٧﴾.

ومن هنا نجد في القرآن كثيراً من التأكيد بصيغ مختلفة وتكراراً حكيماً له أهدافه في كثير من الآيات كما في سورة القمر جاء تكرار الآية المباركة: ﴿ وَقَدْ سَرَّنا أَلْفُرَّاءَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾ (٥٨) ﴿٥٨﴾، وفي سورة الرحمن: ﴿ فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴾ (٥٩) ﴿٥٩﴾. ومن خلال هذا البيان نبرهن على ضرورة إتباع الإعلاميين أساليب القرآن وممارستها كطريق لنجاح رسالتهم وكمهج خطة الإسلام. والزمن باتباعه والعمل وفق مضامينه. ويتوسع القرآن الكريم في استعمال أسلوب التأكيد في جميع القضايا التي يذكرها ولا يخصصه بقضية معينة، وذلك لسبب هذا الأسلوب في جميع تعاليمه، ولقوة تأثيره في إقناع الناس، فهو يؤكد صفات الله سبحانه، ويؤكد حين يعد ويتوعد، ويؤكد حين يدعو إلى

ولذا يعتمد نجاح رجل الإعلام وفشله على مهارته وخبرته في تلك الأساليب التي يستعملها لإقناع الجماهير بقضية معينة، فعلية مخاطبة العقول وتحريك المشاعر والوصول إلى أعماق النفوس لاستمالتها والتأثير فيها.

من هنا كان القرآن هو معجزة في بلاغته وبيانه وفصاحته، وقد تحدى المجتمع آنذاك الذي عرف بالفصاحة والبلاغة، فكم من آية كانت تتلى على محافل المشركين فتأسر قلوبهم وتخطف أبصارهم وتؤثر في نفوسهم حتى أن أعينهم تفيض من الدمع، وكم من آية أدت إلى إسلام الكثير من الناس لقوة حجتها وبراعة سبكها ومثانة بيانها حتى عرفوا أن هذا ليس بكلام بشر.

وأن من أهم الأساليب البلاغية في الإعلام القرآني الذي يعد من اعجازاته هو أسلوب التأكيد والتكرار (ولا يكون التوكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره بعبارة واحدة ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفوس على أنه حقيقة ثابتة) (٥٥).

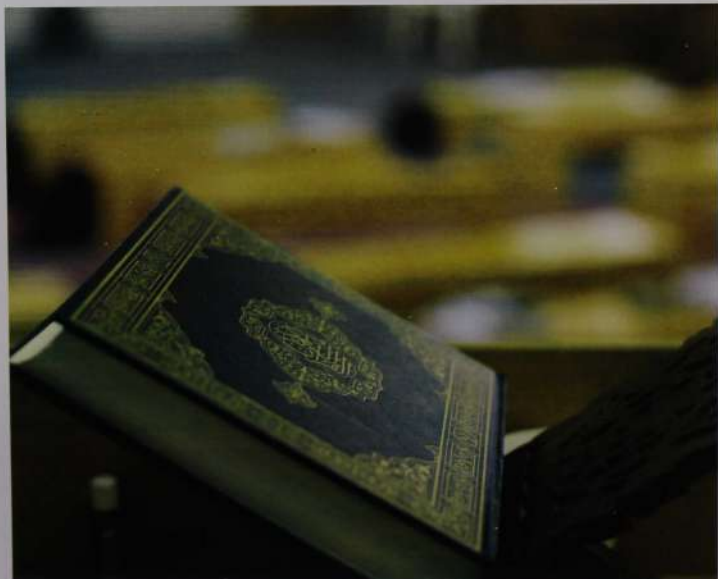
ويقول جوستاف ليبون (والأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر

الَّذِي أَرْضَى لَهُمْ وَيَسْبِدْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿٦١﴾.

فالأية ترغّب وتحبّب الإيمان والعمل
الصالح إلى الناس، وتعد من يجيب
دعوة الحق بالوعد الكريم والعظيم،
وقد أكد هذا الوعد الإلهي من أجل
زرع روح الثقة بالوعد في النفوس
بجملة من التأكيدات:
أ- القسم المحذوف الذي دخلت اللام

الأمور العقدية، ويؤكد حين يدعو
إلى العبادات، ويؤكد حين يدعو إلى
المعاملات، ويؤكد في محل يكون
الخبر موضعاً للشك لينتزع الشك من
أصوله، ويؤكد على القضايا المسلمة
حين يغفل عنها الإنسان.

ومن أمثلة التوكيد في القرآن الكريم
قوله تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ



وأما التكرار في القرآن الكريم، فإنه من الأساليب المؤثرة في إقناع الجماهير بمضمونها.

والمقصود من التكرار في القرآن هو (عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات، ولكن هذا التكرار حكيم ومقصود ومُضيف، فعندما يكرر القرآن ذلك

يكرره لحكمة، يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني، كما أنه مُضيف للقرآن في كل مرة لفظاً أو معنى أو معلومة أو فكرة^(١١).

وقد يكون الشيء المكرر هو قصة كقصة آدم، وموسى، ويونس، وإبراهيم، وقد يكون المكرر آية في سورة لحكمة في ذلك، وقد يكون المكرر أمراً أو نهياً أو إرشاداً أو نصحاً.

أما تكرار القصة ففيها من الفائدة والحكمة ما يقطع إيراد أي شبهة، يقول الشيخ الطوسي: (الوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن، أن رسول الله كان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنبياء والقصص متكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى آخرين فأراد

على جوابه.

ب- اللام الداخلة على جواب القسم في قوله: (وعد الله) لأن وعده سبحانه كالقسم. ج- نون التوكيد الثقيلة في (ليستخلصنهم) و (ليتمكنن) و (لبيدنهم). د- ضمير الفصل، (هم). هـ- إسناد الوعد إلى الله تعالى تأكيداً على حتمية وقوعه.

و- تعليق الوعد على (ما) الموصولة ليؤكد شمولية الوعد لمن اتصف بالإيمان والعمل الصالح وهذا يبرهن على عدّ الوعد سنة جارية ومطردة في كل زمان ومكان. ز- إضافة الدين لهم في قوله (دينهم) ليبين اعتزاز المسلمين بدينهم الذي أمروا أن يدينوا به، ومن هذا القبيل التوكيد بنون التوكيد الثقيلة وهو كثير في القرآن الكريم^(١٢).

أما التوكيد بنون التوكيد الخفيفة لم يرد إلا مرتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّرَبَّتِهِ لَتَنفَعُنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴾^(١٣).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ، لَيَسْجَنَ وَلَيُكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(١٤). إلى غير ذلك طرق التوكيد وأساليبها ومن أراد تفصيلها فليراجعها في مضافها.

يبدل.

ج- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَجُوهَكُمْ سَطَرَهُ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّوْا عَلَى كَرِهِمْ وَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ (١٦١).

جاء الأمر الثالث باستقبال القبلة بهدف جديد وإضافة وهي تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بأنهم على حق، ومن أجل قطع حجة الكافرين فيما ادعوه من أن تبديل القبلة جاء لميل محمد ^ص إلى دين قومه وحياً بلده، ولو كان حقاً لفعله الأنبياء ^ص من قبله، إلى غير ذلك من ألوان التكرار التي تطلب في محلها ومطائنها.

والذي يهمننا هو فائدة أسلوب التكرار في مجال الإعلام الإسلامي ومشروعية استعمال هذا الأسلوب في المواد الإعلامية ومدى إقناع الجماهير بالقضية المذكورة بأسلوب التكرار، فإن (النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً يركزه

الله بلطفه ورحمته، أن تستمر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، وبزيد الحاضرين في الأفهام) (١٦٠).

وهكذا تكرر الأمر والنهي في القرآن إنما كان لغرض وحكمة، وكمثال على ذلك: أن الله أمر رسوله محمداً ^ص بتحويل القبلة من المسجد الأقصى

إلى المسجد الحرام في ثلاث آيات:

أ- قال تعالى: ﴿ قَوْلًا وَجْهَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَجُوهَكُمْ سَطَرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ ۞ (١٦١)، إذ جاء هذا الأمر بتغيير القبلة بعد الحديث في الآية عن رغبة رسول الله ^ص في ذلك فكان الأمر استجابة لرغبته ^ص.

ب- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ۞ (١٦١).

جاءت هذه الآية بعد أربع آيات من ذكر الآية الأولى وقد ذكرت أمراً جديداً بعد أن أشارت إلى أن أهل الكتاب يعرفون الحق ويتركونه عناداً، ويعرفون بأن الرسول ^ص حق وينكروونه، فجاءت الآيات لتثبيت الرسول ^ص، وأن القبلة الجديدة هي الحق من عند الله وهو الدائم والباقي ما بقي الدهر لا يتغير ولا ينسخ ولا

في قلوبهم ويغرسه في صدورهم) (١٩) ،
ومن ذلك تبليغ النبي ﷺ خلافة علي عليه السلام
من بعده مراراً وتكراراً وبلغ حديث
الثقلين (الكتاب والعتره) في أكثر
من موقف ومناسبة ليشهد على تبليغه
أكبر عدد ممكن من المسلمين صيانة
لتعاليم الإسلام من التلاعب والتزوير
والنكران. لذا ينبغي على العاملين
في الصحافة والإعلام الاستناد في
مشروعية أعمالهم إلى القرآن الكريم
إذ تبين بشكل واضح استخدام القرآن
لهذا الأسلوب كثيراً وأخذ مساحة
كبيرة من آياته المباركة، والاستناد
إلى السنة الشريفة أيضاً كما اشرنا
أنفا إلى تأكيد النبي ﷺ وتكراره لبعض
القضايا المهمة والأمور المصيرية
والوعظية والعقائدية وغيرها،
وكذلك نجد الأمر لا يختلف في
سيرة أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم.

وبهذا ينتهي بنا المطاف إلى هنا في
بيان الأساليب الإعلامية في القرآن
الكريم وطرق إيصال المعلومة التي
يراد إيصالها إلى الجماهير ، وهي
حلقة من حلقات النظرية الإعلامية
في القرآن الكريم، ولعلنا نوفق في
فرصة أخرى لبيان بعض جوانب
هذه النظرية انطلاقاً من وحي الآيات

القرآنية والسنة النبوية والعلوية ، وما
توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة المائدة: ٣١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين،

الميزان في تفسير القرآن: ١٨ ، ٣٢١.

(٣) سورة هود: ٣٨.

(٤) سورة هود: ٣٩.

(٥) سورة يس: ٣٠.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار

الانوار: ٣٩ ، ٥٦ ، الباب الثالث

والسبعون، إن فيه (الإمام علي عليه السلام)

خصال الأنبياء عليهم السلام واشترآكه مع نبينا

‘ في جميع الفضائل سوى النبوة.

(٧) سورة البقرة: ٢١٢.

(٨) سورة المائدة: ٥٧.

(٩) سورة المزمل: ١٠.

(١٠) سورة النساء: ٦٣.

(١١) سورة الجاثية: ٢٣ - ٣٥.

(١٢) سورة التوبة: ٧٩.

(١٣) سورة البقرة: ١٤ - ١٥.

(١٤) سورة الروم: ٦٠.

(١٥) سورة المزمل: ١٠.

(١٦) سورة الحجرات: ١١.

(١٧) سورة الزخرف: ٥ - ٨.

(١٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ٨،

٣٤٥، ح ٥٤٤.

- (١٩) سورة الإسراء: ١٠٦.
- (٢٠) سورة الفرقان: ٣٢.
- (٢١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩، ١٦٨.
- (٢٢) المصدر السابق: ٩، ١٧١.
- (٢٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ١، ٢٣، كتاب العقل والجهل، ح ١٥.
- (٢٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ١٨٦.
- (٢٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ١٢، ٢١٥.
- (٢٦) سورة النساء: ٦١.
- (٢٧) سورة ص: ٦٧ - ٦٨.
- (٢٨) سورة الأحقاف: ٣.
- (٢٩) سورة الأنعام: ٤.
- (٣٠) سورة النور: ٤٨.
- (٣١) سورة سبأ: ١٥.
- (٣٢) سورة التغابن: ٥.
- (٣٣) سورة الأعراف: ٧٩.
- (٣٤) سورة الأنعام: ١٠٦.
- (٣٥) سورة الأعراف: ١٩٩.
- (٣٦) سورة النجم: ٢٩.
- (٣٧) سورة النساء: ٦٣.
- (٣٨) سورة النساء: ٨١.
- (٣٩) سورة السجدة: ٢٨ - ٣٠.
- (٤٠) سورة هود: ٧٤ - ٧٦.
- (٤١) سورة النساء: ٦٣.
- (٤٢) سورة المؤمنون: ٦٨.
- (٤٣) سورة المؤمنون: ٦٩.
- (٤٤) سورة المؤمنون: ٦٩ - ٧٠.
- (٤٥) سورة المؤمنون: ٧٢.
- (٤٦) سورة المؤمنون: ٧٠.
- (٤٧) سورة القمر: ٦.
- (٤٨) سورة طه: ١٢٤.
- (٤٩) سورة الجن: ١٧.
- (٥٠) سورة فصلت: ١٣.
- (٥١) سورة سبأ: ١٦.
- (٥٢) سورة طه: ١٢٤.
- (٥٣) سورة النساء: ٦٣.
- (٥٤) سورة الرعد: ١١.
- (٥٥) د. عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا: ٣٤.
- (٥٦) جوستاف ليبون، روح الجماعات: ١١٥.
- (٥٧) سورة الذاريات: ٥٥.
- (٥٨) سورة القمر: ١٧.
- (٥٩) سورة الرحمن: ١٣.
- (٦٠) سورة النور: ٥٥.
- (٦١) انظر: د. عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا: ٣٧.
- (٦٢) سورة العلق: ١٥.

- (٦٣) سورة يوسف: ٣٢.
- (٦٤) الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ٣١٠.
- (٦٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ١، ١٤.
- (٦٦) سورة البقرة: ١٤٤.
- (٦٧) سورة البقرة: ١٤٩.
- (٦٨) سورة البقرة: ١٥٠.
- (٦٩) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ٣، ٢٩٥.



موقف الذكر الحكيم من

رؤية الله تعالى ج ٢

الشيخ احمد المحمداوي
قم المقدسة



مطلوبهم الى أكثر من بيان وجه محتمل في هذه الآيات يخالف الرؤية.

الآية الثانية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢١﴾

وسرّ الفرق بينهما أنّ الأشاعرة يدعون امراً مخالفاً للمألوف ، وهو تحقق الرؤية بلا كيفية، فيحتاجون الى الإثبات القطعي الذي لا يقبل احتمالاً مخالفاً، فإذا جاء مخالفاً باحتمال معارض كان ذلك كافياً لاسقاط ادعاء الرؤية، وبسقوطه يكون مطلوب أهل التنزيه المحض قد تحقق، وهو انتفاء رؤية الله سبحانه وتعالى. فالأصل هو انتفاء رؤية ما لا جسم ولا كيفية له، والبيّنة على من يدعي خلافه، فإذا أقامها بنحو لا يقبل الشبهة والترديد فهو المطلوب، وإذا أقامها بنحو يقبل الشبهة والترديد فهو كمن لم يقمها، وكأنه أراد الادعاء بالادعاء، وقد قيل: إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال، وحينما يبطل الاستدلال نعود الى الأصل وهو انتفاء الرؤية.

وبهذه الطريق يمكننا أن نختصر النقاش بين الطرفين، فإنّ الأشاعرة مهما تمسكوا بهذه الآيات، فإنهم ليس بوسعهم الادعاء بأنّ هذه الآيات لا تقبل معنى آخر غير الرؤية البصرية، وغاية ما يمكنهم الادعاء به هو أنّ الرؤية

استدل القائلون بجواز الرؤية بآيات متعددة والمهم فيها هو الآية التالية، أعني قوله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝٢١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾

وقد كانت معركة للاراء بينهم وبين أهل التنزيه المحض، تجد ذلك مفصلاً في المصادر الكلامية والتفسيرية من الفريقين (٢)، خاصة هذه الآية التي كانت مورداً لنقض وابرام مترامي الأطراف من الفريقين الى الحد الذي يجعل الباحث يتساءل: هل إنّ الفاظ الآية غامضة بحيث تسمح بظهور معركة فكرية واسعة حولها؟ وهذا السؤال بالذات جعلنا نبحث عن طريق أوضح وأكثر اختصاراً من الطريق الذي سلكه متكلمو الفريقين ومفسروهم ، وهو أنّ حجة الأشاعرة من هذه الآيات تتم فيما لو أنها تدل على وقوع الرؤية دلالة حتمية بنحو لا يحتمل وجهاً آخر ودلالة اخرى ، بينما لا يحتاج مخالفاً في إثبات

يقترن بها ، وقد يضرق عنها، لأنَّ النظر هو مدَّ الطرف نحو الشيء رآه أو لم يره، وإذا أصرَّ الأشاعرة على التلازم بين النظر والرؤية فإنَّ التلازم المدَّعى لا يدل حتماً على الرؤية البصرية، لاحتمال أن يكون المراد بالرؤية حينئذ الرؤية القلبية التي هي من خواص المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ومن الممكن أن تكون رؤيتهم القلبية لله سبحانه وتعالى في يوم القيامة أشد وأجلى بحيث تكون من أكبر النعم التي سينعمون بها، وقد أحسن الشيخ محمد مهدي النراقي المتوفى سنة (١٢٠٩ هـ) تصوير هذا المعنى وتقريره في بحث رائع ضمن

البصرية هي الاحتمال الراجح في هذه الآيات، وهذا بحد ذاته لا يكفي لاثبات الرؤية البصرية ولا يعني أنهم قد اقاموا الدليل القرآني عليها لوجود عدَّة احتمالات معارضة له. ونحن هنا نعدّها احتمالات، تنزلاً، وإلا فإنَّ أصحابها من أهل التنزيه المحض يرونها هي المعنى الصحيح والمراد المطلوب من تلك الآيات. ففي الآية الأولى هناك احتمال أن يكون المراد

ب ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ انتظار رحمة الله وفضله وثوابه، وهناك شواهد قرآنية ولغوية كثيرة تؤيد أنَّ النظر لا يلازم الرؤية ، فقد



وشيخنا الصدوق محمد بن علي بن بابويه . رحمهما الله تعالى . بإسنادهما الصحيح عن الصادق عليه السلام أنه سئل عما يروون من الرؤية ، فقال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءاً من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب. (٢)

وإسنادهما عن أحمد بن اسحاق قال: كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس، فكتب : لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات.

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله . عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم!

كتابه جامع السعادات نقتطف منه ما يناسب المقام ، إذ كتب قائلًا:

ثم أهل السنة قالوا: إن الرؤية في الآخرة مع تنزهها عن التخيل والتصوير والتقدير بالشكل والصورة والتحديد بالجهة والمكان . تكون بالعين دون القلب، وهو عندنا باطل. إذ الرؤية بالعين محال في حق الله تعالى، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، فكما لا تجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر، فكذلك لا تجوز في الآخرة، وكما تجوز رؤيته في الآخرة بالعقل والبصيرة لأهل البصائر . اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث تتأدى الى المشاهد واللقاء . فكذلك تجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى، والحجاب بينه وبين خلقه ليس إلا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد، فإن العارفين وأولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع أحوالهم ومنصرفاتهم، وإن كان الحاصل في الآخرة أزيد انكشافاً وأشد انجلاء بحسب زيادة صفاء النفوس وزكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية . كما تقدم مفصلاً . وقد ثبت ذلك من أئمتنا الراشدين العارفين بأسرار النبوة، روى شيخنا الأقدم محمد بن يعقوب الكليني

جهلك شيء وقال: وأنت الذي تعرفت
إليّ في كل شيء، فرايتك ظاهراً في
كل شيء، وأنت الظاهر لكل شيء (٥)
، وأمثال ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام أكثر
من أن تحصى (٦)

بعدما ذكرنا ان المراد من الآية
الشريفة هو انتظار الثواب والكرامة
من الله سبحانه وتعالى تأتي لمناقشة
اراء المثبتين للرؤية ونعرض بعض
اراء المفسرين الذين ذهبوا الى ما
ذهبنا اليه ويكون ختام النقاش في هذه
الآية المباركة ان شاء الله تعالى. يقول
الشارح القوشجي في شرحه لتجريد
الاعتقاد: ان النظر إذا كان بمعنى
الانتظار يستعمل بغير صلة ويقال
انتظرته، وإذا كان بمعنى التفكير
يستعمل بلفظة في، وإذا كان بمعنى
الرافة يستعمل بلفظة اللام، وإذا كان
بمعنى الرؤية استعمل بلفظة إلى،
فيحمل على الرؤية (٧). وبالامكان الرد
على هذا الرأي كما ذكره الشيخ
السبحاني وهو: الأول أنه سبحانه
كلمة وجوه لا عيون، فقسم الوجوه
إلى قسمين: وجوه ناضرة، ووجوه
باسرة، ونسب النظر إلى الوجوه لا
العيون، فلو كان المراد هو الرؤية

وقد راوه قبل يوم القيامة، فقلت:
متى؟ قال: حين قال لهم: إِنَّمَا أَلَمْتُ بِرَبِّكُمْ
فَأَلُوْا بِلِيَّ ثم سكت ساعة، ثم قال: وان
المؤمنين ليروونه في الدنيا قبل يوم
القيامة، الست تراه في وقتك هذا؟
قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك!
فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا! فإنك إذا
حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى
ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه كضر
. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية
بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون
والمليحدون. وسئل أمير المؤمنين هل
رايت ربك حين عبدته؟ فقال: وملك!
ما كنت أعبد رباً لم أراه. قيل: وكيف
رايته؟ قال: وملك! لا تدركه العيون
بمشاهدة الأبصار، ولكن رآته

القلوب بحقائق الإيمان (٨)

وقال سيد الشهداء عليه السلام: كيف يستدل
عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك،
أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك،
حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت
حتى تحتاج الى دليل يدل عليك، ومتى
بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل
إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً،
وخسرت صفقة عبد لم تجعل من حبك
نصيياً. وقال عليه السلام: تعرفت لكل شيء فما

يعد أوساخا ملوثة لبيته، فيكون قد ذمه دون أن يمدحه، بل يجب علينا أن نقول: بأنه أخبر عن جوده وسخائه، والعبرة في النسبة المراد الجدي لا الاستعمالي، وهذه هي القاعدة الكلية في تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء.

- ١ - ﴿لَا بَلَّ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) يقابلها ﴿وَيَذُرُّونَ الْأَخْيَرَ﴾ (٢١) - ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ تَائِبَةً﴾ (٢٢) يقابلها ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ بَايِرَةً﴾ (٢٣) - ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٤) يقابله ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥). ان الذي ينظر بدقة ويرى التقابل الذي وقع بين الآيتين يشخص بأن المراد من الآية الأولى هو الشق الثاني الذي يقابل هذه الآية اي ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥) فهو صريح في أن أصحاب الوجوه الباسرة ينتظرون العذاب الكاسر لظهرهم، ويظنون نزوله. وهذا الظن لا ينفك عن الانتظار، فكل ظان لنزول العذاب منتظر، فيكون قرينة على أن أصحاب الوجوه المشرقة ينظرون إلى ربهم، أي يرجون رحمته، وهذا ليس تصرفا في الآيات ولا تأويلا لها، وإنما هو رفع الإبهام عن الآية بالآية المقابلة لها، وترى ذلك التقابل والانسجام في آيات أخرى، غير أن الجمع سبيكة واحدة. ١ - ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ تَائِبَةً﴾ (٢٦)

لكان المتعين استخدام العيون بدل الوجوه، والعجب أن المستدل غفل عن هذه النكته التي تحدد معنى الآية وتخرجها عن الإبهام والتردد بين المعنيين، وأنت لا تجد في الأدب العربي القديم ولا الحديث موردا نسب فيه النظر إلى الوجوه وأريد منه الرؤية بالعيون والأبصار، بل كلما أريد منه الرؤية نسب إليهما. الثاني:

لا نشك أن الناظرة في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) بمعنى الرائية، ونحن نوافق المثبتين بأن النظر إذا استعمل مع إلى يكون بمعنى الرؤية، لكن الذي يجب أن نلفت إليه نظر المستدل هو أنه ربما يكون المعنى اللغوي ذريعة لتفهم معنى كنائي، ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوي، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، فالجملة مستعملة في معناها اللغوي، ولكن كثرة الرماد مراد استعمالي لا جدي، والمراد الجدي هو ما اتخذ المعنى الاستعمالي وسيلة لإفهامه للمخاطب، والمراد هنا هو جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، فإذا قال الرجل: زيد كثير الرماد، فلا نقول: إن القائل أخبرنا عن كثرة الرماد في بيت زيد الذي

النظر عما حولها من الآيات، ومن المعلوم أن هذا من قبيل محاولة إثبات المدعى بالآية، لا محاولة الوقوف على مضادها.

واخر يقول: فلا نشك أن قوله: وجوه ناظرات بمعنى رايات، ولكن النظر إلى الرحمن هو كناية عن انتظار النصروالفتح.

فلا ريب أن اللفظين في الشعر وإن كانا بمعنى الرؤية، ولكن نظر الفصير إلى الغني ليس بمعنى النظر بالعين، بل الصبر وا لانتظار حتى يعينه.

قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٤) والمراد من قوله: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [هُوَ طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطفه عليهم، لا عدم مشاهدته إياهم، لأن رؤيته وعدمها ليس أمرا مطلوباً لهم حتى يهددوا بعدم نظره سبحانه

يقابلها ضاحكة مستبشرة ﴿٢﴾ - ﴿وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾^(١٥) يقابلها: ﴿رَهْمَهَا قَرَةٌ﴾^(١٦) ﴿١٧﴾ فإن قوله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ قائم مقام قوله ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١٨) فيرفع إبهام الثاني بالأول. ٣ - ﴿وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ خُشِعَةٌ﴾^(١٩) يقابلها ﴿عَالِمَةٌ نَاصِبَةٌ﴾^(٢٠) ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾^(٢١) ﴿٢٢﴾

٤ - ﴿وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾^(٢٣) يقابلها: ﴿لِسَعِيرًا رَاضِيَةً﴾^(٢٤) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(٢٥) ﴿٢٦﴾

أنظر إلى الانسجام البديع، والتقابل الواضح بينهما، والهدف الواحد، حيث الجميع بصدد تصنيف الوجوه يوم القيامة، إلى ناضر ومسفر، وناعم والى باسر، وأسود (غبرة) وخاشع. أما جزاء الصنف الأول فهو الرحمة والغفران، وتحكيه الجمل التالية: إلى ربها ناظرة، ضاحكة مستبشرة، في جنة عالية. وأما جزاء الصنف الثاني فهو العذاب والابتعاد عن الرحمة، وتحكيه الجمل التالية: تظن أن يفعل بها فاقرة، ترهقها قرة، تصلى نارا حامية. أقبعد هذا البيان يبقى شك في أن المراد من ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢٧) هو انتظار الرحمة لا والقائل بالرؤية يتمسك بهذه الآية، ويغض

وجهه: إذا حسَّنه كذلك.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن إسماعيل البخاري، قال: ثنا آدم، قال: ثنا المبارك، عن الحسن ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ قال: حسنة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور عن مجاهد ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ قال: نُصرة الوجوه: حُسْنُهَا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ قال: الناصرة: الناعمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ قال: الوجوه الحسنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

إليهم، بل الذي ينفعهم هو وصول رحمته إليهم، والذي يصح تهديدهم به هو عدم شمول لطفه لهم، فيكون المراد عدم تعطفه إليهم، على أن تفسير قوله [لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ] ب (لا يراهم) يستلزم الكفر، فإنه سبحانه يرى الجميع ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾

والحاصل: أن النظر إذا أسند إلى العيون يكون المعنى بالمراد الاستعمالي والجدي هو الرؤية على أقسامها، وإذا أسند إلى الشخص كالفقير أو إلى الوجوه فيراد به الرؤية استعمالاً والانتظار جداً.

نظرة في بعض تفاسير أهل السنة إلى هذه الآية أذكر في هذه العجالة تفسيرين يذكران هذه الآية الشريفة وكيف تم تفسيرها بغير الرؤية البصرية وهذا ليس على سبيل الحصر وإنما على سبيل المثال فحسب.

التفسير الأول: تفسير الطبري

أذ جاء فيه: قوله ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ، يعني يوم القيامة ناصرة: يقول حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نُصِرَ وجه فلان: إذا حَسُنَ من النعمة، ونُصِرَ الله

﴿ ١٨ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ، ﴿ ٢٠ ﴾ **إِلَىٰ اللَّهِ نَصِيرٌ الْأُمُورُ** ﴿ ٢١ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ ، ﴿ ٢١ ﴾ **وَالَّذِينَ رَجَعُوا** ﴿ ٢٢ ﴾ **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴿ ٢٣ ﴾ ، ﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ ، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه ﴿ ٢٣ ﴾ الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل: **وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلَكُوا الْبُحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نَعْمًا** وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى منازلهم، تقول: عين نويظرة إلى الله واليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، والباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في

نَاصِرَةٌ ﴿ ١٠ ﴾ قال: من السرور والنعيم والغبطة. ﴿ ١٥ ﴾ حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿ ١٦ ﴾ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ** قال: نضرة من النعيم ﴿ ١٧ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** قال: تنتظر رزقه وفضله. ﴿ ١٨ ﴾ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أناس يقولون في حديث: "فيرون ربهم" فقلت لمجاهد: إن ناسا يقولون إنه يرى، قال: يرى ولا يراه شيء. قال ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿ ١٩ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** قال: تنتظر من ربها ما أمر لها. حدثني أبو الخطاب الحساني، قال: ثنا مالك، عن سفيان، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿ ٢٠ ﴾ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ** ﴿ ٢١ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** ﴿ ٢٢ ﴾ قال: تنتظر الثواب. ﴿ ٢٣ ﴾

التفسير الثاني للكشاف

قال صاحبه: الوجه: عبارة عن الجملة والناصرة من نضرة النعيم ﴿ ١٦ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** ﴿ ١٧ ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿ ١٨ ﴾ **إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴿ ٢٠ ﴾

قال ابن تيمية موضحاً هذا المنهج: " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير... (٢٦) "

وإذا تتبعنا روايات النافين للرؤية الواردة عن سلف هذه الأمة فإننا نجد الروايات الثابتة عنهم تؤكد أن المعنى الصحيح لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هو انتظار ثواب الله ورحمته كما فسر ذلك مجاهد بن

الشجاع إذا اشتد كلوحه ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدته وفضاعته ﴿فَافِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (٢٧).

التفسير المروي عن مجاهد بن جبر

بعدما ذكرنا تلك الآراء تأتي إلى تفسير مجاهد بن جبر الذي يعد

اماماً للتفسير بالنسبة إلى مثبتى الرؤية ونضيفه على ما تقدم من آراء لاجل زيادة الحجة وتوضيحها أكثر



جبر الذي عدّه ابن تيمية آية في التفسير. التفسير المروي عن مجاهد بن جبر قال الطبري^(٢٧) في تفسيره: "حدثنا أبو كريب^(٢٨) قال: ثنا عمر

بن عبيد^(٢٩) عن منصور^(٣٠) عن مجاهد ﴿وَجْهٌ يُؤْمِرُ نَاصِرَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣١) قال: تنتظر منه الثواب". وقال الطبري^(٣٢) أيضاً: "قال [يقصد أبا كريب]: ثنا وكيع^(٣٣) عن سفيان^(٣٤)، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَجْهٌ يُؤْمِرُ نَاصِرَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣٥) قال: تنتظر الثواب من ربها". وقال الطبري^(٣٦) أيضاً: "حدثنا ابن بشار^(٣٧) قال: ثنا عبد الرحمن^(٣٨) قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب". وإن وصف سفيان الثوري بالتدليس فإن متابعة عمر بن عبيد له تكفي لقبول هذه الرواية المنسوبة إلى مجاهد. هذا التفسير الثابت عن مجاهد يبين التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة عند سلف هذه الأمة، وكل الروايات التي خالفت هذه الرواية في المعنى لا قيمة لها لورودها من قبل الضعفاء والمتروكين. فما هي منزلة تفاسير مجاهد بن جبر في علم التفسير؟ يجيب على هذا السؤال

ابن تيمية الذي سطر في مواضع عديدة من (الفتاوى الكبرى) منزلة مجاهد في علم التفسير إذ قال: "وأخص أصحابه يقصد ابن عباس بالتفسير مجاهد، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري. قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير، وقول القائل: لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه: أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، إلا أن يكون نظيره في الصحة، ثم معه ما يصدقه، وهو قوله: عرضت المصحف على ابن عباس أقضه عند كل آية وأسأله عنها"^(٣٩) وقال ابن تيمية أيضاً: "وأما (التفسير) فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح..."^(٤٠) وقال ابن تيمية أيضاً: "وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي"

والضعفاء والمدلسين والمتروكين.

فتفسير مجاهد، الثقة الإمام في التفسير، زهد فيه ورغب عنه مثبتو رؤية الله سبحانه وتعالى واعتمدوا على أقوال الضعفاء كأمثال عطية العوفي وثوير بن أبي فاختة.

قال ابن عبد البر: "... إنا لم ندع الإجماع في هذه المسألة، ولو كانت إجماعاً ما احتجنا فيها إلى قول، ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ' وأقوايل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل

السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم '، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله '، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل اثنين، هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا... (١٥) فقول ابن عبد البر: " قول مجاهد... عند أهل السنة مهجور"، مخالف تمام المخالفة للنصيحة سفيان الثوري الذي قال: " إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به" (١٦) فهجران مثبتي رؤية

وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم... (١٧) وهذه الأقوال التي قالها ابن تيمية هنا فيها اعتراف مثبتي رؤية الله سبحانه وتعالى بقوة تفسير مجاهد بن جبر لآيات الله البينات، ويظهر منها أن تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿١٨﴾ بـ " تنتظر الثواب من ربها" هو التفسير الصحيح الذي يوافق معنى آيات الله البينات (١٩) وما ورد عن الصحابة، وكل التفسير المخالفة لهذا التفسير باطلة لم تثبت أبداً.

فـ " مجاهد بن جبر... ثقة، إمام في التفسير، وفي العلم (٢٠) وعلى تفسيره " يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري" (٢١) ولكن مثبتي رؤية الله سبحانه وتعالى لم يأخذوا بما ثبت عنه من تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ بل ردوا أقواله بروايات الكذابين

من تفسير.

وابن راهويه أوضح تفسير مجاهد وبين الوقت والمكان الذي تحدث عنه الآية الكريمة إذ قال: "... وإنما معنى قول من قال: تنتظر الثواب، ولا يرون

ربهم يوم القيامة قبل دخول الجنة إلا ترى إلى مجاهد حين فسر الآية فسره على معنى ما وصفنا قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: ينظرون الثواب (٤٨) ولم يرد ابن راهويه تفسير مجاهد ولم يصفه بالشذوذ، ولكنه أخذ به في تفسير الآية الكريمة بانتظار ثواب الله تعالى يوم القيامة. وبهذا نستخلص

الله سبحانه وتعالى لتفسير مجاهد وإقبالهم على الروايات الضعيفة سببه عدم تطبيقهم للمنهج العادل في تقييم الحجج ووزن الأقوال.

قال ابن حجر: "... وبالغ ابن عبد البر في رد الذي نقل عن مجاهد وقال: هو شذوذ (٤٩) فوصف أقوال مجاهد هنا بالشذوذ دليل على عدم تطبيق منهج علم الحديث على أقوال العلماء، فكيف توصف أقوال مجاهد الثابتة عنه بالشذوذ وهو لم يخالف أحداً من الثقات؟ ولكن الضعفاء والكذابين هم الذين أتوا بالأخبار الضعيفة التي تخالف في معناها ما ذهب إليه مجاهد



كتاب عربي مبين وهو تبيان لكل شيء، كما هو مقتضى قوله سبحانه: ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢٦)، وحاشا أن يكون تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه، وسياق الآية يدل على أن المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، فقد جعل سبحانه الجزاء حقا للعامل - لكن بفضله وكرمه - وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢٧)، ثم جعل المضاعف منه حقا للعامل أيضا، وهذا أيضا بكرمه وفضله، وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ (٢٨). وبالنظر إلى هذه الآيات يتجلى مفاد قوله سبحانه ﴿

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ استحقاقا للجزاء والمثوبة الحسنى (وزيادة) على قدر الاستحقاق، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٢٩).

فقد جاء في تفسير التبيان لشيخ الطائفة الطوسي &

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

وَلَا يَزِيدُهُمْ فَتْرًا وَلَا ذِلَّةً أُولَٰئِكَ أَحْسَنُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٠)

آية. أخبر الله تعالى بأن للذين يفعلون

من ان الآية المباركة لم تصلح دليلا للمثبتين وهي بعيدة جدا عن ما ذهبوا اليه كما قدمنا بالادلة والبراهين القاطعة بأنها بمعنى المنتظرة والمتاملة والراجية الى عطاء الله وكرمه واحسانه سبحانه وتعالى لا بمعنى الرائية والباصرة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا. الآية الثالثة :

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (٣١). فقد فسرت الحسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، فقد روى مسلم في صحيحه حدثنا عبید الله بن میسرَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَتَنْجِنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (٣٢) ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (٣٣) إن القرآن الكريم

الأخرة ويوم القيامة، ولهذه المناسبة فإن هذه الآيات تبين مصير الصالحين وعاقبة المذنبين فتقول في البداية:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسْنَا وَزِيَادَةً﴾ (٥٩).

ومع أن هناك بحثاً بين المفسرين في المقصود من الزيادة في هذه الجملة، إلا أننا إذا علمنا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، رأينا أن المراد هو الإشارة إلى الثواب المضاعف الكثير، الذي يتضاعف أحياناً عشر مرات، وأخرى آلاف المرات حسب نسبة الإخلاص والطهارة والتقوى وقيمة العمل، فنقرأ في الآية (١٦٠) من سورة الأنعام:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾.

وفي الآية (١٢٧) من سورة النساء:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وفي الآيات المرتبطة بالإِنفاق في سورة

البقرة آية (٢٦١) يدور الحديث أيضاً عن مكافأة الصالحين ومضاعفة عملهم إلى سبعمائة ضعف، أو مضاعفته اضعافاً كثيرة من قبل الله سبحانه.

والنقطة الأخرى التي ينبغي الإلتفات

الحسن من الطاعات التي أمرهم الله به اجزاء على ذلك " الحسنى " وهي الجنة ولذاتها.

وقيل: جامعة المحاسن السرور واللذات على أفضل ما يكون وهي تأنيث الاحسن.

وقوله " وزيادة " معناه ان لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب، وهي المضاعفة المذكورة في قوله " فله عشر أمثاله. ذهب اليه ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعلقمة ابن قيس.

وقال ابو جعفر عليه السلام " وزيادة " معناهما اعطاه ماله في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة. (٥٩) وجاء في تفسير الامثل للشيخ مكارم الشيرازي:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسْنَا وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَمَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَحْسَنُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦٠) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ

سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَبْدٍ مَظْلُمًا أُولَئِكَ أَحْسَنُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦١) التفسير بيض الوجوه وسود الوجوه مرّت الإشارة في الآيات السابقة إلى عالم

إليها هنا، هي أن من الممكن أن تستمر هذه الزيادة والإضافة حتى في عالم الآخرة، أي أنه في كل يوم سيمنحهم الله سبحانه موهبة ولطفاً جديداً، وهذا يبين أن حياة العالم الآخر ليست على وتيرة واحدة، بل تستمر في حركتها نحو التكامل الى ما لانهاية.

والروايات التي وردت عن النبي في تفسير هذه الآية، والتي تبين أن المراد من «الزيادة» هو التوجه إلى نور الذات الإلهية المقدسة والإستفادة من هذه الموهبة المعنوية الكبيرة قد تكون إشارة إلى هذه النكتة.

وفي بعض الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام)، فسرت «الزيادة» بزيادة النعم الدنيوية التي يتفضل بها الله على الصالحين زيادة على ثواب الآخرة، ولكن لآمانع من أن تكون الزيادة في الآية أعلاه إشارة إلى كل هذه المواهب (١٥) وفي تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي قال:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَرَ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ الخ، الحسنی مؤنث أحسن والمراد المثوبة الحسنی، و المراد بالزيادة الزيادة على الاستحقاق بناء على أن الله جعل

من فضله للعمل مثلاً من الجزاء و الثواب ثم جعله حقا للعامل في مثل قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (١٠) ثم ضاعفه و جعل المضاعف منه أيضا حقا للعامل كما في قوله: ﴿مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾ (١١) و عند ذلك كان مضاد قوله: "للذين أحسنوا الحسنی" استحقاقهم للجزاء و المثوبة الحسنی، و تكون الزيادة هي الزيادة على مقدار الاستحقاق من المثل أو العشرة أمثال نظير ما يفيدُه قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (١٢) و لو كان المراد بالحسنی في قوله: "للذين

أحسنوا الحسنی" العاقبة الحسنی، و ليس فيما يعقل فوق الحسنی شيء كان معنى قوله: "و زيادة" الزيادة على ما يعقله الإنسان من الفضل الإلهي كما يشير إليه قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣) و ما في قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (١٤) فإن من المعلوم أن كل أمر حسن يشاؤه الإنسان فالمزيد على ما يشاؤه أمر فوق ما يدركه فافهم ذلك. و الرهق بفتححتين اللحق و الغشيان يقال: رهقه الدين أي لحق به و غشيه، و القتر الدخان الأسود أو

أن رؤية الله تعالى ممتنعة.

والثاني: أن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه، ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة.

الثالث: أن الخبر الذي تمسكتم به في هذا الباب هو ما روي أن الزيادة، هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا الخبر يوجب التشبيه، لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جهة المرئي. وذلك يقتضي كون المرئي في الجهة، لأن الوجه اسم للعضو المخصوص، وذلك أيضاً يوجب التشبيه. فثبت أن هذا اللفظ لا يمكن حمله على الرؤية، فوجب حمله على شيء آخر، وعند هذا قال الجبائي: الحسنى عبارة عن الثواب المستحق، والزيادة هي ما يزيد الله.

أما القرآن: فقولته تعالى: ﴿لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (٣٧):. وأما أقوال المفسرين: فنزل عن علي أنه قال: الزيادة عرفة من لؤلؤة واحدة. وعن ابن عباس: أن الحسنى هي الحسننة، والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن: عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وعن مجاهد: الزيادة مغفرة الله ورضوانه. وعن يزيد بن سمرة: الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة

الغبار الأسود، و في توصيفهم بقوله: "و لا يرهق وجوههم قتر و لاذلة" محاذة

لما في الآية الآتية من وصف أهل النار بسواد وجوههم بالقتر و هو سواد صوري و الذلة و هي سواد معنوي. و المعنى: للذين أحسنوا في الدنيا المثوبة الحسنى و زيادة من فضل الله - أو العاقبة الحسنى و زيادة لا تخطر ببالهم - و لا يغشى وجوههم سواد من قتر و لاذلة، و أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. (٣٧) و بعد هذا البيان وتوضيح الآية بصورة لا تقبل الشك بأنها ليس فيها دلالة على ان الزيادة هي رؤية الله تعالى نأتي الى ماذهب اليه المثبتون ونقلب تلك الآراء وننظر الى الخلط وعدم الاستناد الى ركن شديد يقبهم الاشكالات والايرادات في آرائهم وما تمسكوا به من عقيدة تمس للاسلام بصلبة ابداء.. وانظر الى تفسيره لهذه الآية: رؤية الملك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَأَ كِبْرًا ﴾ (٣٧) القول الثاني: أنه لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية. قالت المعتزلة ويدل على ذلك وجوه:

الأول: أن الدلائل العقلية دلت على

على لفظ النظر، وعلى إثبات الوجه لله تعالى، وكلاهما يُوجب التشبيه. فنقول: هذا الخبر أفاد إثبات الرؤية، وأفاد إثبات الجسمية. ثم قام الدليل على أنه ليس بجسم، ولم يرقم الدليل على امتناع رؤيته، فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده فقط، وأيضاً فقد بينا أن لفظ هذه الآية يدل على أن الزيادة هي الرؤية من غير حاجة تناهي تقرير ذلك الخبر، والله أعلم. (١٨)

ومن يلاحظ كلامه يستطيع القول: بأن المسائل العقائدية لا يستدل عليها إلا بالأدلة القطعية لا بالقراءات الشاذة التي لا يحتج بها على الحكم الشرعي فضلاً عن العقيدة، وسياق الآية يدل على أنه هو الملك بضم الميم وسكون اللام وكأنه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنة رأيت نعيماً لا يوصف وملكا كبيرا لا يقدر قدره. والآية نظير قوله: ﴿ وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (١٧) ثم ان الذي ذهب اليه من الأدلة العقلية قد قندت عند الرد على الشبهات التي اوردها والحمد لله رب العالمين!

فتقول: ما تريدون أن أمطركم. فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم.

اجاب أصحابنا عن هذه الوجوه فقالوا: أما قولكم إن الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهذا ممنوع، لأننا بينا في كتب الأصول أن تلك الدلائل في غاية الضعف ونهاية السخافة، وإذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأخبار الصحيحة بإثبات الرؤية، وجب إجراؤها على ظواهرها. أما قوله الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه. فنقول: المزيد عليه، إذا كان مقدرأ بمقدار معين، وجب أن تكون الزيادة عليه مخالفة له.

مثال الأول: قول الرجل لغيره: أعطيتك عشرة أمداد من الحنطة وزيادة، فهنا يجب أن تكون تلك الزيادة من الحنطة.

ومثال الثاني: قوله أعطيتك الحنطة وزيادة، فهنا يجب أن تكون تلك الزيادة غير الحنطة، والمذكور في هذه الآية لفظ [الحسنى] وهي الجنة، وهي مطلقة غير مقدره بقدر معين، فوجب أن تكون تلك الزيادة عليها شيئاً مغايراً لكل ما في الجنة. وأما قوله: الخبر المذكور في هذا الباب، اشتمل

- (١) سورة القيامة (٧٥). الآية: ٢٣.
- (٢) ١- مثل : تفسير الفخر الرازي، وشرح المقاصد للتبازاني، وشرح المواقف ، وشرح الأصول الخمسة، والمغني وسوف تأتي ببعض المصاحف ومنها وغيره في البحث إن شاء الله
- (٣) النراقي محمد مهدي جامع السعادات ج ٣ ص ١٢٤.
- (٤) الكليني محمد بن يعقوب أصول الكافي: ج ١، باب ابطال الرؤية. الفيض الكاشاني المولى محسن الشيخ محمد بن مرتضى الوافي: ١/ ٦٩ باب ابطال الرؤية.
- (٥) القمي الشيخ عباس مفااتيح الجنان: ٢٧٢ . ٢٧٤ دعاء عرفة.
- (٦) النراقي جامع السعادات: ٣/ ١٦٦ . ١٦٨.
- (٧) القوشجي، الملا علي شرح التجريد ج ١ ص ٣٣٤.
- (٨) سورة القيامة (٧٥). الايات: (٢١-٢٥).
- (٩) سورة القيامة (٧٥). الآية: ٢٥.
- (١٠) سورة عبس (٨٠). الايات : (٣٨-٤١).
- (١١) سورة الغاشية (٨٨) الايات : (٢-٤).
- (١٢) سورة الحاقة (٦٩) ٢٢.
- (١٣) سورة الغاشية (٨٨). الايات : (٨-١٠).
- (١٤) سورة العمران (٣). الآية : ٧٧.
- (١٥) الطبري ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي تفسير الطبري باب ٢٠ ج ٢٤ ص ٧٠.
- (١٦) الطبري تفسير الطبري باب ٢٠ ج ٢٤ ص ٧٢-٧٣ .
- (١٧) الطبري تفسير الطبري باب ٢٠ ج ٢٤ ص ٧٢-٧٣ .
- (١٨) سورة القيامة (٧٥). الآية: ١٢.
- (١٩) سورة القيامة (٧٥). الآية: ٣٠.
- (٢٠) سورة الشورى (٤٢). الآية: ٥٣.
- (٢١) سورة آل عمران (٣) الآية / ٢٨.
- (٢٢) سورة البقرة (٢). الآية: ٢٤٥.
- (٢٣) سورة هود (١١). الآية: ٨٨.
- (٢٤) الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف باب ١٧ ج ٧ ص ١٩٠.
- (٢٥) المصدر السابق باب ١٧ ج ٧ ص ١٩٠.
- (٢٦) الفتاوى الكبرى، ج ١٣ ص ٣٦٨.

(٢٧) الطبري . تفسير الطبري، ج ٢٩ ص ١٩٢

(٢٨) أبو كريب هو: محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، حافظ، من العاشرة " (تقريب التهذيب، ت، ٦٢٢٤، ج ٢ ص ١٢١)

(٢٩) عمر بن عبید هو، عمر بن عبید بن أبي أمية الطنافسي الحنفي الأيادي. قال ابن حجر، " قال أحمد بن حنبل، لم ندرك بالكوفة أحدا أكبر منه ومن المطلب بن زياد، وقال ابن معين،

صالح، وقال أبو حاتم، محله الصدق... وقال الدارقطني، عمر ويعلى ومحمد أولاد عبید كلهم ثقات وأبوهم ثقة وكذا قال أحمد قبله. وقال عثمان الدارمي، سألته يعني ابن معين عن يعلى ومحمد فقال، ثقتان، قلت، فعمر؟ قال، ثقة، قلت، كأنه دونهما؟ قال، نعم، وقال العجلي، عمر أخو يعلى ومحمد وهو أسن منهما وهو دونهما في الحديث وكان صدوقاً". (تهذيب التهذيب، ت، ٥١٣١، ج ٧ ص ٤٠٦-٤٠٧)

(٣٠) منصور هو، منصور بن



- ج ٢ صص ٥٨)
- (٣٨) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت، حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني، ما رأيت أعلم منه". (تقريب التهذيب، ت، ٤٠٣٢، ج ١ ص ٥٩٢)
- (٣٩) ابن تيمية أحمد بن تيمية الضاوي الكبرى، ج ١٧ ص ٤٠٨ - ٤٠٩
- (٤٠) المصدر السابق، ج ١٣ ص ٣٤٧
- (٤١) المصدر السابق، ج ١٣ ص ٣٧١
- (٤٢) انظر الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى، [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ] المصدر السابق، ج ١٣ ص ٣٧١
- (٤٣) العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر تقريب التهذيب، ت، ٦٥٠١، ج ٢ ص ١٥٩
- (٤٤) ابن تيمية الضاوي الكبرى، ج ١٧ ص ٤٠٨
- (٤٥) النمرى، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التمهيد، ج ٣ ص ٢٩١، وباقى عبارات ابن عبد البر هي: "... والى آخر قوله في قول الله عز وجل، [عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
- المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي " ثقة ثبت " (تقريب التهذيب، ت، ٦٩٣٣، ج ٢ ص ٢١٥) . سورة القيامة (٧٥). الآيات: (٢٢-٢٣).
- (٣١) الطبري تفسير الطبري، ج ٢٩ ص ١٩٢
- (٣٢) الطبري تفسير الطبري، ج ٢٩ ص ١٩٢
- (٣٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي " ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة ". (تقريب التهذيب، ت، ٧٤٤١، ج ٢ صص ٢٨٣ - ٢٨٤).
- (٣٤) سفيان هو، " سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة... وكان ربما دلس ". (تقريب التهذيب، ت، ٢٤٥٢، ج ١ ص ٣٧١).
- (٣٥) سورة القيامة (٧٥). الآية: (٢٢-٢٣).
- (٣٦) الطبري تفسير الطبري، ج ٢٩ ص ١٩٢
- (٣٧) محمد بن بشار بن عثمان العبدي، البصري، أبو بكر، بندار، ثقة من العاشرة". (تقريب التهذيب، ت، ٥٧٧٢،

راهويه ، ج ٣ ص ٦٧٢-٦٧٣ نص عبارة ابن راهوية هي: وقد مضت السنة من رسول الله - بأن أهل الجنة يرون ربهم وهو من أعظم نعم أهل الجنة وقوله [وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ] [إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] يقول، يومئذ مشرقة إلى الله ناظرة إلى الجنة، وإنما معنى قول من قال تنتظر الثواب ولا يرون ربهم يوم القيامة قبل دخول الجنة ألا ترى إلى مجاهد حين فسر، فسره على معنى ما وصفنا قال [إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]، قال، ينظرون الثواب". وسياق السورة الكريمة يتحدث عن حال المؤمنين في الموقف قبل دخول الجنة، وأما بعد دخول الجنة فلم يأت أي دليل على الرؤية. والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن جميع الروايات التي تتحدث عن الرؤية في الجنة ضعيفة، والميزان الذي وضعها هو ميزان العدل والانصاف، فما للقوم ينسبون إلى رسول الله ما رفضته علوم الأمة!

(٤٩) سورة يونس (١٠)، الآية: ٢٦.

(٥٠) النيسابوري القشيري ابوالحسين. مسلم بن الحجاج صحبة مسلم ج ١ باب، إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ص ٤٢٣. واحمد بن حنبل مسند احمد باب حديث صهيب بن سنان

محموداً]. حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد [عسى أن يبعثك ربك مقاماً]، قال يوسع له على العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم. فالذي عليه العلماء في تأويل هذه أن المقام المحمود، الشفاعة، والكلام في هذه المسألة من جهة النظر يطول، وله موضع غير كتابنا هذا، وبالله التوفيق ". هذه الرواية التي ذكرها ابن عبد البر هنا والتي نسب فيها تفسير المقام المحمود بجلوس الرسول على العرش إلى مجاهد باطللة ضعيفة لورودها من قبل ليث بن أبي سليم الضعيف، فقد قال عبد الله بن أحمد عن أبيه، مضطرب الحديث... وقال معاوية بن صالح عن ابن معين، ضعيف إلا أنه يكتب حديثه... ". انظر تهذيب التهذيب، ت، ٥٩١١، ج ٨ ص ٤٠٥-٤٠٧) ولمزيد من أقوال العلماء الجرح والتعديل في ليث بن أبي سليم.

(٤٦) ابن تيمية الفتاوى الكبرى، ج ١٣ ص ٣٦٩

(٤٧) العسقلاني فتح الباري، ج ١٥ ص ٣٨٦ (٤٨) المروزي الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد مسند إسحاق بن

- عن النمرج ٣٨ ص ٣٩٨ و٤٠٣ ج ٤٨ ص ٤٥١
باب حيث صهيب
- (٥١) سورة يونس (١٠) الآية: ٢٦.
- (٥٢) سورة النحل (١٦) الآية: ٨٩.
- (٥٣) سورة آل عمران (٣) الآية: ١٩٩.
- (٥٤) سورة الأنعام (٦) الآية: ١٦٠.
- (٥٥) سورة النساء (٤) الآية: ١٧٤.
- (٥٦) سورة يونس (١٠) الآية: ٢٦.
- (٥٧) الطوسي شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن التبيان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٣٥٩
- (٥٨) ينبغي التنبيه إلى أن (الحسنى) في هذه الجملة مبتدأ مؤخر، ومعنى الآية هكذا. الحسنى للذين أحسنوا، ولذلك فإن (زيادة) المعطوفة عليها مرفوعة، والحسنى صفة للمثوبة المقدرّة، وقد حلت محل الموصوف. الأمثل ج ٦ ص ٣٣٩.
- (٥٩) الشيرازي الشيخ ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٦ ص ٣٣٨-
- (٦٠) سورة آل عمران (٣) الآية: ١٩٩
- (٦١) سورة الأنعام (٦) الآية: ١٦٠
- (٦٢) سورة النساء (٤) الآية: ١٧٣
- (٦٣) سورة السجدة (٣٢) الآية: ١٧
- (٦٤) سورة ق (٥٠) الآية: ٣٥
- (٦٥) ((الطباطبائي العلامة السيد محمد حسين الميزان ج ١ ص ٢١
- (٦٦) سورة الإنسان (٧٦) الآية: ٢٠.
- (٦٧) سورة فاطر (٣٥) الآية: ٣٠.
- (٦٨) الرازي مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) باب ٢٦ ج ٨ ص ٢٦٦
- (٦٩) سورة الأحزاب (٣٣) الآية: ٤٧.



وصف القلّة والكثرة في

القرآن الكريم

م . ماهر خضير هاشم

جامعة بابل



على أنّ الحقّ كان مع القِلة في حين
اتبعت الكثرة طريق الضلال . أولاً :
وصف القِلة :

فالقِلة لم تكن دليلاً على الباطل ،
فقد قال الإمام علي بن أبي طالب
(عليه السلام) : ((أَيُّهَا النَّاسُ لَا
تَسْتَوْحِشُوا مِنْ طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ
أَهْلِهَا))^١ ، فقد مدح القرآن الكريم
القِلة ، وأخبرنا أنّ الحق مع القِلة
الصفوة من العباد ، وبعث الله
سبحانه وتعالى أنبياءه يدعون
النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ فَاتَّبِعْهُمْ الْقِلَّةُ
الْمُسْتَضْعَفُونَ وَحَارِبَتُهُمْ الْكَثْرَةُ ، فقد
بعث نوحاً (عليه السلام) رسولاً إلى
الخلق فكذبوه ، فقال الله عزَّ وجلَّ :
﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^٢ . التشويه التي
يتعرض لها الإسلام والقرآن بالذات
لما يتعرض من عملية تشكيك والغاء
التهمة عليه فموضوع الترجمة يكتسب
أهمية كبيرة بسبب حاجة المسلمين
لتعريف الناس بمعجزة الرسول التي
أراد الله سبحانه أن يحفظها على مر
العصور والأزمان من أجل أن تبقى
شاهدة على عظمة الشارع المقدس ،
وحتى لا يكون الباب الوحيد الذي
يتعرف منه الآخرون إلى الإسلام من

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أبي القاسم محمد خير
الورى وعلى آله الطيبين الطاهرين .
أودع الله سبحانه وتعالى في قرآنه
المجيد أسراراً عجيبة فأحكمه في
روعة من البيان وسمو في المعاني
فهو سرُّ الخلود . إن القرآن الكريم
نص خالد كونه نصاً قابلاً لقراءات
متعددة المستجيب للقراءة في
عصر واحد أو في عصور مختلفة
والذي تتولد منه في آفاق القارئ
المعرفية دلالات إضافية بل عوالم من
المعرفة ، فهو نص متعدد القراءة
فقد قرئ القرآن قراءات مختلفة
ومنوعة منذ نزوله حتى هذا العصر
، فقد قرئ نحوياً في كتب إعراب
القرآن ، وقرئ لغوياً في كتب مجاز
القرآن وغريبه ، وقرئ دلالياً في
كتب معاني القرآن وتأويله ، وقرئ
قراءة شاملة في كتب التفسير على
اختلاف مذاهبها وأساليبها ، وقرئ
صوتياً في كتب قراءات القرآن
، وقرئ بلاغياً في دراسة أساليبه
الضنية^٣ . دأب الناس أن يأخذوا برأي
الأكثرية إذا اشكل عندهم أمرٌ ؛ غير
أن النظام القرآني عكس ذلك فنَّبه

، فيحقق العدد الأقل من المقاتلين
المؤمنين الصابرين الغلبة والانتصار
على العدد الذي يكثرهم عشرة
اضعاف ، فقال عز وجل : ﴿ إِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^{١٤}
، فالمتأمل في القرآن الكريم
يجد ان مفردة القلة مقرونة بصفات
تبين خصائص الصفة من عباد الله ،
ومن هذه الصفات : قليلا ما يشكرون
: اغدق الله سبحانه وتعالى على عباده
بالنعم التي لا يجدونها عند غيره ،
فكان شكرهم قليلا ، فقال تعالى ﴿
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعْيَشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾^{١٥} ، وقوله :
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾^{١٦} ، وكذلك قوله
: ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾^{١٧} . ومحص الله عباده
فابتلاهم ، وهو اعلم بهم ، لكن
ليقطع حجتهم ، فوجد اقلهم
شاكرين ، فقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ مَنْ
عِبَادِي الشَّاكِرُونَ ﴾^{١٨} ، وقال عز وجل :
﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ
﴾^{١٩} ، اما السابقون المضربون عند
الله فانهم ليسوا كثيرين بل هم اقل
القليل ، اذ قال في محكم كتابه

طريق المستشرقين وحدهم والذين
فيهم الصالح والطالح. ونجد ان هناك
تقصيرا كبيرا من قبل المسلمين
في بيان الوجه الحقيقي للاسلام
ويشير القرآن الكريم الى القلة
الناجين بقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانْ مِنْ
الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ اُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ ءَاْمَنَّا مِنْهُمْ ﴾^{٢٠} .
ويخبرنا القرآن الكريم ان الله دعا بني
اسرائيل الى عبادته وحده لا شريك
له ، وطاعة اوامره فتولوا الا قليلا ،
فمن هذه الايات القرآنية : قال تعالى
: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ وَالَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^{٢١} ،
وقوله : ﴿ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ
تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^{٢٢}
، ايضا قوله : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ
طَارُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
شَهْرًا فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَتَرْتَبُؤْا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾^{٢٣} . وتغلب
فئة قليلة صابرة فنة كثيرة باذن
الله : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً
كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^{٢٤}

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^{١٠}
 أوضح القرآن الكريم أن قليلا من
 الناس ما يتذكرون نعم ربهم عليهم
 التي شملهم بها آناء الليل وأطراف
 النهار منذ نشأتهم حتى آخر مطافهم
 في الحياة الدنيا ، فقال تعالى : ﴿وَمَا

العزير : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾^{١١} وَقَلِيلٌ مِنَ
 الْآخِرِينَ^{١٢} . القلّة لا يتبعون الشيطان
 : أوضح القرآن أن الفئة القليلة لا
 تتبع الشيطان ، وهذا فضل من الله
 ورحمته ، فقال تعالى : ((وَلَوْ لَا فَضْلُ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
 إِلَّا قَلِيلًا))^{١٣} ، كذلك
 قوله تعالى :

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ لِآخْتِنِكَ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^{١٤}
 قليلا ما يذكرون :

وصف القرآن الكريم
 المنافقين بأنهم لا
 يذكرون الله إلا قليلا
 ، وقليل منهم من لم
 يرتكب جرم الخيانة ،

ففي قوله تعالى :
 ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ
 وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ
 النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ

إِلَّا قَلِيلًا﴾^{١٥} ، اي
 انهم لا يذكرون الله
 بالتسبيح والتهليل إلا
 ذكراً قليلاً ، كذلك
 قوله تعالى :



أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿٣٠﴾ ، فالخطاب
موجه للمشركين ويندرج فيه
المسلمون بالأولى ، فبعد أن نوه الله
بالكتاب المنزّل إلى الرّسول صلى الله
عليه وآله ، فبيّن أن حكمة إنزاله
للإنذار والذّكرى ، أمر النّاس أن
يتبعوا ما أنزل إليهم ، كلّ يتبع
ما هو به أعلق ، والمشركون أنزل
اليهم الرّجح عن الشّرك والاحتجاج
على ضلالهم ، والمسلمون أنزل
اليهم الأمر والنهي والتكليف ،
فكلّ مأمور باتّباع ما أنزل إليه ، و
أوضح ابن عاشور^{١١} أنّ الذي يقصد
هنا المشركون ؛ لأجل أنّهم
كفروا بنعمة ربّهم ، فوصف (الرب)
هنا من غير اسم الجلالة
؛ للتذكير بوجوب اتّباع أمره
؛ لأنّ وصف الربوبية يقتضي
الامتثال لأوامره ، ونهاهم عن اتّباع
أوليائهم

الذين جعلوهم آلهة غيره ، والموجه
اليهم النهي هم المشركون بقريئة
قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
إِذَا دَعَاهُ وَيَكْفِيهِ الشُّوْبَةَ وَيَجْمَعُكُمْ خُلُقَاءَ

الْأَرْضِ ۗ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣١﴾

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٣١﴾ ، (فقليلًا) حال من (أكثر
النّاس) في قبل الآية السابقة : ﴿ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ، (و ما)
في قوله ﴿ مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ مصدرية
في محل رفع على الفاعلية . وهذا
مؤكد لمعنى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ لأن قلة التذكر
تؤول إلى عدم العلم ، والقلة هنا
كناية عن العدم وهو استعمال كثير
، كقوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما
يؤمنون ﴾ ﴿٣٣﴾ ، ويجوز أن تكون على
صريح معناها ، ويكون المراد بالقلة
عدم التمام ، أي : لا يعلمون فإذا
تذكروا تذكروا تذكراً لا يتممونه
فينقطعون في أثنائه عن التعمق إلى
استنباط الدلالة منه فهو كالعدم في
عدم ترتب أثره عليه^{١٢} .

ومن نعمه على عباده إرسال الرسل
اليهم يدعونهم إلى الهدى ، ومنهم
نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه
وآله وسلّم) ، والقرآن الكريم الذي
أنزله عليه ، فقال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا
مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ

﴿٢٧﴾ ، بَيَّن الزمخشري أن مراد قوله : ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، أي انهم يذكرون تذاكراً قليلاً ، والمعنى : نفي التذكر ، والقلة تستعمل في معنى النفي^{٢٧} . قليلا ما يؤمنون : قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ (٤١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٢٨) ، فمراد (قليلاً) في قوله تعالى انتفاء ذلك من أصله على طريقة التمليح القريب من التهكم كقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^{٢٩} ، وهو أسلوب عربي ، قال ذو الرمة : أَنِيحَتْ وَأَلْقَتْ بِلْدَةٍ فَوْقَ بِلْدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بَغَامُهَا فَإِنِ اسْتِثْنَاءُ بَغَامٍ رَاحِلَتُهُ دَلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ مِنْ (قَلِيلٍ) عَدَمَ الْأَصْوَاتِ . أي إن مراد الآية انتفاء أن يكون قول شاعر ، وأن يكون قول كاهن ، وهذا الانتفاء لا يحصل إيمانكم ولا تذكركم ؛ لأنكم أهل عناد^{٣٠} . ومن ذلك قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، إذ قال : ((لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تضرّ قههم عني وحشة))^{٣١} . فالكثرة لا تغني شيئا ، فقال تعالى جل شأنه : ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ فِئَتُكَ مِنْ شَيْءٍ وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٢) ، أيضا

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٥٥) . ووصف القران الكريم قوما أنهم أكثروا في البلاد الفساد ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي آلِ بْنِ النَّبِيِّ ﴾ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) . ودم القران الكريم الكثرة ونعت أكثر الناس أنهم لا يعقلون ، ولا يسمعون نصحا ، ولا يقبلون هداية ، وعدم السمع مقصود به التوغل في الجهل ، فقال تعالى مستفهما استفهاما إنكاريا : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (١٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (١٤) . ووصف القران الكريم أكثر الكافرين بالافتراء ، والجهل ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٥) ، ووصف الجهلة الغوغاء أن أكثرهم لا يعقلون ولا يسمعون دعوة داعي الهدى ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦) ، فالإخبار عن أكثرهم بأنهم لا

يعقلون : يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل ، فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم^{٢٣} . وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾^{٢٤} ، فالذي يلاحظ في هذه الآية أن الفاء في قوله : (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) جاءت لمعنى التصريح على الإعراض ، أي فهم لا يلقون اسماعهم للقرآن فضلاً عن تدبره ، وهذا إجمال لإعراضهم ، وتقديم المسند إليه على المسند الضعلي من غير أن يقول : فلا يسمعون لإفادة تقوية الحكم وتأكيده^{٢٥} . كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^{٢٦} ، وفي آية أخرى يصفهم أنهم لا يعلمون : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٢٧} ، وعزا ابن عاشور أن سبب اختلاف العبارتين في سورتي العنكبوت ولقمان ؛ لأجل التفنن في المخالفة بين القصصيتين مع اتحاد المعنى^{٢٨} ، غير أننا نرجح أن أسلوب القرآن أكبر من هذا الشيء فأراد أن

يميز (لا يعلمون) من (لا يعقلون) ، هل العقل هو العلم ؟ ، فللإجابة عن هذا السؤال ننتبع سياق السورتين . ووصف القرآن الكريم أكثر الناس أنهم لا يعلمون ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٢٩} ، وقال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٣٠} ، كذلك

قوله عن موسى (عليه السلام) : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آيَةِ رَبِّهِ كَىٰ نَقَرَّ عَنْهَا وَلَا تُحَزَّنَ عَلَيْهَا وَلِتَحَسَّبَ عَلَيْهِمْ وَأَنذَرَهُمْ لَأَيُّكُمْ يُعْلَمُونَ ﴾^{٣١} ، ايضاً قال تعالى عن يعقوب (عليه السلام) : ﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٣٢} .

وقال تعالى عن الوعد الحق : ﴿ أَلَا

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٣٣} ،

ايضاً قال سبحانه وتعالى عن عدم علم

الناس : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ

آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَّبِعُونَ قَالُوا إِنَّمَا

أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٣٤} ،

ويستفهم القرآن الكريم استفهاماً

إنكارياً : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آيَاتُ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٣٥} ، يلاحظ هنا إيثار

صفة العلم ؛ لكثرة الدين ، والتفيد

فالذين يتدبرون وينظرون إلى دقة المصنوعات فهم قلة . ويستفهم استفهاما تقريريا ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧) . كثير من الناس غافلون عن آيات الله : فكثير من الناس في غفلة آيات الله ، معرضون عنها ، إذ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٥٢) ، والمراد من هذه الآية : هو دفع توهم النقص عن آيات الله عندما يحرم

بأوامره وترك نواهيه وليضعفوا أثره ويقلصوا ظله وينطبق على هؤلاء قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُضَيِّقَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) فقد كان وراء هؤلاء المترجمين بعض رجال الكنيسة الذين يضمرون البغض للدين الاسلامي وللقرآن وللنبي وقد وصفهم برنارد شو (٣٣) قائلا : لقد طبع رجال الكنيسة يجعلون مع الله آلهة آخر فهم لا ينظرون دقائق هذه مصنوعات الله وخصائصها



كثير من الناس الاهتداء بها ، فهي ذاتها دلائل هدى سواء انتفع بها بعض الناس أم لم ينتفعوا فالتقصير منهم^{٥٦} . فهؤلاء الذين لا يعلمون هم الذين لا يجهلون ؛ غير أنهم درجات في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحِشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾^{٥٧} ، فالذي يلاحظ في الأسلوب القرآني تنوع في العبارات فمرة يعبرُ بها أكثرهم لا يعلمون ، ومرة يعبرُ بها أكثرهم يجهلون . أكثر الناس لا يؤمنون : وصف القرآن الكريم أكثر الناس أنهم لا يؤمنون ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ نَزَّلَ

رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^{٥٨} ، كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^{٥٩} ، فالذي يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل : وعد الله + أكثرهم لا يعلمون ، الساعة أكثرهم لا يؤمنون . وعلى وفق هذا فهناك فرق بين وعد الله والساعة ، فلو كان المعنى واحداً أي إن وعد الله هو يوم القيامة ، والساعة يوم القيامة ؛ لقال بأسلوب واحد إما

أكثر الناس لا يؤمنون أو أكثرهم لا يعلمون . كثير من الناس فاسقون : وصف القرآن الكريم كثيراً من

الأمم بالفسق ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهُتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾^{٦٠} ، كذلك وصف كثير من بني إسرائيل بالفسق ،

فقال جلَّ شأنه عنهم : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً آلِهَةً وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾^{٦١} ، أيضا قال تعالى

: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مَنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ ﴾^{٦٢} . أكثرهم لا يشكرون : صرَّح القرآن الكريم أن أكثر

الناس لا يشكرون نعمة الله عليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^{٦٣} ، كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^{٦٤} . أكثرهم للحق كارهون :

نستطيع أن نقول مطمئنين إن أكثر الناس للحق كارهون ، هذا ما أكده القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَسَنَّا لِلْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾^{٦٥} ، كذلك قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ

وقد يأتي أسلوب التعجب من كفره ، كقوله تعالى : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾^{١٩} . و ظاهرة القلّة والكثرة نجدها في النظام نفسه عند السنّة النبويّة المظّهرة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((ستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة ناجية ، واثنان وسبعون في النار))^{٢٠} .

فوصف القلّة والكثرة ظاهرة عجيبة مهمة أشار إليها القرآن الكريم إنها جديرة بالوقوف عندها وقفة تأمل ، نعيد معها قراءة تاريخنا ، ونأمل أن نقل لنا التاريخ الوقائع التاريخية - كما هي - أم ضللنا فنقل لنا ما أراد الحاكم أن نقرأ وحبب عنا الحقيقة ؟ ((المصادر))

القرآن الكريم .
التحرير والتنوير ، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٦ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، د . ت .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

- ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي . ، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٥٨٠٧) ، دار الكتاب العربي - بيروت ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م .
المعجم الصغير ، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) / دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٢هـ .
نهج البلاغة ، للأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، نشر الدكتور صبحي الصالح ، مؤسسة دار الهجرة ، مطبعة بهمن / قم ، ط ٥ ١٤١٢هـ .
١. ينظر : في النص القرآني وأساليب تعبيره ، د . زهير غازي زاهد : ١٤ .
٢. نهج البلاغة : ٣١٩ .
٣. سورة هود : ٤٠ .
٤. سورة هود : ١١١ .
٥. سورة البقرة : ٨٣ .
٦. سورة البقرة : ٢٤٦ .
٧. سورة البقرة : ٢٤٩ .
٨. سورة البقرة : ٢٤٩ .
٩. سورة الأنفال : ٦٥ .

١٠. سورة الأعراف : ١٠ .
 ١١ . سورة المؤمنون : ٧٨ .
 ١٢ . سورة السجدة : ٩ .
 ١٣ . سورة سبأ : ١٣ .
 ١٤ . سورة ص : ٢٤ .
 ١٥ . سورة الواقعة : ١٣-١٤ .
 ١٦ . سورة النساء : ٨٣ .
 ١٧ . سورة الإسراء : ٦٢ .
 ١٨ . سورة النساء : ١٤٢ .
 ١٩ . الكشاف للزمخشري : ٢٩٨/٢ .
 ٢٠ . المائدة : ١٣ .
 ٢١ . سورة غافر : ٥٨ .
 ٢٢ . سورة غافر : ٥٧ .
 ٢٣ . سورة البقرة : ٨٨ .
 ٢٤ . ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ١٢ / ٤٦٣ ، ٢٥ . سورة
 ٢٦ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير
 : ٢٢٤/٥ .
 ٢٧ . سورة النمل : ٦٢ .
 ٢٨ . ينظر : تفسير الكشاف : ٣ / ٥٥٦ .
 ٢٩ . سورة الحاقة : ٤١-٤٢ .
 ٣٠ . سورة النساء : ٤٦ .
 ٣١ . ينظر : تفسير التنوير والتحرير
 : ٤٣٢/٦ .
 ٣٢ . نهج البلاغة : ٤٠٩ .
 ٣٣ . سورة الأنفال : ١٩ .
 ٣٤ . سورة التوبة : ٢٥ .
- ٣٥ . سورة الفجر : ١١-١٢ .
 ٣٦ . سورة الفرقان : ٤٣-٤٤ .
 ٣٧ . سورة ال مائدة : ١٠٣ .
 ٣٨ . سورة الحجرات : ٤ .
 ٣٩ . ينظر : تفسير الكشاف : ٥ / ٤٦٧ .
 ٤٠ . سورة فصلت : ٤ .
 ٤١ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير
 : ١٢ / ٨٧٩ .
 ٤٢ . سورة العنكبوت : ٦٣ .
 ٤٣ . سورة لقمان : ٢٥ .
 ٤٤ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير
 : ٩ / ٢١٣ .
 ٤٥ . سورة الأعراف : ١٨٧ .
 ٤٦ . سورة : يوسف : ٢١ .
 ٤٧ . سورة القصص : ١٣ .
 ٤٨ . سورة يوسف : ٦٨ .
 ٤٩ . سورة يونس : ٥٥ .
 ٥٠ . سورة النحل : ١٠١ .
 ٥١ . سورة النمل : ٦١ .
 ٥٢ . سورة القصص : ٥٧ .
 ٥٣ . سورة يونس : ٩٢ .
 ٥٤ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير
 : ٣ / ١٤٥ .
 ٥٥ . سورة الأنعام : ١١١ .
 ٥٦ . سورة هود : ١٧ .
 ٥٧ . سورة غافر : ٥٩ .
 ٥٨ . سورة الحديد : ٢٦ .

- ٥٩ . سورة المائدة : ٨١ .
 ٦٠ . سورة المائدة : ٥٩ .
 ٦١ . سورة النمل : ٧٣ .
 ٦٢ . سورة يونس : ٦٠ .
 ٦٣ . سورة الزخرف : ٧٨ .
 ٦٤ . سورة المؤمنين : ٧٠ .
 ٦٥ . سورة ياسين : ٦٢ .
 ٦٦ . سورة البقرة : ٢٦ .
 ٦٧ . سورة نوح : ٢٤ .
 ٦٨ . سورة ص : ٢٤ .
 ٦٩ . سورة الشعراء : ٢٢١-٢٢٣ .
 ٧٠ . سورة المائدة : ٣٢ .
 ٧١ . سورة المائدة : ٦٨ .
 ٧٢ . سورة الروم : ٨ .
 ٧٣ . سورة النحل : ٨٣ .
 ٧٤ . سورة الروم : ٤٢ .
 ٧٥ . سورة الإسراء : ٦٧ .
 ٧٦ . سورة إبراهيم : ٣٤ .
 ٧٧ . سورة العاديات : ٦ .
 ٧٨ . سورة العصر : ١-٣ .
 ٧٩ . سورة عبس : ١٧ .
 ٨٠ . ينظر : مجمع لزوائد ومنبع
 الفوائد ، لنور الدين الهيثمي :
 ١٨٩/١ ، والمعجم الصغير للطبراني :
 ٢٥٦/١

قراءة في رسالة جامعية

اسم المفعول في القرآن الكريم

(البنية والدلالة)

الباحثة افراح عبد علي الخياط

تقديم

أ.م.د احمد صبيح الكعبي

جامعة كربلاء



يَخْلُقُ من كثرة الرد))

كان بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن مهّد لي السبيل لآ تناول مشتقا من مشتقات اللغة العربية في كتاب الله الخالد لأتخذ منه الخطوة الأولى التي أبتدئ بها مسيرة العلم الطويلة فكان موضوع دراستي (اسم المفعول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة)

قسمت الباحثة بحثها على بابين سبقهما تمهيد ؛ تكفل التمهيد بالحديث عن اسم المفعول بالعربية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إن هذا القرآن مآدبة الله فاقبلوا مآدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعجب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا



العنوان (البنيية والدلالة) وعنت بذلك الداليتين الوضعية في أصل اللغة ، والدلالة الزمنية ، مفرقة بين دلالة اللفظ ، ودلالته في الاستعمال ، فدلالة اللفظ هي ما ينصرف إليه الذهن عن معنى مدرك أو محسوس ، أما دلالة الاستعمال فهي معنى سياقي يختاره المتكلم أما الباب الأول فقد تناولت فيه الباحثة أبنية اسم المفعول القياسية ودلالاتها ، وقد جاء ذلك في فصلين قام كل منهما على مبحثين وعلى النحو الآتي :

وفي عرف الصرفيين ، وكيف عدّه بعض الدارسين طارنا على العربية مستدلين على ذلك بأمرين : الأول التعبير عن اسم المفعول بصيغ غير صيغة (مفعول) ومنها : (فَعِيل) ، و(فَعُول) ، و(وَفَعَل) ، و(فَعَلَ) ، والثاني : إن بعض هذه الصيغ قياسي في التعبير عن المفعول في اللغات السامية مثل (فَعُول) في اللغة الحبشية والعبرية ، و(فَعِيل) قياسي في السريالية واللغة العربية الجنوبية ، وتطرقت الباحثة في التمهيد إلى معنى قولها في



، ومن الرباعي على زنة (تفعل) و(افعلنل) و(افعلنل) و(افعلنل) ك(اقشعرا) و(اطمان) وأشارت الباحثة إلى أن ما ورد من هذه الأوزان في القرآن الكريم يتمثل في وزني (مضعلل) كقوله تعالى ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ والثاني الذي حرفه الثاني نون ، فقد ورد منه لفظ واحد أيضا هو (مقنطرا) مؤنثا في قوله تعالى ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمَقْنَطَرَةَ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾ أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الباحثة دلالة اسم المفعول من غير الثلاثي على غير المفعول مشيرة إلى أن الفاظ هذا النوع وردت كثيرا في القرآن الكريم مرادا بها المصدر الميمي أو الزمان والمكان ومن ذلك لفظة (المستقر) التي وردت في عشرة مواضع واختلف تأويلها بحسب الموضع الذي وردت فيه ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلِكُرِّي فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ، والتي ذكر المفسرون أنها بمعنى المصدر أي الاستقرار ، أو بمعنى الاستقرار أو بمفهوم المكان أي موضع الاستقرار ،

الفصل الأول (المبحث الأول) تناولت فيه الباحثة بناء اسم المفعول من الفعل الثلاثي المجرد ودلالته على زنة المفعول ومن ذلك الفعل الصحيح السالم نحو (مشكورا) في قوله تعالى ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيَهُمْ مَشْكُورًا﴾ و(مصروفا) في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ بِأَيْمِهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ وغير ذلك ، والمضعف نحو (مبثوث) في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وغير ذلك ، والمهموز نحو (مأكول) في قوله تعالى ﴿فَجَلَّاهُمْ كَمَصِّفٍ مَأْكُولٍ﴾ ، والمعتل وفيه أقسام كالأجوف والمثال والناقص واللضيف المقرون أما المبحث الثاني فتضمن دلالة اسم المفعول من الفعل الثلاثي على غير زنة المفعول ومن ذلك دلالته على المصدر ودلالته على الفاعل أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الباحثة اسم المفعول من غير الثلاثي ودلالته ، تضمن الأول منه بناء اسم المفعول من غير الثلاثي المزيد بحرف أو أكثر ، والرباعي المجرد ودلالته على المفعول ، ومن ذلك بناء اسم المفعول على صيغ (أفعل) و(فاعل) و(فعل) و(افتعل) و(استفعل)

آخرًا مع انه على أربعة أحرف لان اللفظ الذي ورد عليه رباعي مجرد وليس ثلاثيا ، ثم عرضت الباحثة لكل وزن من هذه الأوزان ومواضع ورودها في آيات القرآن الكريم ثم ختمت الباحثة بحثها بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها يتلوها ملحق إحصائي لألفاظ أبنية اسم المفعول القياسية ، والفاظ بعض الأبنية الدالة على المفعول مما لم يرد ذكره في أثناء العرض والدراسة

ومن ذلك لفظة (المقام) التي وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى ﴿مُسْتَقْرَأُ وَمُقَامًا﴾ وويراد بها موضع الإقامة على رأي من فسر مستقرا بالمكان في سورة الأحزاب الآية / ١٣

أما الباب الثاني فقد خصصته الباحثة للحديث عن الأبنية غير القصصية الدالة على اسم المفعول ومن ذلك الأبنية الثلاثية في فصل أول وصيغها (فعل)، وفِعلَة ، وفِعَل ، وفِعِل ، وفِعِل ، وفِعِل ، وفِعِل ، وفِعِل ، وقد اختلفت هذه الأوزان بحسب ورودها في القرآن الكريم قلة وكثرة ، فبعضها ورد كثيرا مثل (فعل ، و فَعَل) وبعضها قليل الورد من ذلك لفظة (فَعِل) ، ومنها ما لا يرد إلا في موضعين مثل (فَعِل) ثم عرفت الباحثة بكل وزن من هذه الأوزان ، وفي الفصل الثاني تناولت الباحثة الأبنية غير الثلاثية ما كان منها على أربعة أحرف ومؤنثاتها مثل (فاعِل ، فاعِلَة ، فَعَال ، فَعَال ، فَعَال ، فَعَالَة ، فَعُول ، فَعِيل ، فَعِيلَة) ، ومنها ما كان على خمسة أحرف مثل (فاعِلَاء ، فَعْلَان ، تَفْعِيل) ، وليس لها مؤنثات ، أما (فَعَّل) فقد أثرت الباحثة ذكره

Holy Qur'an because it includes deterring guilty people. As a result it has a direct effect on them in words or actions (i.e) the direct punishment which one of faces. Such warning comes in a way a tale because it has a direct effect on man. Another widely used style in the Holy Qur'an is inquiry because a question needs an answer. In other words it needs meditation A third style is accusing prophets of lying by their enemies, because the enemies adopted such styles to frustrate people and prevent them from following the truth. However, the Holy Qur'an used its media campaigns to face that enormous surge which aimed at misleading people. Among those campaigns was resisting the unbelievers patiently, disobeying them, giving them time and It is not a secret that such styles had a direct impact on people and guiding them to believe in prophets, follow divine orders and stop doing

موقف الذكر الحكيم من رؤيا الله تعالى /-9
الجزء الثاني

Attitude of the Holy Qur'an towards Seeing Almighty Al lah :part two

By: Ahmed Hatem Hussein Al-Muhammedawi

This article deals with one of the most important doctrinal issue (i.e) "seeing Almighty Allah". As it is known that Muslims look at this issue differently. Some of them believe that it is possible to see Almighty Allah directly with eyes at Doomsday depending It is a true fact that anyone ponders on those verses honestly and rationally (away from sectarian fanaticism, standing by the good predecessors' ideas and leaving favoritism aside) will conclude that the Holy Qur'an regards "seeing" as great, overstates and rebukes questions about it. Moreover, the Qur'an considers man unable to get it and that Almighty Allah tortures those who ask about it.

That means thinking over those verses deeply and focusing on their external meaning resulted in the pos Then the article turns to discuss doubts about those verses which several interpreters misinterpret them.

التوحيد العبادي في المنظور
القرآني

Monotheism (in worshipping) in a
Qur'anic vision

By: Ni'ma Al – Najjar

Monotheism is highly effective and fruitful in society, therefore ; it is the reason behind security and safety in the Islamic community . That could be realized from the Holy Qur'an as Al might Allah says :

“الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك
” لهم الأمن وهم مهتدون

“ It is those who believe in the oneness of Allah and worship none but Him Alone and do not cloak their faith in wrong doing will feel more secure will be (better) guided .” (6:82)

Meanwhile some interpreters explain injustice as polytheism. Monotheism is also the main reason behind making man a strong successor on earth as Almighty Allah says:

“وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم انما
يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد
ذلك فأولئك هم الفاسقون

“Allah has promised to appoint those of you who believe and perform honorable deeds as (His) representatives on earth, just as He made those before them into (such) overloads, and to establish their religion for them which he has approved for them , and to change their faith into confidence . They serve Me (Alone) and do not associate anything else with me. Those who disbelieve later on will be perverse.” (24:55)

الطرق والاساليب الاعلامية في القرآن الكريم
لايصاله المعلومة الى الآخرين

Informative Ways and Styles in the
Qur'an to Inform Others:

By: Sheikh DhiaBelasim Al-Man-
souri

One of the main pillars of the Islamic informative theory is to give the whole information so as to let the recipient a complete impression about the intended information and not to give a chance for misunderstanding or suspecting that point. To apply this pillar, we are clarifying those Qur'anic informative styles like: frightening and awakening of a desire style.

Such style is widely used in the

topics on the linguistic side of the Holy Qur'an in brief. Though such topics need much efforts and time to study in details, we pray for Almighty Allah to help us complete them.

تفسير الرسول - ص - للنص القرآني

The Messenger's Interpretation of the Qur'aninc Text,
As It should Be and Necessity of Reality

By: Dr. Syrwan Abdul -Zahra Al - Janabi

The article represents a scientific approach to answer the question behind the great Messenger's interpretation of the Qur'anic text. It studies the miraculous texts of Heaven whether they were more pure divine order or they dealt with the logic of the receivers at revelation time.

At the same time, declaration of the Qur'anic text was just a responding to the divine obligatory order or answering the requirements needed according to the understanding of the receivers. Both were important as the divine wisdom required. All such questions are hoped to be answered in this article.

Description of "Minority " and "Majority" In the Holy Qur'an

By: Mahirkhudeir Hashim

In the Holy Qur'an, Almighty Allah has put down wonderful secrets through magnificent eloquence and splendid meanings. Those were really the secrets of immortality .

It is a fact that the Holy Qur'an is an immortal text because it could be read or interpreted differently in one age or different ages according to scholars or these who respond to it. Therefore; new additional significances and knowledgeable horizons were presented.

The Holy Qur'an is a multi read text. Since revelation it has been read differently so many times grammatically, semantically and comprehensively. Many grammatical books were written on its syntax. Others were written on its metaphor, semantics, phonetics and eloquence. Moreover it has been studied comprehensively in the books of exegesis in spite of the different Islamic sects.

used to refer to limiting the meaning rather than criticizing originally. Some verses concerning divorce refer to (khule') as the wife ransoms the *khule' means divorce in return for a monetary compensation to be paid

الحروف المقطعة في القرآن الكريم .. المأهبة -
والتفسير

Abbreviated Letters in the Holy Qur'an : Essence and Interpretation between Sheikh AL-Tebresi and sayid Tebtebaai:

By: Sheikh Laith Abdul-Hussein AL-'Etabi

Many subjects in the Holy Qur'an are interpreted and understood differently just like those which concern the Islamic heritage. Among such subjects are the abbreviated letters or the beginnings of the Qur'anicsuras .

As different Muslim scholars interior deep meaning of those letters according to their beliefs, interests and tendencies, it is quite normal to find different interpretations. Some interpret them for certain aims, others intended to show them in a way that harmonizes their sects' beliefs, others wanted them to identify with

available narrations, while others confessed their weakness to interpret them considering them big problems So, in this article I want to examine 4the most famous

ideas about these letters specially those that deal with the essence of the (abbreviated letters) and their external and external meanings focusing on the interpretations of Sheikh Tebrisi and SayidTebtebaai.

الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين -ع
التوحيد والعقائد نموذجا

The comparative Qur'anic Lesson by Imam Ali (p.b.u.h.) Monothism and Beliefs as Examples

By:Dr. Husan Adnan Raheem Al - yasiri

The comparative Qur'aninc lesson of the commander of the believers (p.b.u.h.) represents a new topic in Qur'anic sciences presented firstly by him. That jumped through the questions he was asked by the Christian bishops and Jewish rabbis about comparative issues in the Qur'an and I have limited my study to issues of monotheism and beliefs related to oneness of Almighty Allah, beside

Editor – in- chief

- الافتباس والاستشهاد بالفاظ القرآن الكريم
في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي

Quotation from the Holy Quran
in Ib AL _ Mujawir AL_ Baghdadi
AL _ Nisabouris (prose
speech) Tareekh AL-Mustebssir

By: prof.Muhammed Kareem Ibrahim
AL- shimmeri

This article aims at clarifying unique style of writing in our Islamic Arabic heritage represented in Ibn AL-Mujawir AL-Baghdadi AL-Nisabouri's book (Tareekh AL-Mustebssir) .AL- Nisabouri (died in 626 A.H. 1228AD) presented a unique style mentioning words of the Holy Qur'an in prose speech. That Was quite obvious While reviewing the tales, narrations and stories in his book : Sifet Bilad AL- Yemen waMakkah waBa'd AL – Hijaz known as(Tareekh AL – Mustebssir).

It might have been Ibn AL- Mujawir who introduced the Qur'anic words when recording those tales, narrations and stories. Meanwhile he reported them from resources and narrators' mouths. Anyway that style represents a type of prose writing influenced by

words of the Holy Qur'an, besides quoting from it shows sermons and moral lessons.

التوجيه الدلالي لأيات الطلاق -

The Semantic Direction of Divorce
.Verses :

An analytic study in legislation of
*khul'e (divorce) verse

By:Dr. Adil Abass AL-Nessrawi

In many verses of the Holy Qur'an Almighty Allah has legislated marriage to mean contract. That is because it is a legal fact though it is not mentioned (in the Qur'an) directly as sexual intercourse. It is referred to metaphorically like touching each other, coming near to each other, entering, taking cover and the like.

It is worth saying that the word (nikah) Arabs meant the very meaning of for ancient

sexual intercourse but again it is not mentioned like that in the Qur'an. Arabs used to call (marriage): the permissible cause for sexual intercourse.

Since the word (nikah) has two meanings and both

mean to restrict the wife marriage bond, the word (telaq) (i-e) divorce means setting free. Therefore it is



Editorial

continuous review to reading the Qur'anic text and study its hidden secrets thoroughly in a way that shows true intention to discover them. It is worth saying that they need a civilized context that leads the Islamic nation to what Almighty Allah wants it to

Here the editorial staff of (Sada Al-Qur'an) call honorable researchers who ponder on the Qur'an to go deeper into it to present a new reading that shows modern understanding specially as they deal with political, economic, social and psychological problems of our Muslim societies. Those problems result from the challenges the nation face at different levels of life in the present .cultural stage

In this issue we present scientific readings for subjects that were dealt with firstly by the Qur'an. It seems that the researchers have done their best to describe the Qur'anic vision towards such subjects. We hope that we are still on our words to provide honorable readers with useful materials which urge them to read, .Finally we pray for Almighty Allah to grant us success

Editor – in- chief

Editorial

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Editorial

Praise be to Allah, Lord of the worlds .O Allah, (please) send blessing to Muhammed and his pure progeny and prosperous companions

Peace be upon Hussein, Ali bin Hussein, sons of Hussein, companions of Hussein and those who sacrificed their souls for Hussein (p.b.u.h).. Peace be upon readers of (Sada Al-Qur'an

:Almighty Allah says

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بَحْفِظٌ ﴿١٠١﴾
so who so ever sees, will do so for (the good of) his own self, and who so ever blinds himself will do so to his own harm, and I ((Muhammed) am not a watcher over you “(6:104

It is guessed that the Holy Qur'an is the clearest truthful discernment which Almighty Allah has put between our hands to urge us to read and scrutinize deeply. We have to do so not to recognize right and falsehood, legal and illegal or good deed and evil only but also to know exactly how to be in front of Allah in this life and the Hereafter. Therefore, researching the Qur'an is a

Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.7 Fourth Year

Contents

8	Attitude of the Holy Qur'an towards Seeing Almighty Allah :part two	163
9	Description of "Minority " and "Majority" In the Holy Qur'an	183



**Sada
Al-Qur'an**

Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No. 7 Fourth Year

Contents

	Editorial	7
1	Quotation from the Holy Quran in Ib AL _ Mujawir AL_ Baghdadi AL _ Nisabouris(bros speech)Tareek Al_Mustebssir	11
2	The Messenger's Interpretation of the Qur'aninc Text,	41
3	Monotheism (in worshipping) in a Qur'anic vision	57
4	Abbreviated Letters in the Holy Qur'an : Essence and Interpretation between Sheikh AL-Tebresi and sayidTebtebail:	75
5	The comparative Qur'anic Lesson by Imam Ali (p.b.u.h.) Monothism and Beliefs as Examples	93
6	The Semantic Direction of Divorce Verses	119
7	Informative Ways and Styles in the Qur'an to Inform Others:	131

Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No. 7 Fourth Year

Editorial

General Supervision

His Eminence
The General Secretary of the
Hussaini Holy Shrine Foundation
(Al-Ataba Al-Hussainiya)

Executive Manager

Sheikh Hasan Al-Mansouri
In charge of Darul
Qur'an Al-Kareem in the
Hussaiani Holy Shrine Foundation

Editor in Chief

Adil Natheer Bayri Dr.

Editorial Manager

Ahmad Sabeeh Al-Ka'abi Dr.

Editorial Secretary

Ali Talib Mousa

Advisory Board

Sayid Fadhil Al-Jabiri
Talal Al-Kamali
Abood Judi Al-Hilli Dr.
Zayn Al-Abidin Mosa Jafar Dr.

Editorial Staff

Mohammed Jafar Al-Ardi Dr.
Hayder Abdul Zahra Dr.
Faleh Hussien Al-Asadi Dr.
Intisar Radi Elewi Dr.

Language Correction

Abdul Hasan Al-Abudi Dr.

Translation

Saad Sharif Taher

General Relations and Coordinations

Ammar Razaq Al-Khuzaii

Design

sadeq gafer

www.dar-alquran.org

sadaalquran1@gmail.com